

۹۹  
حکایات  
فارسیہ

الدکتور محیی الخشاب







الألف كتاب

(٢٣٠)

# حكايات فارسية

---

بإشراف إدارة الثقافة  
بوزارة التربية والتعليم



الالف كتاب

(۲۳۰)

حکایات

فارسیه

للدكتور يحيى الخشاب



الطبعة الثانية



الناشر: دار المعلم





# الفهرس

صفحة	صفحة
السلطان محمود والألقاب ... ١١٤	مزدك ... ١
الملك والسائل ... ١٢٠	العجوز والرجلان ... ٣١
يوم القيامة والعمل الصالح ... ١٢١	الحاكم الساهر ... ٣٢
المريض واليطار ... ١٢٣	الحجاج والدرويش ... ٤١
الأمير القصير ... ١٢٤	المرأة ... ٤٢
سلمان الفارسي ... ١٢٦	يوسف وكوسف ... ٤٨
الأصل الوضع ... ١٢٧	أص في بيت دزويش ... ٥١
بزرجمهر والحكام ... ١٣٠	جعفر البرمكي ... ٥٢
في عدل الملوك وسيرتهم ... ١٣١	النصح الأئيم ... ٥٨
النوروز ... ١٣٦	المعصم وأخياط والمملوك ... ٥٩
أعياد الفرس / المهرجان ... ١٤١	أذان في غير أوان ... ٦٤
الروزتير ... ١٤٤	العجوز والوالى وأنوشروان ... ٦٨
أخوان ... ١٤٥	الملك والقروى ... ٧٧
الملك الظالم والدمقان ... ١٤٦	أسد الدولة وقاضى نيسابور ... ٧٨
الصوت المنكر ... ١٥٢	السلطان محمود وقطاع الطريق ... ٨٤
القط والفأر ... ١٥٣	نعمان وحكمته ... ٨٩
أبو شروان العادل ... ١٥٩	السلطان محمود والقاضى والرفاء ... ٩٠
الفرد الحكيم ... ١٦٠	الحمد لله ... ٩٦
سر ... ١٧٠	رقيق أصبح ملكا ... ٦٧
الدرويش والقاضى ... ١٧١	شيخ الطريقة ... ١١٣

صفحة	صفحة
٢١١ ... .. حيلة	١٧٥ ... .. الخوف والحب
٢١٣ ... .. الزاهد والدنيا	١٧٦ ... .. المال
٢١٥ ... .. الصياد والسمة	١٧٩ ... .. المتنبي
٢١٦ ... زال	١٨٠ ... .. في ساحة الله
٢٢٥ ... رستم	١٨٣ ... .. ضيف ابراهيم
٢٣٤ ... سهراب	١٨٥ ... .. دولة الظلم
٢٤٦ ... .. الملك والشجرة	١٨٦ ... .. الرازي والأمير المريض
٢٤٨ ... .. الدرويش المتلاف	١٨٩ ... .. آخرة
٢٥٠ ... .. سعدى في بيت النار	١٩٠ ... .. دواء الملك المريض
٢٥٦ ... .. وزير	١٩٢ ... .. حاتم الطائي والخطاب
٢٥٧ ... .. الملك الصالح	١٩٣ ... .. المناصب
٢٦٠ ... .. رقيق في السوق	١٩٤ ... .. الدرويش والملك
٢٦١ ... .. الملاك البائس	١٩٦ ... .. الملك والزاهد
٢٦٤ ... .. خصومة	١٩٧ ... .. قصة العلم الإيراني
٢٦٦ ... .. الثعلب المتواكل	٢٠٦ ... .. الأسير
٢٦٨ ... .. نصيحة	٢٠٧ ... .. الملك والغلام الرعيد
٢٦٩ ... .. الوقعة	٢٠٨ ... .. الأمير البقرة والطيب
	٢١٠ ... .. الرزق الحلال



## بسم الرحمن الرحيم

يمثل الأدب الفارسي في القصة فترةً أربعة .  
أولها قصص الحكام الذي يدور حول ما يجب  
للحاكم من رعيته ، وما يجب عليه نحوها ،  
والثاني قصص هدفه العبرة والعظة ، والثالث  
قصص يرمي إلى الإيماء والرمز في تصوير  
أحداث التاريخ التي تحول الظروف دون  
تصويرها في صراحة وجلاء ، والرابع قصص  
تاريخي يقصد به إذكاء الروح الوطن في  
سامعيه فتختلط فيه حقائق التاريخ بالخرافات  
وفقاً لما يريد المؤلف من تأثير في سامعيه .

ولقد اخترنا في هذه المجموعة التي نخرجها  
لقراء العربية جملة من القصص في كل من هذه



القرن ، أردنا أن نخرج منها بصورة عامة عن  
فن القصة في الأدب الفارسي . ولما كان لكل  
من هذه الفترات كتب في الفارسية تمثله فقد  
رجعنا إلى أشهرها في كل باب ، واخترنا منه  
ما رأيناه يلائم الذوق العرب أكثر من غيره ،  
وآثرنا أن نذيل كل قصة بذكر الكتاب  
الذي أخذت عنه ليعود إلى الأصل من شاء ،  
أما القصص المشهورة التي يعرفها كل ذي إلمام  
بالأدب الفارسي فقد رجعنا فيها إلى أكثر من  
مصدر لتعدد ذكرها وكثرته لناخذ من كل هذا  
صورة عامة للقصة نخرجها عليها .

وليست هذه القصص ترجمة في الواقع ،  
فنحن لم نقيد بالنص الفارسي ذلك التقيد  
الدقيق الذي تفرضه أمانة الترجمة اللفظية ،  
لأننا آثرنا أن نخرج هذه القصص إلى الأمة  
العربية أقرب ما تكون إلى نفوس أهلها .

وإنا لنعترف أن ما قدمنا ليس إلا محاولة  
لم نرد بها أكثر من إحياء ذلك العهد الذى  
طواه الزمن .. عهد اتصال الفرس بالعرب  
اتصالاً قريباً وثيقاً ، أيام كان العرب يعنون  
بنقل آثار الفرس إلى لغتهم ويحرصون على  
ذلك حرصاً شديداً تمليه عليهم نهضتهم العظيمة  
ليفيدوا من هذا الأدب القديم الغنى كل  
ما يمكن أن يفيدوه ، وأيام كان الفرس ينقلون  
عن العرب كل ما يمكن أن يحيي أمتهم وأن يرد  
إليها مجدهما القديم .

بحسب الحساب





## ١ مزدك

قال ملكشاه لوزيره نظام الملك : أسمعت القصة التي يرويها عمر الخيام عن الجماعة التي تقيم في پامير وتدعى الإسلام ولا تعمل به وتقول إن أبا مسلم سيبعث حياً وسيكون وزيره مزدك ؟

قال الوزير: نعم سمعت يامولاى ، قال السلطان: واتخذت للأمر عدته ؟ قال الوزير: نعم ، قال ملكشاه : تعال إذا للعشاء وحدثنا عن مزدك هذا من يكون . قال نظام الملك :

كان ذلك الرجل أول من نادى بالشيوعية في أخبث معانيها ، وقد كان من كبار رجال الدين الأذكياء ، أيام الملك قباد الساساني ، وقد أبصر الرجل فوجد الشعب الإيراني ما زال ين من قحط ألم به أيام الملك فيروز ، وطبقة الأثرياء ، من الأشراف ورجال الدين ، تنعم بخيرات إيران وتستأثر بها دون سائر الناس ؛ ثم أبصر قباد فإذا به حاق على الأشراف لأن تفوذهم امتد على الملوك وأصبح لهم على العرش سلطان ، وحاق على رجال الدين أيضاً لأنهم يناصرون

الأشراف ويشاركونهم في الجشع الذي لا يعرف حداً ، فهم  
يؤثرون الدنيا على الدين ويدعون هداية الناس ويحاولون بشتى  
الطرق أن يزدوا أملاكهم ويوسعوا امتيازاتهم ؛ وأدرك أن الملك  
ضعيف القياد ، لين العريكة ، ليس من العسير التغلب عليه .

وكان لمزدك علم بالنجرم وأحكامها ، وقد عرف من كتبها أن  
نبياً سيرسل ، فرأى أن يكون هو هذا النبي ، وأخذ يفكر في  
طريقة لإثبات نبوته ؛ فأمر خدمه بحفر قناة تبدأ من مكان أخفاه  
وتمتد إلى حيث النار في المعبد ، بحيث لا يستطيع أحد أن يراها ،  
ويستطيع تابع له أن يتكلم من الطرف الخفى فيسمع صوته ينبعث  
من وسط النار كأنها تتكلم . ثم أعلن نبوته وادعى أن يزدان  
« الإله » قد أرسله ليحدد دين زردشت وليحدد معانيه ويبين  
أحكامه . ويهدي الناس إلى الأوستا والزند « كتابهم المقدس  
وتفسيره » ، ولم يكن بعثه بين الأنبياء بدءاً ، فمن قبل بعث الله نبياً  
ليهدى بني إسرائيل إلى أحكام التوراة .

وبلغت الدعة الملك قباد فجمع رجال الدين جميعاً ليسمعهم  
قصة بعث واحد منهم نبياً وليستوضحهم الأمر ، وجاء مزدك وقد  
انتفخت أوداجه ، فبادره الملك بالسؤال عن نبوته فأكد لها ودعاه  
إلى طاعته ، قال : لقد بعثني الله لأقضى على ما بينكم من خلاف في  
أمر الدين ، فقد رأيتم تختلفون في تفسير أحكام الأوستا اختلافاً

أفسد حكمتها ، وأضاع من نفوس الناس هيبتها ، ثم رأيتكم تسировون  
في أمور الدنيا سيراً يتجافى مع أوامر « يزدان » ، ويتنافى مع حقوق  
الناس في متاع الدنيا .

قال الملك : وما معجزتك ؟

قال مزدك : إني قادر على أن أحمل النار التي هي في محرابكم  
وقبلتكم على الكلام ، وأنا كليم الله أسأله أن يأمر النار لتحدثكم عن  
رسالتى واتشهد بصدق نبوتى .

والتفت الملك إلى الموابذة وقال : أفترى فى أمر رجلكم هذا ..  
إنه يدعى النبوة ويبشر بدين جديد . قالوا : إنا قرأنا فى كتابنا أن  
نبياً يبعث فيظهر دينه على سائر الأديان ، وإنا سمعنا من مزدك أنه  
بعث ليحدث دين زردشت ؛ فهو لا يحارب ديننا ، ولا يدعو لإله غير  
إلهنا . ثم إنه يقول إنه قد أتى بتفسير للأوستا يضع للجدال فيها  
حداً وهذا أمر كنا راغب فيه ، ثم هو يقول : إنه قادر على أن  
يحمل النار على الكلام ، وليس هذا فى طاقة البشر ، إلا أن يكون  
رسولاً نبياً ، وإنا قد دعانا الملك لنسمع مزدك ودعوته ، نفوض  
الأمر للملكنا وندعوه بالتوفيق والسداد .

قال الملك لمزدك : إن أنت أنطقت النار أمامنا صدقنا نبوتك  
وآمنا برسالتك .



وتواعد الجمع على اللقاء في الغد في بيت النار ليروا معجزة  
النبي الجديد . . . وخرج مزدك فاتصل بأخلص أتباعه إليه وأقربهم  
منه ، وأمره بأن يذهب إلى حيث فتحة القناة مخبأة ، وأن يجيب  
حين يسأل مزدك النار « بأن النار التي هي خير عابدى يزدان ، تأمر  
الناس بأن يطيعوا مزدك ويخلصوا له الدين ليلقوا السعادة في الدنيا  
ولينعموا بالجنة في الآخرة ،

وجاء الغد فاجتمع المواظدة وعلى رأسهم الملك في بيت النار ،  
ودخل مزدك فاتخذ مكانه قريباً منها ، فدعا يزدان وأثنى على زردشت  
ثم سكت . وإذا بصوت يخرج من وسط النار يدعو الناس إلى طاعة  
مزدك والدخول في دينه . فهت الحاضرون ، والتفت بعضهم إلى  
بعض يتهايمسون . أما قباد فقد آمن بنبوة مزدك ، وأما رجال  
الدين فمنهم من آمن ومنهم من شك فيما سمع .

وزادت مكانة مزدك عند الملك فأعد له كرسيّاً من ذهب فوق  
العرش ، فكان إذا جلس يستمع إلى قضايا الناس جاء مزدك فاتخذ  
مكانه على كرسيه الذي علا كرسي الملك . أما الشعب فقد دخل في  
الدين الجديد أفواجاً ، فقد بدأ مزدك رسالته بالدعوة إلى المساواة  
بين الناس ، تملقاً لهم ، وهي دعوة تبهر الجماهير وتدعو إلى أن  
يكونوا جميعاً مع صاحبها ، مهما أخفت من خداع ورياء تحت

مظهرها البراق ، وأما رجال الدين فقد خرجوا من بيت النار وهم  
بين مصدق ومكذب .

و حينما عادوا إلى أنفسهم أنكروا صاحبهم ورسالته ، ولكنهم  
أثروا أضعف الإيمان فاكثفوا بما تحدث به قلوبهم ، وأما رجال  
الحاشية فلم يتحمسوا للدعوة الجديدة ولكنهم ساروا وراء الملك  
أو وراء ابنه ، معادين أنهم على دين ملوكهم .

قال مزدك : إن الثروة ينبغي أن تكون ملكاً للجميع ،  
لكل نصيب منها حسب حاجته ، لأن الناس جميعاً أبوه آدم وأمه  
حواء ، ولأن خيرات إيران أتتجتها أرض إيران التي أنبتتهم جميعاً ،  
وسقتها سماء إيران التي تظلمهم جميعاً ، فالعدل أن يكونوا في بلدهم  
سواسية ، ينعمون بنعيمها فلا ترى فيهم فقيراً محروماً . . وزاد هذا  
النداء في التفاف الناس حوله ومسارعتهم في قبول دعوته . .

ثم نادى ببدعة جديدة ، الشيوع في النساء ، فدعا الناس إلى أن  
تكون النساء شركة بينهم ولا وزن للأنساب . وكان قليل من الناس  
يملك مئات من الجوارى وله بضع زوجات ، وكثير من الناس  
لا يجد وفرة في الرزق تمكنه من أن يكون زوجاً لامرأة واحدة .  
وإذا فالسواد الأعظم راغب في المرأة لأنه محروم منها ، فلم يكذب  
مزدك يعلن هذا الرأي حتى هرع الناس من الأقاليم لبيعته والعمل

بدعوته ، ووضع لهم مزدك نظاماً لهذه الإباحة ، فإذا استضاف الرجل عشرين رجلاً في بيته فإن عليه أن يقدم زوجته كما يقدم صنفاً من الطعام ، ثم إن على الضيوف إذا دخل أحدهم غرفتها أن يضع قلنسوته على بابها حتى لا يطرق الباب عليه طارق .

وهكذا التف الناس حول مزدك ، ونظر العقلاء فإذا الدرجات بين الناس أوشكت على الزوال وإذا الرابطة بينهم قد قاربت الضياع ، ونظروا فإذا الغرغاء تسود ، وإذا الأشراف والنبلاء قد أخرجوا من ديارهم وحرمت عليهم أموالهم وأهدرت حرمت نسائهم وما ملكت أيماهم .



وكان للملك ولد اسمه نوشروان ، يقيم بعيداً عن أبيه ، في إقليم فارس ، فلما سمع بما جرى في عاصمة إيران من فساد ، كاد يتميز من الغيظ ، فكتب إلى الموابذة يسألهم أن ينصحوا الملك بالقضاء على مزدك ودعوته ، فإنه قد أضاع الثروات واستباح النساء ومكن للغرغاء ، ثم حثهم على مجادلة مزدك وإظهار فسقه . وكتب إلى النبلاء محدثاً عما جرى من موافقة أبيه لهذا الفاسق ، مؤكداً أن أباه لا يفرق بين الحق والباطل ولا يميز الخبيث من الطيب ، ونصحهم بأن يجمعوا أمرهم طراً وأن يطلبوا منه التخلص



من مزدك ومحرو آثاره ، فإنه كاد يقضى على الدولة والدين معاً ،  
وقرن نوشروان الوعد في كتابه بالوعيد ، فذكرهم بالألأ ينهجوا نهج  
أبيه ، فإنه مخدوع بدعوة فاسق ، ودعوة الفسق وإن أفلحت ساعه  
فإنها إلى الزوال تسير ، وأكدهم أن الغد لناظره قريب .

وتأثر كثير من النبلاء بقول الأمير الشاب ، وعاد إلى صوابه  
من حدثته نفسه منهم بقبول دعوة مزدك ، وتراصوا وتواصوا  
وبعثوا إليه قائلين « إنا معك » .

واجتمع النبلاء والموابذة وقابلوا الملك وقالوا له : إنا قرأنا  
في كتبنا ونظرنا في علومنا ، منذ آدم حتى زردشت ، فما وجدنا نبياً  
دعا دعوة مزدك ، هذه الدعوة التي أودت بالبلاد وبالعباد ، وإنا  
ننصح للملك بالألا يمكن له ، وأن يعمل على إبعاده عنه ، فأمر الملك  
بعقد مجمع ديني ، وسأل مزدك عن رأيه في قولهم ، فقال : إني  
رسول يزدان ، بعثني لإحياء دين زردشت ولأجدد فيه بإدخال  
المبدئين اللذين ناديت بهما واللذين صادفان الملك قبولاً ، فإن  
كذبتموني فسلوا النار تجيبكم عما لا تفقهون ، ثم سأل مزدك النار ،  
فإذا هي تجيب أمرة الحاضرين بطاعته والانقياد له ، فأسقط في  
أيديهم وخرجوا مرة أخرى وهم في حيرة مما سمعوا ، أما قباد  
فزاد بمزدك إيماناً .

وعلم مزدك أن نوشروان الأمير لم يدخل في دينه فنصح للملك

أن يحمل ولي عهده على الهداية فليس من الخير أن يبقى في ضلالة ،  
وليس من الأدب أن يخالف أباه . وكان الملك مشفقاً حقاً على  
ولده لأنه لم يؤمن برسالة مزدك ، فتاداه ونصح له ، بالعنف حيناً  
وباللين أحياناً ، فلم يظفر منه بشيء ، فلما أخذ عليه عقوبة قال :  
لقد بدأت يا أبت بالعقوق لآبائك فليس لك أن أطيعك بعد اليوم  
ألم تر أنك باتباع مزدك قد خالفت سنن آبائك جميعاً وكان عليك  
ألا تخالفهم لتطيع الدجال الخادع !

وكان مزدك حاضراً هذا النقاش فقال للأمير : إن عليك أن  
تثبت ، كما يبدو لك ، أنى دجال خادع . فقال نوشروان : أمهلاني  
أربعين يوماً أعد فيها عدتي . قال مزدك : ولك أن تختار رجلاً تثق  
به لمناظرتي ، فإن أثبت رأيك فيّ قتلتي وإن عجزت عن ذلك  
قتلت لتكون عبرة للناس وعظة ، حتى لا يحدثن أحد نفسه بالتجنى  
على رسول يزدان الأمين .

وسافر نوشروان إلى فارس ، فكتب إلى موبدها ، وهو  
صديق بارع في علوم الدين ، وحدثه بما جرى بينه وبين مزدك  
والملك . وفي اليوم الأربعين كان نوشروان في بلاط أبيه ، فقد  
كان معه على ميعاد .

قال مزدك : تحدث يا أميرنا وأثبت ما ذهبت إليه من الافتراء

علينا والطعن في رسالتنا . فقال نوشروان : إن لي اقتراحاً ،  
فقاطعه مزدك صائحاً . لا اقتراح وقد انقضى الأجل ، خنوه فخلوه .  
فهجم عليه جماعة من حرس مزدك وأرادوا قيده وقتله ، ولكن  
الأمير دفعهم عن نفسه وقال لأبيه الملك : « فيم العجبة ؟ ألم أشرط  
أربعين يوماً كاملة ، إن اليوم من حقي فأمهلاني إلى الغد . » فصدق  
قادة الجيش على قول الأمير ، وصادف الرأي قبولاً من الملك فإنه  
يحب ابنه ويكره أن يقتله بيده ، وعاد رجال مزدك إلى أماكنهم ،  
وانقضى الجمع على أن يلتقى في اليوم التالي .



وفي المساء بلغ موبد فارس العاصمة ، ودخل القصر وقابل  
نوشروان ، فقص عليه هذا ما كان في اجتماع الصباح وقال إنه  
ذاهب غداً ليلقي حتفه وليقابل ربه راضياً مرضياً في سبيل وطنه  
ودينه . قال الموبد : هدى من روعك يا أميرنا واعلم أن الحق معك  
وأن مزدك غري مبین ، وطلب منه أن يمكنه من مقابلة الملك قبل  
أن يحضر مزدك ، فها الأمير هذه المقابلة .

قال الموبد للملك : إن صاحبك يا مولاي قرأ في علم النجوم  
قليلاً ، وقد قرأ أن نبياً يبعث في هذا الزمان فحسب نفسه ذلك النبي  
وخفي عليه أن النبي سيكون صاحب رسالة جديدة ، وسيكون له

رباب من عند الله ، ومن معجزاته أن ينشق القمر ، وسوف ينسخ دينه دين المجوس وسائر الأديان ، وسيعبد المؤمنون بالجنة وسينذر الكفار بالخلود في نار جهنم ، ومن مبادئه أن الله خلق الناس ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، وسيأمر بالزواج بواحدة وسيشترط العدل بين الزوجات لمن يرغب في المزيد منهن ، على ألا يزدن على أربع ، وسيحذر الناس من الشيطان ، وسيصل جبريل ، ويهدم بيوت النار ، وسيكون دينه للناس كافة وسيبقى حتى يوم القيامة ، وستشهد على رسالته السموات والأرض . يظن مزدك يا مولاي أنه هو هذا النبي وخفي عليه أنه فارسي ولن يكون النبي فارسياً ، ثم إن مزدك يدعى أنه يقوّم دين زردشت ويدعو إلى عبادة النار ، والنبي القادم يدعى للقضاء عليهما ، وسيوحى إلى النبي بواسطة جبريل (سروش) ، أما مزدك فيدعى أنه يستمد حجته من شهادة النار ... فإذا سمح مولاي حضرت للقائه ومناظرته وسترون أنه لا يقصد إقامة شريعة إنما يقصد هدم الدين والإفساد في الأرض .

واجتمع مزدك ونوشروان والموبد في قاعة العرش ، حيث رأس الملك المناظرة ، قال الملك : من يبدأ منك ؟ قال مزدك : هو يسأل وأنا أجيب .

فقال الموبد : إذا تعال مكاني وأنا آخذ مكانك ، فتضرب مزدك وقال هذا مكان أجلسني فيه الملك فلا أنتحول عنه . قال الموبد :



إنك يا صاحبي تنادى بشيوعية المال فهلا علمت أن الناس  
يشيدون الأربطة ويقيمون الجسور وينشون بيوت المار ابتغاء  
الشراب يوم القيامة ؟

قال مزدك : نعم .

قال الموبد : فإذا كان المال شيوعاً بين الناس وأراد أحدهم أن  
يشيد بيتاً للعبادة فمن أين يأتي بالنفقات ؟ فلم يحرم مزدك جواباً .

قال الموبد : إنك ترى الملك تباد الذي يجلس على العرش قد  
ورث هذا الملك عن أبيه فيروز وهذا ورثه عن آبائه ، وأنت اليوم  
تنادى بإباحة النساء وهدم النسب فكيف يتفق هذا والمحافظة على  
نسب الساسانيين ؟ فلم يحرم مزدك جواباً .

قال الموبد : وأنت تنادى بشيوع المال بين الناس ، ألا ترى  
أن الله قد خلطهم ومنهم الغني ومنهم الفقير ، وأن الفقير يجد عملاً  
عند الغني فينقده عليه أجراً ، وإذا انعدم التفاوت بين الناس فأى  
سلطان يبقى على الناس ؟

فلم يحرم جواباً ، فصاح تباد : ما جوابك ؟

فقال مزدك : جوابي أن تأمر بقتله في الحال صبراً .

فان الملك : ولكنى لا آمر بقتل آدمي لم يثبت عليه جرم .

قال مزدك : فموعدنا إذا غداً في بيت النار لنسمع حكمها .

وانصرف الجميع من المجلس وقد طابت نفوس أصدقاء  
نوشروان إذ نجاه الموبد من القتل ، أما مزدك فخرج حانقاً حاقداً  
على قباد لأنه لم ينفذ أمره ويقتل الموبد ، وقد أسر إلى نفسه أن  
أنصاره من حوله قد زادوا عدداً وأن إتحاء الملك عن عرشه قد  
أصبح مستطاعاً ، وأنه سيلقى العون كل العون من الشعب الذى  
غرته المبادئ التى نادى بها .



نادى مزدك رجلين من أنصاره المقربين فأخذ عليهما ميثاقاً بأن  
لا يبرحا لأحد بالسر الذى ياتمنهما عليه ، ووعد كلا منهما بألف  
دينار وبأن يرفعهما إلى رتبة سپاهسلار « قائد » ، أما السر فهو أن  
يحضرا جلسة الغد فى بيت النار وأن يخبئ كل منهما سيفاً تحت ثوبه ،  
فإن حمل السلاح لم يكن مباحاً فى بيت النار ، فإذا ما سأل مزدك  
النار فأجابت بقتل قباد فإن عليهما أن يسرعا إليه بالسيف تنفيذاً  
لقول النار .

وأما الموبد فقد طلب من نوشروان أن يأمر عشرة من رجاله  
بحمل سيوفهم تحت ثيابهم استعداداً لما قد يقدم عليه مزدك وهو مغيب .  
وعقد المجلس فى بيت النار فقال مزدك للموبد : سل النار إن  
كانت تصغى إليك ، فسألها الموبد فلم تنطق ، فصاح بها مزدك :

ألا خبرينا يا خير بنات أهورا مزدا ويا أطيب عباد يزدان ما رأيك  
فيما جرى بالأمس ؟

فارتفع صوت منها يقول : « إتي ضعيفة منذ الأمس ، ألاحظوا  
في هواي وأذكوني بقلب قباد وكبدته لأحكم بينكم ، أأفليتبغ مزدك  
من اهتدى وأراد الآخرة ،

فصاح مزدك : ذكروا النار ذكرها ، فانقض صاحباه على الملك  
يغيان قتله ، فدفعهما أنصار نوشروان العشرة ، وانقسم الحاضرون  
إلى فريقين ، فريق يرى إحراق قباد وفريق يرى أن يتدبر الأمر..  
وانقض الجمع .



بات قباد حزينا تلك الليلة ، فهو ولاشك قد ارتكب وزرا  
ثقيلا لأن النار تطالب بقلبه وكبدته وقودا لها ، وخير له أن يقدم  
نفسه وقودا في الدنيا من أن يصلها جحيا في الآخرة . ولكن  
المربد ونوشروان زاراه في الصباح الباكر ، وأخذ المربد يبين له  
سعي مزدك في انتزاع الملك لنفسه ، وكيف حاول باديء ذي بدء  
أن يقضى على نوشروان قفشل ، فلما لم يفلح أراد أن يقضى على  
الملك نفسه . ثم التفت إلى نوشروان ونصحه بأن يتصل بواحد من  
أنصار مزدك وأن يستدل منه على سر تكلم النار .

وعمل نوشروان بنصيحة الموبد ، قال له محدثه — بعد أن مناه إذا قال الحق وأوعده إذا كذب — إن أمام بيت النار أرضاً أقيمت عليها أسوار صعبة النرى وأن قناة تحت الأرض تبدأ داخل هذه الأسوار وتنتهى بغاية الدقة عند فوهة النار ، وهى التى يتحدث بواسطتها مزدك فيسمعه تابع له يقيم داخل السور فيتكلم بما اتفق معه نبيه عليه ، فيظن الحاضرون أن النار تتكلم .

وأبلغ نوشروان هذا السر للموبد ، وأخذ ثلاثتهم ، الملك ونوشروان والموبد ، يتشاورون فى الأمر ، فإن القضية لم تكن قضية مزدك فحسب ، لأن هذا المتنبي قد نجح فى كسب جماعة كبيرة من الشعب ، ومنهم فئة خطيرة تحمل السيوف ، وينبغى أن تستأصل هذه الفتنة ، وأن يقضى على العقائد التى أحبها الشعب ، ثم ينبغى أن تعاد الأوضاع إلى سابق عهدها ، ويعاد تنظيم الجباية وإدارة المرافق العامة . واتفقوا على أن يدعى مزدك فى مجمع دينى ، وأن يعلن الموبد فى هذا المجمع عجزه عن مناظرة مزدك ، ثم يسافر إلى فارس ، ثم يتبع بعد ذلك ما يرسم نوشروان من خطط .

وعتمد المجمع وتكلم المرابذة ثم وقف موبد فارس وقال : إني عجبت للنار كيف تتكلم ؟ قال مزدك : ليس الأمر فى هذا عجيباً فإن الله ينطقها ، ألم تر إلى موسى وقد أصار عصاه حية تسعى ، أو لم تر كيف فجر من الصخرة اثنتى عشرة عيناً ، أما سمعت أنه استعان ربه



ليهلك فرعون وأهله فابتلعهم اليم ؟ أما سمعت كيف أحيا عيسى  
المرتقى . . وهذه كلها معجزات ليس في طاعة البشر أن يأتي بها  
ولكنها أفعال ربك يتمها على يد رسله ، وهو الذي أنطق ياسيدي  
النار كما رأيت ، فأمن بالذي دعوتك إليه والذي أمرت به النار ،  
فإن عصيتني فإن الله يعذبك عذاباً أليماً .

فقام الموبد فأعلن طاعته للذي بعثه وصدقته النار ، ثم سافر  
إلى فارس .



واجتمع الملك بعد ذلك بمزدك فقال له : إن نوشروان منذ  
سمع قول موبد فارس وهو يميل إليك ويريد أن يعلن إيمانه  
برسالتك وأن يندم ويتوب عما فات من كفره ، وإني أرى الناس  
متعلقة به ملتفة حوله فإذا رأوه آمن آمنوا بك إطاعة لأمره وسيراً  
على هداه .

فسر هذا القول لمزدك وقال للملك : إني شفيع لنوشروان لدى  
النار وهي تشفع له عند يزدان ؛ فقال الملك : إنك تسدي إلى جيلا  
لا أنسائه ، فهو ولدي ، وهو وارث عرشي ، وهو فوق ذلك على  
رأس الجيش والناس تحبه ، وستنام الفتنة بإيمانه ، فإن أحداً لن  
يجد عذراً للكفر بدينه مادام هو يحميه . . وخرج مزدك وهو

يوصى قباد بأن يهدي ابنه ، فاستمطه أسير عا ليزف إليه بشرى  
دخول نوشروان في دينه

وفي نهاية الأسبوع قص قباد على مزدك أن نوشروان رأى في  
منامه ناراً تسرع إليه تكاد تلتهمه فجزع ، فإذا برجل جميل الصورة  
يأتي فيمنعه منها ، وقد سأله نوشروان ماذا تقصد النار بي ، قال إنها  
غاضبة عليك لأنك كذبتها . ثم أخبر الملك مزدك : إن نوشروان  
عازم على الذهاب لبيت النار ، حاملاً المسك والعود والعنبر ،  
وسيقف على خدمة البيت ثلاثة أيام ، مذكياً النار مسبحاً يزدان ،  
ولكنه يخاف إن هو أعلن رأيه وكان أنصار دينك قلة في البلد  
أن تشيع الفتنة ، ويضطرب الأمن ، ولذا فإنه يرى أن يعرف بالدية  
عدد أنصارك هنا وفي الأقاليم ، حتى يقدم على إعلان الدين الجديد  
وهو بصير بالعواقب وأرى أن تعد سجلاً تكتب فيه أسماء من  
آمنوا بك ، فإنه يريد أن يعرف عددهم ومدى قوتهم ا فرائقت الفكرة  
لمزدك وكتب سجلاً بأسماء أنصاره وأودعه قصر الملك .

وبعد أسبوع قابل الملك مزدك فقال له : إن نوشروان سر  
سروراً عظيماً عندما رأى سجل أنصارك وعلم أن عددهم اثنا عشر  
ألفاً ، فقد أيقن أن هذا العدد كاف لحفظ الأمن ولنشر الدين بحد  
السيف ، وكان يخشى أن يقل عددهم عن خمسة آلاف فيضطر إلى  
إرجاء إعلان دخوله في الدين الجديد . وقد اتفقت معه على أن

تكون علامة إعلانه المزدكية أن يقرع الطبل من برج القصر .  
وقرع الطبل وعلم مزدك أن أقرى رجل في الدولة قد اعتق  
مبادئه ، وأنه قد أصبح ذا شوكة وأن مذهبه سيفرض على الناس  
فرضاً .

\* \* \*

وفي الصباح ذهب إلى القصر فقابل الملك ونوشران ، فقدم له  
هذا الهدايا والتحف ورجاه أن يغفر له سابق هفوته . ثم قال للملك  
ولمزدك : إن الأمر بيدكما ، فأولكما ملك إيران وثانيكما نبيها ، فإذا  
شئتما أن تعمل على نشر هذا الدين الجديد فامنحاني من السلطان  
ما يكفل طاعة الناس لي .

قالا : لك ماتشاء .

قال : فالرأى أن يبعث مزدك إلى أنصاره في الأقاليم يدعهم  
للحضور هنا بعد ثلاثة أشهر وذلك لكي أكسوهم وأمدهم بالسلاح  
وأستعين بهم على الجهاد في سبيل يزدان .

وتم الاتفاق على أن يحضر الأنصار من شتى البلاد في اليوم  
الموعود وأن تقام لهم وليمة كبيرة إظهاراً لمبدأ المساواة والإخاء .  
ولسوف يدعون بعد ذلك إلى الشراب الفاخر ثم يذهبون زرافات  
إلى القصر الثالث ليأخذوا أكسيتهم وأسلحتهم وخيولهم .

وجاء الاثنا عشر ألف مزدكى فرجدوا المرائد قد أعدت في  
في جناح من القصر فجلسوا يأكلون ويسمرون ، وكان نوشروان  
حفيأ بهم ، ثم دعاهم إلى الدخول في قاعات الشراب فدارت عليهم  
الكثيرس سبع مرات . ودخل وهم يشربون مائتا خادم يحملون  
أثواب الحرير والكتان ، فأمرهم نوشروان بالذهاب إلى الجناح  
الثالث حيث توزع الأكسية .

ثم أمر قسم المدعرون جماعات من ثلاثين رجلا وساق كل  
جماعة إلى حيث الكساء والسلاح . وكان تمد أمر أربعائة من الجنود  
الأشداء بأن يحفروا في الميدان حفراً كثيرة ، وأن يدعوا ما يخرج  
منها من التراب بجوارها ، وأمر بالأيخرج أحد من هؤلاء الجنود  
من الميدان . . . .

ودخل المزدكية جماعة جماعة فقادهم حرس نوشروان إلى هذه  
الحفر فأودعوا فيها أحياء وتمد أقيموا فيها على رؤوسهم ثم غطوا  
بالتراب حتى صدورهم وظهرت أرجلهم تتأرجح في الهواء كأنها جذوع  
نخل خاوية .

وصعد نوشروان إلى قاعة العرش حيث كان أبوه ومزدك ،  
فروى لمزدك ما أعده لرجاله من كرم الضيافة وما هم عليه من سرور  
بعد أن أكلوا وشربوا ولبسوا ، وطلب إليه أن يطل عليهم وهم في  
الميدان في أزهى حلة لبسوها .



نخرج مزدك فأبصر أرجلا تتأرجح في الهواء ، فخدجه نوشروان  
بنظره وقال :

ها يا نبينا قد ألبست المزدكية الكسوة التي يستحقون ، أما  
أنت ، فعلى هذا المرتفع الذي أقيم في وسط الميدان ، ستلقى كساءك .  
إنك دجال مخادع كما قلت لك أول مرة لقيتك فيها ، وقد جئت  
لتقضى على ثروات الناس وتستبيح نساءهم وتهدم ما أتى به زردشت  
من قواعد المدنية والعمران ، ثم يخلو لك الجوفتجلس على عرش  
إيران الخربة كما يجلس اليوم على أطلال القصور .

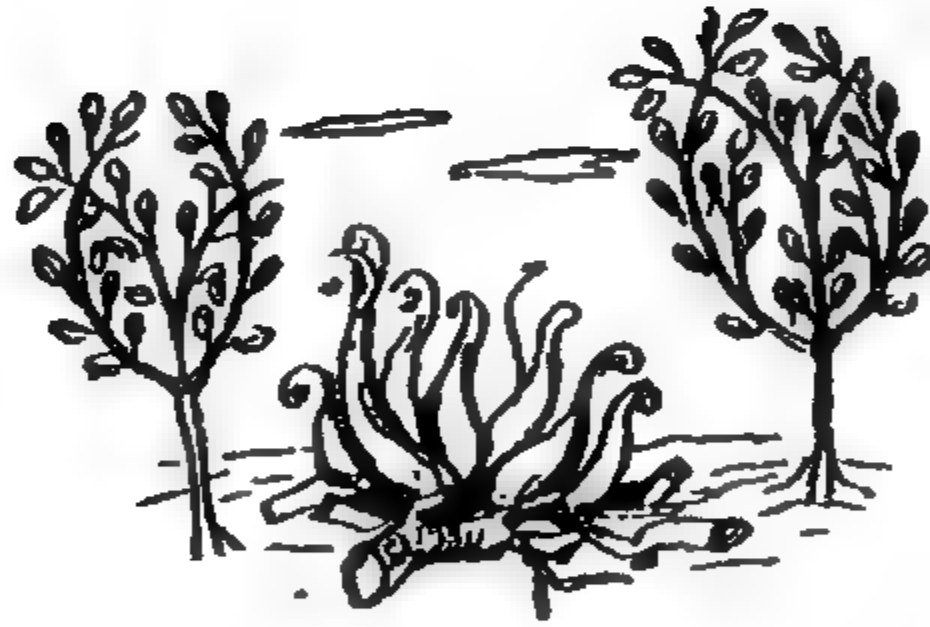
وساقه الجند إلى حيث حفرة أعدت له وسط الميدان ، فدفن  
حيًا ، ورأسه في التراب .

والتفت نوشروان إلى أبيه فقال له : آن يا أبت لك أن تقبع  
في قصرك فإن ضعفك هو الذي أدى إلى أن تقع هذه الفوضى  
المدمرة في البلاد ، فمن الخير لك ولها أن تبعد عن حكمها حتى تهدأ  
الأحوال وتعاد النظم إلى سابق عهدها أيام جدنا أردشير . ثم أمر  
ففتحت أبواب الميدان ليتاح للناس أن يروا المصير الذي لقيته  
زمرة الفساد ، وأمر بجمع النبلاء ورجال الدين فوعدهم بإصلاح  
حالهم وإعادة أمرهم إليهم ورد نسائهم إلى بيوتهم ، وحكم إيران  
بعد ذلك فكان عهده أزهى عهودها .

\*\*\*

قال ملكشاه : أحسنت يا نظام الملك فيما رويت وإن عليك  
أن تعمل على إবাদة جماعة پامير أو أن يعودوا إلى الإسلام ،  
أما أنا فلن أغمد هذا السيف حتى أنشر دين محمد كما أنزله الله .  
وكان الليل قد اتصف فقام ملكشاه وانصرف الوزير والعطاء  
فذهب كل إلى بيته .

(سياست نامه ٤٤)



## ٢ العجوز والرجلان

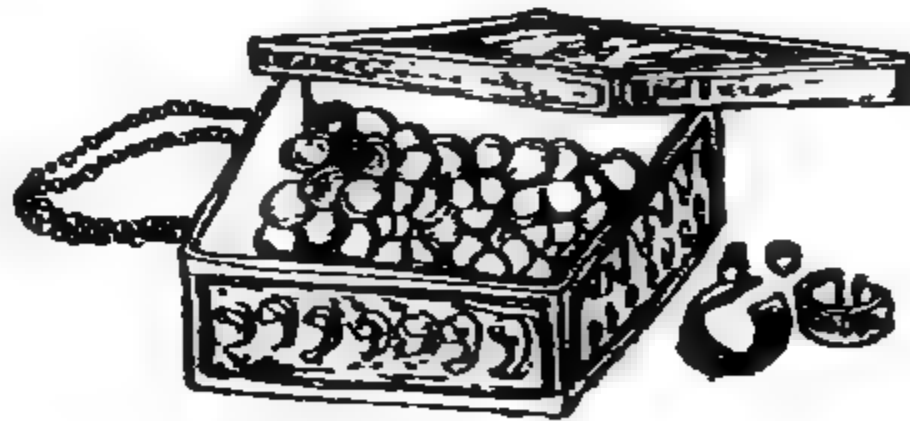
ذهب رجلان إلى عجوز وقالوا لها : إنا نستودعك هذا المال ،  
على أن تعطيه لنا إذا جئنا معاً نطلبه . وبعد فترة جاء أحدهما وطلب  
المال من العجوز وقال لها إن صاحبه قد قتل ، فإن لصوصاً هاجمهما  
في الطريق ، فقتلوه . وصدقت العجوز كلام الرجل فأعادت إليه المال .

ثم جاء الثاني عند العجوز وطلب المال ، فقالت إن صاحبك  
قال إنك قتلت وقد أعطيت الوديعة ، فليس لك شيء عندي .

فذهب الرجل إلى الحاكم وشكا العجوز ، لأنها امتنعت عن تسليم  
ماله له ، ففكر الحاكم طويلاً ثم قال :

هذه المرأة لم تقصر ، وقد اشترطت عليها أن تعطيك الوديعة إذا  
جئتما معاً ، فاذهب واحضر صاحبك ، وطالبها برد الوديعة ! .

( جامع الحكايات )



قال نظام الملك مخاطباً السلطان ملكشاه :

وعلى الحاكم أن يتحرى سلوك عماله ، وألا يترانى فى تقصى سيرهم ، ليتأكد من نزاهتهم ، ومن رعاية الأمانة التى عهد بها إليهم ، والثقة التى أولاهم إياها . وعلى العمال أن يسيروا فى الناس بالحسنى ، وألا يطالبوا الحراث بالأموال قبل أن تؤتى الأرض ثمارها ، وإلا اضطر الحراث أن يبيع معجلاً ما لا علم له بمقداره وقدره ، فيبيع بالثمن البخس جهده المضنى . ثم على العمال أن يعاونوا الحراثين إذا احتاجوا إلى البذور أو المواشى ، فإن من يعن الحراث على إنتاج الخيرات التى تنبتها الأرض يعن الشعب على عيشه ، ويوفر له غذاءه . وحرام على الحكومة وعلى الناس أن يتركوا قطعة من الأرض بوراً ، فإن من يعمر أرض الله يخدم دينه ووطنه ونفسه ، ومن ير أرضاً صالحة للزرع ولا يعمرها يغضب الله والوطن والحاكم فإذا سار العمال هذه السيرة فى الحراثين سعدت الدولة ، وكثرت

خيراتها ، وأمن الناس شر الفاقة والجوع والموت ، إذا ما جفت  
الأنهار وانقطعت الأمطار ووقع القحط العظيم .

ألم تر يا مولاي إلى قباد وقد جف الزرع في عهده سبع سنين ،  
فلم تنتج الأرض خلالها حبة واحدة ، فكانت شدة لا مخرج منها ،  
فاستطاع بما لدى عماله من الخيرات المخزونة أن يوفر لشعبه الغذاء  
طوال السنوات الشداد ؟ فقد أمرهم ببيع ما لديهم من مخزون الحبوب  
بأثمان رخيصة ، وسهر على عدالة التوزيع بين الناس ، فلم يمت من  
إيران فرد واحد بسبب القحط .

وعلى الحاكم ألا يتهاون مطلقاً في مراقبة هؤلاء العمال ، وإذا  
رأى أحدهم استولى من حراث على أكثر مما ينبغي عليه دفعه ، رد  
ما اغتصب إليه ، حتى يعلم الناس أن العدل قائم وإن جار العمال .  
وإذا كان للعامل المقتصب مال أخذ منه أضعاف ما اغتصب من  
الرعية ، وقد يرى الحاكم نفسه في حل من أن ينزع جميع أموال  
العامل الظالم ، ليعلم الشعب أن الظلم مرتعه وخيم . وأما إذا كان  
العامل قد قصر تقصيراً يسيراً ، فإن على الحاكم أن يقومه ويصلحه  
وبجازه حسب مسؤوليته .

وأما إشراف الحاكم على الوزير وحكام الأقاليم فإنه أكثر  
وجوباً وأبعد أثراً ، لأن أخطاء هؤلاء تحسب على الحاكم نفسه ،  
وتنسب إليه وإلى حكومته . ولذا وجب أن يكون الوزير والحاكم



من ذوى العدل وإصالة الرأى ، ووجب أن يكون الحاكم يقظاً  
محاسباً .

وكم أعجبنى منظر ك وسلوكك منى يا مولاي يوم جئتنى ، وقد  
أمسك كيك رجلان يشكوان إليك ظلم والى بلدهما ، وكانت  
الدموع تترقرق فى عينيك وأنت تقول : كيف يكون حالى غداً عند  
الله إذا طولت بحقوق المسلمين ، وقد قلدتك هذا الأمر لتكفينى  
مثل هذا الموقف ؟ وكم أسعدنى إنصافهما عملاً بأمر ك وعداك  
يا مولاي . وأنا أسوق إليك قصة الوزير رست روش الذى اتخذ  
الملك بهرام كور وزيراً فلم يرع النزاهة فى حكمه . فطغى وبغى  
وتكبر ، ولكن انظر كيف كانت عاقبته .

وأنت تعلم يا مولاي أن بهرام كور قد اندفع فى نزق الشباب  
فترك شئون الملك وانصرف إلى الصيد والنساء والشراب ، وأقام  
مقامه أميراً ضعيفاً لم يكن يستطيع أن يعارض للوزير رست روش  
رأياً أو يعصى له أمراً . وقد استغله رست روش أتبع استغلال ،  
وصور له أن ما تبديه الحكمة من الشفقة بالناس قد أفسد خلقهم  
وأطمع فى الولاية أشرارهم ، وأن الأمر إذا لم يتدارك بالحزم  
ويؤخذ بالشدة فلن تحمد عواقبه ، فالواجب ألا ندع على قيد  
الحياة مفسداً ، وألا نترك لغنيهم ما يثير الغرور فى نفسه فيخرج

علينا ، ولنستحي نساءهم ولذبح أولادهم ، حتى لا يبقى لأحد منهم سلطان . وامتلات السجون بالأشراف ، وخطت القصور من ساكنيها ، وولى كثير من الأمراء فراراً من إيران ، وتمد ملكاً من ظلم الوزير رعباً . ونظر رست روش حوله ، فإذا سلطانه يمتد على الشعب وحكومتها ، وإذا به يرى باب الإثراء مفتوحاً على مصراعيه له ولذويه ، فأخذ يمنح الحرية لمن سجنهم الأمير الذي كان يشغل مكان الملك ، على أن يمنحوه ضياعهم وأموالهم ثمناً لحريتهم ، وأخذ ينهب ويسلب كما يشاء ، وكلما أرادت الحكومة القيام بمشروع امتلات جيوبه وعمرت خزائنه بالرشوة المستورة والرشوة المفترحة ، حتى أصبح ترفه حديث الناس في إيران وغير إيران .

وظل الوزير على هذه السياسة الهدامة سنين عديدة ، حتى افتقر الشعب ، وتحلل روحه ، واختلت الثقة المتبادلة بين الحاكم والمحكومين ، وخرجت من بيوت الأشراف التحف النادرة ، والخيول المطهمة ، والجواري الحسان ، وكل ما لدى الناس من الخيرات ، لتدخل كلها في بيت الوزير رست روش .

وكان لملك إيران منافس يقف له بالمرصاد ، فاتصل به الوزير الخائن ، ليخلع الأسرة الساسانية وليلى هو العرش ، فسارع العدو ملياً دعوته وأغار على إيران . كل هذا وبهرام كور غافل عن أمر نفسه وبلاده .

وأفاق الملك من غفلته وأمر بتهيئة الجيش ، والتوسيع على رجاله ، لتقوى روحهم وتشتد عزيمتهم ؛ ولكن خازن المال وجد خزينة الدولة خاوية ، وافتقد وزير الحرب الأشراف والنبلاء وهم القادة فلم يجد منهم أحداً . منهم المسجون ، ومنهم من هاجر ومنهم من قتل . ونظر بهرام فإذا إيران يحيم عليها الفقر ، ويفت في عضدها البؤس واليأس . فسأل ماذا دهم المال وأقنى الرجال ؟ . فلم يجرؤ أحد أن يذكر له ما جرت به سياسة الوزير على الدولة من الدمار والفناء . . . وبات الملك ليله ساهراً يفكر في قلعة المتداعية وعدوه يقترب .

ولم يكد الصبح يتنفس حتى كان ممتطياً صهوة جواده الأشهب وسط الصحراء . هناك في الفضاء الذي لا يجد أبصر ناراً فوق تل فاتجه إليها ؛ وهناك رأى قطيعاً من الأغنام ورأى خيمة على بابها كلب مصلوب ! وجلس الملك - وهو متكر - للإفطار مع صاحب الخيمة واستمع إلى الرجل يحدثه عن الكلب المصلوب . قال :

كان لي من قطيع الغنم هذا ررق كبير ، وكنت أعتمد على هذا الكلب في حمايته ، وكان من القوة بحيث يغلب عشرة ذئاب ، وكنت أثق به حتى أتى حين أضطر إلى السفر ، كنت أتركه ليقود الأغنام إلى حيث ترعى وليعود بها إلى حيث تبيت ، وأنا آمن هادئ البال . ولكنني لاحظت أن القطيع يتناقص ، ولاحظت

الكلب فلم أهتم إلى تقصير في رعايته أو فتور في واجبه ؛ حتى إذا جاء محصل الخراج وجدت القطيع كله لا يبقى بما على من مال ، فأخذه المحصل وصيرني راعياً للقطيع الذى كان ملكى بالأمس . وتفرغت لرعاة الأغنام فعلمت ما غاب عني ، وهو أن الكلب قد وقع في شباك ذئبة غادرة ماكرة . رأيتني معها وأنا أحطب فرق ربوة عالية رأيتها تدنو من القطيع ، ورأيتني يهرع لاستقبالها ، ثم أخذ يداعبها حتى إذا بلغ منه الهيام مبلغه انتحى بها ناحية ؛ فلا تلبث الذئبة أن تعرد فتقرس أقرب الأغنام إليها وتلتهم من لحمه ما تشاء ، ثم تمضى في سبيلها ، والكلب ينظر إليها نظرة المتيم الوطمان . وهكذا كان ينقضي القطيع رويداً رويداً ، لأن الكلب غلبته شهوته ففقد أمانته وضاعت رعايته . فرأيت أن أقل ما يجازى به هو أن يصلب كما ترى جزاء ضعفه وخيائته .



عاد الملك إلى العاصمة متفكراً في هذا الذى رأى وسمع ؛ أليس هو صاحب القطيع الذى ملكه الله على الشعب ليعمر الأرض ؟ أليس وزيره رست روش هو الكلب الذى عهد إليه برعاية الشعب والعناية به ؟ أليس الجشع الذى حمل الوزير على ارتكاب ما ارتكب وتضييع ما ضيع من دولته ، هو تلك الذئبة الغادرة ؟

ورأى الملك خزائنه خاوية ، وجيوشه مسرحية ، ورجاله  
مشردة ، والشعب فى بؤس مقيم ، ولكنه لم يهتد إلى خيانة وزيره  
كما اهتدى الراعى إلى خيانة كلبه ، فإن الخاشية كانت تخاف على نفسها  
من غدر الوزير الماكر الجبار . فأمر أن ترفع إليه التقارير اليومية  
التي كان الوزير يخفيها ، فإذا به يرى البطش والظلم والبغى ؛ فذكر  
أن ما أصاب شعبه من محن مصدره الوزير وأن عليه إذا أراد أن  
يعيد للشعب مكانته وثقته بنفسه وبحكامه أن يقتصر من رست  
روش ، فلما دخل عليه ابتدره قائلاً : ماذا جرى لشعبي ، علاه النقر  
والهم ، واقعدته المحن والمظالم ، وماذا انتاب خزائن أنتهزت وكانت  
بالخير تقيض ؟ أوليتك لتقتل الناس وتنتهك حرمانهم وتقيّد  
حرياتهم ؟ ولقد وليتك عامر القلب خاوى الوفاض ، وكان هذا  
نحرك ، فإذا بجاه الوزارة يضللك وإذا بك غي ضال . دخلت  
بالأمر فقيراً عزيزاً وها أنت ذاتخرج اليوم منها ثرياً لانزاهة فيك .  
وحاول رست روش أن يجيب ولكن الكلام لم يواته ، خنقته  
الدماء البريئة التي سفكها ، والحريات الغالية التي أضاعها ، والأمانة  
التي خانها . فأمر الملك بسجنه ، وأخذ ينظر شكوى الناس منه ،  
ولم يلبث أن علم أن رست روش قد تأمر مع عدوه للغدر به ليظفر  
بسلطان أوسع ، فأمر بقتله والتثيل به .  
ثم التفت إلى أهل إيران فأصلح أحوالهم ، وتدارك ما فسد من



أمورهم ، وأبعد عنهم الوزير الذى أغراه الجشع بخان وطنه وملكه  
كما أبعد الراعى الكلب الذى أنسته الذئبة الغادرة حسن الرعاية .  
أما أتباع رست روش من الموظفين فقد عزلوا ، ثم أسند الملك  
وزارته إلى رجل عرف بالتقوى والنزاهة وحب ملكه ووطنه .

\* \* \*

والآن أعود بك يا مولاي إلى قصة الراعى الذى صلب كلبه ،  
فإن بهرام عندما سمع منه قصته أخرج من جعبته سهماً ورماه أمامه  
وقال له : لقد أكلت معك وشربت ، ووقفت منك على ما اعتراك  
من غم ، وما أصابك من خسائر . وسأعمل على تخفيف ما أصابك  
واعلم أنى من حجاب الملك بهرام كور ، يعرفنى كل عظماء  
بلاطه ، فخذ هذا السهم معك ، وأره من تقابل فى بلاط الملك ،  
وعندما يرونه سيحضرونك إلىّ وسأعوضك خيراً .

وبعد أيام قالت زوج الراعى — وقد باتت فى ضيق بعد أن  
فقد زوجها قطيعه — : قم إلى حيث أمرك هذا الفارس الذى زارنا  
منذ زمان ، وخذ معك السهم ، فإن عليه سياء العزم والقوة ، وإن  
قليلاً يعطيه من فضله لكثير لدينا . فخرج الراعى قاصداً زائر  
الكریم .

وكان الملك تدن به رجال حاشيته إلى قدوم رجل يحمل سهماً .

من سهامه ، فلم يكذ الراعى يريهم السهم حتى رحبوا به وساروا معه  
إلى الملك ، فلما رآه الراعى ارتعدت فرائصه ، وأرجح عليه ، لأنه لم  
يعامله بما ينبغي للملوك فقد كان جاهلاً شخصيته . وانحنى الرجل على  
قدمى الملك . فابتسم هذا وقص على الحاشية قصته ، وقال إنه  
مستبشر به ، لأنه نبهه من غفلته ، ولفته إلى شرّ دولته ، وكانت  
قصته سبباً فى خلاص البلاد من البلاء الذى ألمّ بها زمناً طويلاً .  
تم أمر أن تخلع عليه الخلع المالكية ، وأن يعطى سبعمائة رأس من  
الأغنام ، وأن يعفى من الضرائب .

( سياست نامه ٤ )



## الحجاج والدرويش

ظهر في بغداد درويش مستجاب الدعوة ، فناداه الحجاج  
ابن يوسف ، وقال له : ادع لي بالخير .

فقال الدرويش : اللهم اقض روجه .

فقال الحجاج : بحق الله ما هذا الدعاء ؟

فقال الدرويش : هذا الدعاء خير لك ولكافة المسلمين .

(كلتان)



## ٥ المرأة

قال نظام الملك للسلطان ملكشاه :

قد سمعت أن السيدات المحجبات اللاتي لا ذكاء لهن يتدخلن في شرن الدولة ، ولادخل لهن فيها . والذي أعرفه يامولاي أن كل ما نطلبه إلى النساء هو أن ينجبن لنا الأبناء ليبقى النسل الطيب ، وكلما علا أصل السيدة زاد تقدير السلطان لها ، وكلما تشددت في الحجاب طاب الثناء عليها . وليعلم الملك أن نصائح سيدات القصر مبنية على ما يسمعن ممن لم تخلص نياتهم ، وأنهن لا يرين ما يجري في الخارج ، فيتخذن من هؤلاء المفسدين عيوننا ، ويستقين من صاحبة أو الخادمة أو الخادم الأبناء ! ولذا فإن أوامرهن تكون بعيدة عن العدل والصواب ، وهكذا ينفثن في الدولة الفساد . وفي هذا يامولاي مساس بنفوذك ، وفيه مضرة للشعب ، إذ أن به تحتل أمور الدنيا والدين ، فقد تلف — إذا استمع الحاكم إلى قول امرأته — أحوال الناس وتسفك دماء عظمائهم .

وإن أنعمت النظر في التاريخ يامولاي وجدت أنه ما من مرة

وقع السلطان فيها تحت تأثير المرأة الإلحاح في دولته الفساد والفتنة وصنوف الشر . ولن أطيل عليك في حديثي عن سوء أثر تدخل المرأة في شئون الدولة . فهذه قضية مشهورة والشواهد عليها كثيرة وهي قديمة قدم الإنسان ، منذ مس آدم الضرح حين استمع إلى قول أمنا حواء ! ومنذ أجيال لقيت المملكة التي تحكمها ألواناً من الشر ، زهقت فيها أرواح الألوف من الترك والفرس ، لأن كيكافوس الملك خضع لامرأته سودبة ، فكان ما كان من شر أعوذ بالله من أن نوقعنا النساء فيه ، في هذه الأيام التي اتسعت فيها مملكتنا ، وأصبحت كعبة القصاد .

كانت سودبة امرأة جميلة ، وتمتع كيكافوس في حبائلها ، لأنه شيخ كبير ولأنها زوج لعوب فاتنة ، فسيطرت عليه حتى أصبح لا يقضى أمراً بغير مشورتها . وكان للملك ولد من زوجته الأولى ، اسمه سياوخش ، عهد بتربيته إلى رستم القائد المشهور ، وكان إذ ذاك والياً على سيستان . وشب سياوخش بطلا ، فداع صيته وتحدث بفتوته الناس ، وبلغ مسامع سودبة أنه ذو جمال رائع فالت إليه واشتانت إلى رؤياه ولقياه ، فأوحت إلى كيكافوس أن يدعو ابنه لجوارره ، ليستعين به في عمله ، ولتمتع نفسه بالنظر إليه . فصدق الملك نصيحها وبعث إلى ولده فجاء المدائن حيث استقبله الشعب أروع استقبال .



وكانت سرذنة مشوقة إلى مقابلة سياوخش فطلبت من الملك أن يأمره بالدخول في الجناح المخصص لها ليرى إخوته ، وكانت امرأة فاسدة الخلق تميحة السيرة ، وكان سياوخش يسمع عن قصص غرامها ويكظم غيظه منها ؛ فلما طلب إليه الملك أن يدخل جناحها أحس أن أمراً يدبر له في الخفاء ، فرجا والده ألا يدخل وأن تخرج إخوته لتحيته ، ولكن الملك لم يوافق على رأيه وأمره بالدخول فدخل طاعة له .

ولم يكد سياوخش يدخل حتى أسرع سرذنة إليه واحتضنته بذراعيها وراودته عن نفسه فدفعها مستعصماً وخرج . . ودخل الملك عند زوجه فوجدها مضطربة غاضبة ، فسألها فاتهمت ابنه بأنه ضمها إلى صدره فدفعته ونهرته وأمرته بالخروج طرداً

وغضب الملك فخرج إلى حيث ابنه ، وسأله في عنف عما كان منه فقال : هي راودتني عن نفسي فدفعتها عني وفررت منها . قال الملك : النار تحكم بيننا يابني ، إن النار أحرقتك فهي صادقة وأنت من الكاذبين ، وإن كانت عليك برداً وسلاماً فهي كاذبة وأنت من الصادقين .

وأقيم حفل الابتهاال ، وأشعلت النار في وسط الميدان ، وصعد لهيبها حتى علا قمم الجبال ، واصطف قادة الجيش ورجال الدين على الجانبين انتظاراً لما تحكم به النار ، وجاء سياوخش راكباً فرسه

« شب رنك ، فانتحم النار وخرج منها من غير سوء ، فصلى الناس ودعوا ربهم ، وجمع الموابذة الخطب المتخلف من الحفل وبعثوا به إلى بيوت النار في أطراف إيران ، تبركا وتقرباً من الله .

وأدرك الملك براءة ولده وخيانة زوجته ، فدخل القصر غائباً حائقاً ولكن سودبة استطاعت بخداعها ومكرها أن تجعل غضبه فرحاً وحنقه رضا ؛ فعفا عنها ونسى ما كان منها .. ثم أمر بأن يولى ابنه إمارة بلخ ترضية له .

خرج سياوخش من النار وكان يظن أن الملك سيقتل سودبة جزاء خيانتها وكذبها ، فلما رأى ما رأى من تسامح والده معها لم يستطع صبراً على البقاء في المملكة وأخذ يفكر في بلد يلجأ إليه .

وكان لأفراسياب ملك الترك وزير عاقل اسمه ويران ، وقد علم هذا الوزير قصة الأمير الإيراني فاتصل به وحبب إليه الالتجاء إلى توران ، فهاجر . وهناك استقبله أفراسياب أجمل استقبال ، وزوجه من ابنته ، واختصه بحبه ، وأصبح لا يعقد أمراً في بلاده من غير مشورة سياوخش .

وكان لملك الترك ولد ضعيف الهمة ، سقيم الرأي ، مريض النفس اسمه كرسفز ، وقد رحب بسياوخش أول الأمر ولكنه حين رأى مكانته في هبوط ومكانة زوج أخته في صعود ولمس

ما بينهما من فراق ، في القروسية ورجاحة الرأي وبعد النظر ،  
حق عليه أشد الحق وأخذ يتحين الفرص ليرقع بينه وبين والده  
وقد استطاع أن يتهم سیاوخش بتهمة تبيحة عند أفراسياب فأهاجه  
فأمر بقتله فقتلوه ، وهكذا تمثل ملك الترك أمير إيران وبطلها  
سياوخش .

وبلغت الأنباء إيران وعلم الناس أن دم أميرهم قد أريق  
في بلاد الترك ، فغضبت أرواح الأبطال ودوى اللحن الحزين في  
الآسماع . أما رستم ، وإلى سيستان ، ومربي سیاوخش ، فإنه لم يكذب  
يسمع بالنبا حتى امتطى صهوة جواده وسار قدماً نحو المدائن فلما  
بلغها اتجه نحو قصر الملك فدخل غير مستأذن وصعد إلى جناح  
سوزبة فدخل غرفتها فجذبها من شعرها وساقها إلى الميدان فقطعها  
بسيفه إرباً إرباً . ثم رفع العلم الكاوياني وتقدم الجيش واتجه به  
نحو بلاد الترك لمحاربة ملكهم ، ودامت الحرب بين الشعبين سنوات  
قتل فيها آلاف من الترك والفرس .

كل هذا لأن كيكائوس كان ضعيفاً أمام زوجه سوزبة فأسلمها  
زمام نفسه .

\*\*\*

ولو تتبع يامولاي تاريخ العظماء لما وجدت أحدهم استودع  
امراً سراً أو اتخذها مشيرة . وانظر يامولاي إلى الإسكندر وقد نهر

دارا واستولى على ملكه فأراد بعض رجاله أن يزوجه من ابنة الملك المقهور ، فأشاروا عليه بدخول « الحريم » حيث ابنة دارا التي ذاع حديث جمالها وعذوبتها ، وبجانها بنات الأشراف وكهن على جانب عظيم من الجمال ، فقال الاسكندر لقد قهرنا رجالهم فلا تقهرنا نساؤهم ! ومضى في الغزو نحو الهند ولم يدخل « حريم » دارا .

\*\*\*

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « شاوروهن وخالفوهن » . وجاء في التاريخ أنه حين اشتدت على الرسول الكريم وطأة المرض كان بجواره السيدتان عائشة وحفصة عليهما السلام ، فسألته عن يصى بالناس في أثناء مرضه فقال : أبو بكر . فأعادتا سؤالهما فقال : أبو بكر قالت عائشة لحفصة : قرلى له إن أبا بكر رجل ضعيف رقيق القلب ، وإنه أقرب الصحابة إليك ، فإذا رأى مكانك من الناس شاغراً غلبه البكاء فتضيع صلاته وصلاة الناس ، فالأولى بإمامتهم عمر فإنه قوى رابط الجأش . فغضب النبي عليه الصلاة والسلام وقال ما معناه مثلكما كمثل يوسف وكرسف ، وإنى لن أسمع لكما رأياً وقد أمرت بما فيه خير المسلمين ، اذهبا إلى أبى بكر وقولا له يؤم الناس للصلاة . هذا مع ما كان لعائشة من رأى وعلم ، فما بالك يا مولاى بسائر النساء !

قال ملكشاه : وما قصة يوسف هذه يا أبا الحسن ؟

## ٦ يوسف وكرسف

فقال نظام الملك :

كان ذلك أيام بنى إسرائيل ، وقد قيل إن الله تعالى يستجيب  
ثلاث دعوات لمن يعبد الله أربعين سنة ولا يرتكب كبيرة  
أو صغيرة . وكان يوسف رجلاً متعبداً زاهداً يخشى الله ولا يسيء  
إلى أحد .

وكان يعيش مع زوجته كرسف وأولاده في قناعة وسعادة ،  
وقد آن ليوسف أن يدعو ربه ثلاث دعوات ، ولم يجد غير زوجته  
مشيرة بالذي يدعو ، فإن صلاحها من صلاحه ، وليس أصدق منها  
ناصحاً له .

فلما سألها قالت : ليس لي في هذه الدنيا سواك ، وأنت مني  
نور العين ، ويطيب بصحبتى عيشك ، فادع ربك أن يجعل لي جمالا  
ليس مثله جمال حتى أدخل على نفسك السرور كلها وقع نظرك علي .  
فدعا يوسف ربه أن يمنح كرسف جمالا ليس لواحدة من بنات  
حواء ، فصارت .



وأبصرت كرسف وجهها ذات يوم في المرآة فإذا هي كالملاك  
الكريم جمالا ورقة ، وألفت نفسها زوجاً لهذا الزاهد المتعبد القانع  
الذي لا تجد عنده غير شظف العيش ، والذي لا يعرف إلى كسب الحياة  
سبيلا ، ورأت أن جمالها جدير بملك عظيم يوفر لها أسباب السعادة  
الحقة ، ويغدق عليها من الخيرات والنعيم ، ويهبها من الآلىء والجواهر  
ما يزدان به جمالها. هكذا وسرس لها الشيطان فأخذت تؤنب زوجها  
على فقره وتناعه عن الكسب ، وأهملت أطفالها .

وأحسن يوسف مافي زوجه من صلف وغرور ، ورآها تهمل  
بيتها وأولادها ولا تستمع لنصحه ، فرفع إلى السماء رأسه ودعا  
ربه أن يعاقب كرسف فيجعلها دبة تهيم على وجهها ، فصارت .

وأخذت الدبة تحوم حول البيت وتلتصق بجدرانها والدمع من  
عينها ينهمر ، واضطر يوسف أن يرعى أولاده وبيتته بنفسه ،  
وأصبح لا يقدر على تأدية الصلاة في وقتها ، ورأى أطفاله وقد  
امتلات قلوبهم حزناً لفقد أمهم .

فرفع رأسه إلى السماء مرة ثالثة ، ودعا ربه أن يعيد كرسف  
كما كانت من قبل ، فعادت إلى حالتها الأولى ، وانتهت الدعوات الثلاث  
وأصبح يوسف وقد ضاع عليه نسك أربعين سنة !  
كل هذا لأنه اتخذ من زوجه مشيراً .

\*\*\*

وأختم حديثي بأن أذكر مولاي بالآية الكريمة : « الرجال  
قوامرن على النساء ، فلا تستمع لمشيرتهن يا مولاي ، واجعل من  
ابنك بركيارق خلفاً لك ، يحافظ على دولتك ويخلد اسمك ، فإن له  
من كبر سنه ، ووفرة تجاربه ومرانه على فن الحكم ما يؤهله لوراثته  
ملكك العظيم .

وحذار يا مولاي من الإنصات لتركان خاتون ، فإنها تريد أن  
تغريك بجهالها وفتنتها وأن تحملك على جعل ولاية العهد لطفلها منك  
وتبعد ولدك بركيارق عن عرشك ، فاجعل العهد له ، واعقلها  
يا مولاي وتوكل .

( سياست نامه ٤٣ )



## ٧ لص في بيت درويش

سطا لص على بيت درويش بالليل ، وأخذ يفتش لعله يجد شيئاً  
يسرقه ، وكان الدرويش مستيقظاً واللص ينقب فصاح به :

إني في ضوء النهار لا أجد في هذا البيت شيئاً فماذا تريد أن تجد  
في ظلمة الليل البهيم ؟

(كلمة)



اجتمع لسليمان بن عبد الملك من أسباب الملك ما لم يكن لأحد من آباءه ، وقد جلس يوماً ومن حوله حاشيته وكان بنفسه أن يقول : إن الله وهبه من الملك ما وهب سليمان الحكيم ، إلا أنه لا تدعن له الطير ولا تطيعه الجن . وبينما هو يفكر في هذا إذ بادره أحد خاصته بقوله : إن الخليفة مع ما أتىح له من عظمة الملك وأبهة السلطان ينقصه شيء واحد هو زينة البلاط عند الملوك السابقين . قال سليمان : أفصح ، قال الرجل : ينقصك يامولاي وزير من أبناء الوزراء الأقدمين تزدان به ، ملكتك وتستعين به في إدارتها .

قال الخليفة : ولكن أين أجد هذا الوزير ؟

قال المتحدث : إنه يبلخ واسمه جعفر بن برمك (الجد) وهو من نسل البرامكة الذين وزروا للساسانيين منذ أيام أردشير بن بابك وقد زالت عنهم الوزارة حين ذهب ملك آل ساسان ، وهم يترارثون — منذ الفتح العربي لبلادهم — القوامه على بيت نار التوبهار ، كما

يتوارثون كتباً في أصول الحكم وواجبات الوزير ، وضعها الآباء  
وزاد فيها الآبناء ما جد من تجاربهم ، ولست أرى من هو أجدر من  
جعفر هذا بوزارتك ، والرأى لمولاي .

ورأقت الفكرة لسليمان فأمر والي بلخ أن ينأدى جعفر بن  
برمك وأن يهبطه مائة ألف دينار ثم يوجهه إلى دمشق . وتوكل  
البرمكي في رحلته الطويلة أحسن الاستقبال ، فقد شاع أنه ذاهب  
ليتقلد الوزارة . وأمر الخليفة باستقباله استقبالا رسمياً في البلاط  
فاجتمع الأمراء ورؤساء القبائل وذوو الرأى لمقابلته ، فلما بلغ  
جعفر القصر فتحت له الأبواب ، ولم يكد يدخل قاعة العرش حتى  
وتف الحاضرون تحية وإجلالا .

ولكن الخليفة تجهم ، وأمر بطرده شر طردة ، وتمد استشاط  
غضباً وقال : خذوه فغلوه . وسأته الحرس خارج القاعة ، وظل  
الخليفة عابساً . وأما الحاضرون فكان على رموسهم الطير ، إلى أن  
حان وقت الشراب ، ولعبت الكئوس بالرموس ، وتفتحت  
أسارى سليمان ، وأمن الحاضرون غضبه .

قال أحدهم : بعث يامولاي في طلب جعفر ، وأحطته في  
رحلته بعطفك ورعايتك ، وجلست تنتظر حضوره ، وهو شرف  
لم تمنحه أحداً من قبل ، ثم طردته من مجلسك وأنت غاضب عليه  
فهلأ شرحت لنا الحكمة في ذلك يامولاي ؟



قال الخليفة : إنه دخل بلاطنا وفي يده السم ، ولولا أنه من أبناء الوزراء السابقين ، وقد أمرنا بإحضاره من بلد قصى ، لأمرنا بقتله صبراً (١)

قال صاحبنا : إذا أذن مرلاى سرت إليه لاستين الأمر فإنى أرى فيه سرأ ، فأذن الخليفة له .

وأجاب جعفر سائله بأنه يحمل السم فى خاتمه ولكنه سم لا يضر حشرة حقيرة فى الأرض وهو لا يفكر فى إيذاء مخلوق به ، وقال إنه ورث الخاتم وما يحتويه عن آبائه الوزراء الذين حملوه لازدراء ما فيه من السم إذا انتضى الحال ذلك ، فكثيراً ما كان الملوك يغضبون عليهم فيصادرون أموالهم ، ويعرضون للبرار أرواحهم ، قال : وحين نادانى الخليفة خشيت أن يطلب إلى ما لا قبل لى به ، وخفت أن يأمر بتعذيبى عذاباً لا قدرة لى على احتماله ، فلبست الخاتم لأسرع إلى موت بابتلاع سمه قبل العذاب الأليم .

وعلم الخليفة سر حمل جعفر السم فى خاتمه ، فراقت له الفكرة ورضى عنه ، وأمر بأن يرسل إليه حصان من خيوله المطهمة وبأن

---

(١) لم يرد اسم البرامكة أيام الساسانيين فيما نعلم من مصادر تاريخهم ، والمعروف أن جعفر البرمكى ( الجند ) وفد على عبد الملك كطبيب للأمير مسلمة ( ٨٦ - ٧٠٥ ) . وسماوا البرامكة من فعل برمكيدن بمعنى المص أى مص السم . انظر مادة برمك فى : ( فرهنك انجمن آراى ناصرى ) .

يحضر راكباً إلى البلاط .. واستقبله أجمل استقبال ، ثم أمر بإعداد غرفة الشراب فزينت بالذهب والفضة وفرشت بالبُسط المنسوجة من الذهب الخالص ، وبدت القاعة في أبهى حلة ظهرت بها .

ثم انتقل الخليفة ووزيره الجديد والحاشية إليها وأخذوا في الشراب .

ولما اطمأن جعفر إلى الخليفة سأله : كيف عرفت يامولاي أني أحمل السم مع أن أحداً لم يفطن لذلك ؟

فقال الخليفة : إن معي سراراً هو أثمن كنوزي جميعاً ، لا أنفصل عنه ، ولا هو ينفك عني ، وهو عشر صدقات تشبه الجزع ( نوع من الصدق ) وليست منه ، وجدته في خزانة أحد الملوك فإذا أدخل في غرفتي طعام أو شراب مسموم أو دخل من يحمل سماً ، اضطربت الصدقات وفقدت هدوءها ، وبفضل هذا السوار عرفت أنك تحمل السم ، وقد كان يزداد اضطراب صدقانه كلما تقدمت مني ، ثم نزع الخليفة السوار من يده وأراه لجعفر ، وسأله إذا كان قد رأى في حياته شيئاً أعجب بما يرى .

فقال البرمكي : نعم يامولاي ، ما رأيت مع حاكم طبرستان .

\* \* \*

عرجت على آمد وأنا في الطريق إلى دمشق عملاً بأمر مولاي

فاستقبلني - كما كرها - وأنزلى ضيفا عليه وأحاطني بالرعاية والعناية ، وقد  
سأل إذا كنت أرغب في رحلة بحرية ترويحاً عن النفس من مشقة  
الطريق فرافقته وركبنا السفن ومعا أهل المرسى والغناء ، ومن  
حوالنا السقااة يديرون كئرس الشراب ، والجو صحو جميل ، وكنا  
في سفينة واحدة وهو قريب مني ، فرأيت في إصبعه خاتماً لم أر  
أجمل من النص الذي يزدان به ، فحدثت فيه طويلاً ، فلما لاحظ  
ذلك انزعج من إصبعه وتقدمه هدية لي ، وخشيت أن تكون إطالة  
نظري فيه قد أخرجته ، فردته شاكراً معذراً ، فألح فألححت  
في الاعتذار عن القبول ، وقال : إن ما يخرج من يدي هدية لا يعود  
إليها ، فأبكت اعتذاري فأخذ الخاتم من يدي وألقاه في اليم ! فصحت  
أسفاً وقلت : لو عرفت أنك ملقيه في البحر لأخذه .

قال : إليك حين أطلت النظر فيه علمت أنه راق في نظرك أكثر  
من بروق لي . وما أنت ذات تحزن لقراره في قاع البحر ، ولكن واجد  
الوسيلة لإخراجه ورده إليك . ثم أمر خادماً بأن يعود إلى البر وأن  
يذهب إلى القصر ويطلب من الخازن أن يعطيه الصندوق الفضي  
الذي في الخزانة ، وأمر ربان السفينة التي كنا بها بالتمهل . وعاد  
الخادم يحمل صندوقاً فضياً صغيراً ، فتناول الخاتم وأخرج من  
منطقته مفتاحاً ففتح به الصندوق وأخرج منه سمكة من الذهب  
الخالص ، وألقاها في الماء ، وبعد لحظة عادت السمكة وفيها الخاتم

المفقود . . ثم نزع جعفر الخاتم من إصبعه وأراه للخليفة ، فأعجب  
هذابه ورده إليه وقال : إن ذكرى كرم هذا الوالى لا يجوز أن تضيع .

ولبت شأن البرامكة فى الارتقاع حتى قلب لهم الدهر ظهر المجن  
فزالت دولتهم . وما قصدت بهذا الحديث أن أعرض على مولاي  
من شهير من قصصهم ما يعرف وإنما قصدت ذكر القواعد اللازمة  
لاختيار الوزير الكفء الذى يعلم واجبه نحو الدولة . وما القصص  
إلا ليسهل على مولاي القراءة ، وفقك الله وأرشدك إلى ما فيه  
صلاح الدولة والدين .

( سياست نامه ٤٢ )



## ٩ النصيح الأثيم

سمعت أن ملكاً أمر بقتل أسير ، فأخذ هذا يشتم الملك ، فإنه وقد يثس من حياته لم يقيم وزناً لقدر أحد ، وإذا يثس الإنسان طال لسانه .

وكان الملك يجهل لغة الأسير ، فسأل ماذا يقول : فقال وزير طيب إنه يقول : « والكاذمين الغيظ والعافين عن الناس » فأشفق الملك عليه وعفاه عنه .

وكان في الحضرة وزير خبيث فقال : لا يليق بنا نحن الوزراء أن نكذب على الملك : إن الأسير يشتم الملك ويطيل لسانه في سبه . فتجهم وجه الملك وقال لهذا الوزير الخبيث : إن كذب صاحبك أحب إليّ من صدقك ، فقد قصد الخير وقصدت الشر ، ولم يعدل الملك عن عفوه .

( كلمتان )



## ١٠ المعتصم ونخياط والمملوك

حدثك يا مولاي عما ينبغي على السلطان من رقابة وزرائه وولاته ، واليوم أسعد بالتحدث إليك عن موقفك من الممالك الأتراك الذين كثروا في الدولة منذ أيام الخليفة المعتصم . فقد كان هذا الخليفة يحبهم ويؤثرهم على سائر مواليه ، واتسع نفوذهم حتى لقي الناس منهم كثيراً من المظالم والآلام ، وقد ازداد عددهم في عهدك السعيد يا مولاي ، ولا عجب فإن انضمام القبائل التركية للدوحة السلجوقية واردة الظلال كان أمراً لا بد منه ، والممالك الترك هم خير من يدافع عن حدود البلاد ، وخير من يفتح ويغزو ، وبفضلهم تتسع الدولة ويكثر عدد المسلمين فيعزز الإسلام ، وقد أشرت على مولاي باتباع سياسة والده العظيم « ألب أرسلان » ، في استغلال قوتهم وحبهم للنظام وميلهم إلى الحرب والفروسية وتعصبهم الشديد للدين الخفيف ، فتكون الحدود لهم مستقرّاً ليحموها ويدفعوا أعداءنا عنها ، وليسهل قيامهم منها للغزو والجهاد في سبيل الله .



وعلى الملك الصالح أن يراقبهم أدق المراقبة ، وأن يسأل عن سلوكهم ، وألا يتوانى في توبيخ أشد العقوبات على من يعتدى منهم على الناس . فإنهم طغاة في الحرب ، بغاة في السلم ، لا يقف في سبيل شهواتهم قانون أو سلطان . فإذا وجدوا الملك يقضاً في محاسبتهم خافوا بأسه وشدة مراسه وخضعوا لما يفرض عليهم من نظم .

هكذا كانت سيرة المعتصم منهم ، فإنه بقدر تدليله لهم والإسراف في منحهم وتميزهم على بقية مرأيه ، لم يكن يتوانى عن الضرب على أيديهم إذا ما ابتدروا أحداً باعتهاء . ولعلك سمعت عن مملوك بغداد وما جرى منه وكيف عاقبه الخليفة المعتصم .

\*\*\*

فقد حدث أن أميراً تركياً من الممالك — وكثيراً ما كان المعتصم يرفع عبيده إلى هذه المرتبة — طلب من نائبه أن يدلّه على تاجر يقرضه خمسمائة دينار على أن يردّها إليه حين يفرجها الكريم ، . ويأتى ربيع الإقطاع . قال الوكيل : إني أعرف تاجراً متوسط الحال لديه المبلغ الذى تريده . فإذا ماداه الأمير وأجلسه فى مكان الشرف من مجلسه ، وطلب منه أن يقرضه هذا المال فإنه لا يتأخر . فبعث الأمير رسوله للتاجر وتقابل معه فى قصره مقابلة ودية ، وقد أخذ الأمير فى الثناء على التاجر ووصفه بالأمانة والتقوى وحسن السمعة ، وقال : إنه لثقت به يفكر فى أن يشركه

في مشروعاته المالية ، وطلب إليه أن يعتبر قصره بيتاً له وأن يعامله كما يعامل الأخ أخاه . وجاء وقت الغداء فأجلسه الأمير على يمينه وأخذ يختار له ما طاب من كل صنف ، ويلح عليه أن يأكل وأحاطه بكل إجلال ومجاملة .

وانتهى الغداء ، وانصرفت حاشية الأمير ، فبقى مع التاجر على انفراد فحدثه عن سبب استدعائه ، وأخبره أنه يعرف أثرياء بغداد جميعاً ، وأنهم يجبرونه ويرغبون في أن يشركهم في أعماله ، قال : « وأنا أستطيع أن أقترض منهم عشرة آلاف دينار ، إلا أنني آثرتك فأقرضني ألف دينار ، وأنا أردّها إليك بعد خمسة أشهر ، ومعها كسرة كاملة . » فلم يستطع التاجر أن يرفض ، ولو أنه اعتذر عن عدم وجود المبلغ كله ، إلا أنه يستطيع دفع ستمائة دينار ادخرها مع الزمن الطريق المرير . فقبل الأمير هذا القدر وأعطاه إيصالاً وتعهداً برده مع الكسوة ، ثم انصرف التاجر .

ومضت الأشهر الخمسة ، وكثر تردد التاجر على الأمير ، فلم يد هذا أية إشارة على تذكره الدين الذي اقترض . . . ويش التاجر من التليخ فكتب التماساً وقدمه للأمير فأجابه بأنه متذكر ، وأنه أمر نوابه بدفعه . . . وانتظر صاحبنا على غير جدوى . . . ولجأ إلى الوسطاء من أصدقاء الأمير فذهبت جهوده وجهودهم عبثاً . . . فهرع إلى القضاء ، وبذل القاضي كل ما يملك من وسيلة ، ولكنه

فشل في أن يرد للتاجر درهماً من دينه . . . فيئس الرجل وأسلم أمره لله .

وذهب إلى الجامع يصلي ويبت ربه شكواه ، ورفع يديه للسماء ودعى ربه أن يظله بحمايته وأن يرد إليه حقوقه . . . وسمعه درويش بجانبه فسأله عن أمره فقص عليه قصته .

قال الدرويش : هدىء من روعك يا صاحبي ولا تيأس فإن الحق في هذا العهد لا يضيع ، اذهب إلى « حى الجامع ، وادخل الدكان الصغير المجاور للباب ، تجد خياطاً متراضعاً ، فاستأذن وقص عليه قصتك ، يحضر إليك مالك من الأمير .

فذهب التاجر ، ولقى الخياط وقص عليه قصته ، فأمر هذا أحد الصبيان أن يترك الإبرة وأن يذهب إلى قصر الأمير ويخبره أن الخياط يطلب إليه أن يرد مال التاجر الذى استدانه فقد انقضى أجله . وبقى التاجر متعجباً مما يرى ويسمع ، وعاد صبي الخياط فأخبره أن الأمير حاضر ليرد للتاجر ماله وليعتذر إليه عن تأخير السداد . وبعد لحظات جاء الأمير فنزل عن حصانه وقبّل يد الخياط ، وحيا التاجر وأعطاه ما عليه من دين معتذراً ، وانصرف .

لم يدر بخلد التاجر أنه سيصل إلى حقه ، ولم يلجأ إلى الخياط إلا تسلياً ومحاولة يأس . فلما رأى ما رأى ، عرض عليه أن يأخذ

مائة دينار ، فنظر إليه الخياط مراً خذاً وربت على كتفه معتذراً ...  
فعاد التاجر يلح وأعاد الخياط الاعتذار والرفض ... وذهب التاجر  
إلى بيته يتفكر فيمن يكون هذا الخياط ، وما شأنه ؟ وفي اليوم  
التالي أحضر حملاً مشوياً ، وأصنافاً من الحلوى وسار إلى الخياط ،  
ورجاء أن يأكل مما أعد له ، فطيب هذا خاطره ، وتناول بعض  
الطعام ثم أعطى باقيه للصبيان ...

\* \* \*



## ١١ اذانٌ في غيرِ اوانٍ

ثم سأل التاجر الخياط عن قوته وسر سلطانه على الأمير مع  
عجز القاضي عن تحقيق العدالة حياله ، فسكت الخياط قليلا ثم قال  
إن لهذا قصة سأقصها عليك ، قال :

\*\*\*

كان ييغداد أمير تركي ذو سطوة وجبروت ، ولم يكن أحد  
يجرؤ على مراجعته أو نقد أعماله ، وكان الحكام يخشون بأسه  
فلا ينصتون لشاك منه . فطنى التركي وبغى وتكبر .. وحدث أن  
كنت في الدكان ذات يوم ، وإذا بالأمير يجر سيدة من شعرها ،  
والسيدة تصرخ ، وكلما رأت جماعة منا في السوق رفعت صوتها  
بأنها سيدة شريفة وزوجة ذات عفاف ، وأن الأمير يخطفها لأمر  
في نفسه ، وأن زوجها يطلقها إذا عرف أن الأمير اغتصبها غصباً .  
وعلا صراخ المرأة ، وأتباع الأمير من حوله يبعثون الرعب في  
قلوب الناس ، فلم يجرؤ أحد منا على تخليصها من يدى هذا الوحش  
النائر .. فسرنا وراءه حتى إذا دخل القصر ، بعثنا إليه بأنا نريد

مقابلته ملتمسين تسريح هذه السيدة ، فردنا بخشونة وأمر جنده  
بطردها وضربنا فانصرفنا أو قل ولينا منهم فراراً .

ذهبت إلى بيتي فلم أستطع النوم ، وكان من عادتي أن أؤذن  
الفجر في الجامع المجاور لي ، وأنت تعلم أن السكران إذا اشتدت  
عليه وطأة السكر غلبه النوم ، فإذا أفاق لم يدر في أي ساعة يكون  
بخال بخاطري أن أصعد المئذنة وأنادي لصلاة الفجر ، قبل ميغاده  
عسى أن يحسب الأمير أن الفجر لاح ، فيترك للسيدة حريتها فتعود  
إلى بيتها .. فصعدت على المئذنة ورفعت صوتي مؤذناً ، في غير  
وقت الأذان ..

كان الخليفة المعتصم مستيقظاً وقتذاك ، فلما سمع الأذان في غير  
الأوان غضب ، فنادى حاجبه فأمره أن يحضر هذا المؤذن الجريء  
الذي يعيث بالدين وبيت الله .. فجاء الحاجب وساقني غاضباً إلى  
الخليفة الذي لم يكذب رأني حتى نهرني مستكراً ما أتيت من وزر ثقیل ..  
قلت فليهدأ مولاي وليسمع قصتي ؛ فلما سمع القصة ووقف  
على قصدي من الأذان في غير الأوان ، هدأت نفسه وشكرني  
وقربني منه .. ثم أمر الحراس أن يذهبوا إلى قصر الأمير ، وأن  
يحضروه مكبلاً ، وأن يخرجوا السيدة ويذهبوا بها إلى بيتها وأن  
يعتذروا لزوجها عن اعتداء الأمير ، وأن يبلغوه أن الخليفة مقتصر  
منه قصاصاً عادلاً ...



وجاء الأمير فلم يستطع أن يدحض ما روى عنه ، فأمر الخليفة بأن يوضع في كيس وأن يضرب بالعصى ، فظلوا يضربونه حتى دقت عظامه وصارت هشياً ... ثم ألقوه في دجلة . وأمر الخليفة بإذاعة قصته بين الناس ليعلموا أن الأمراء الترك المماليك ، مهما بلغوا من القوة والبأس ، فإن الخليفة حامى المسلمين والقائم على تنفيذ شريعة الله قادر على أن يخضعهم ويذيقهم مر العذاب بما يأتون .

وأما أنا فقد علت مكاتى عند الخليفة ، وحمدلى شجاعى فى الحق وإيمانى بالله ، وطلب إلى أن أؤذن كلما رأيت ظلماً لم أستطع له دفعاً . ولذا أذعن - يا صاحبي - الأمير الذى أخذ نقودك ، عندما طلبت منه أن يرد دينك إليك ، ولولا ذلك لأذنت ولدفع الثمن غالياً من حياته .

\* \* \*

هكذا يا مولاي ينبغي أن يكون سلوك الملك من ممالكه ، وإذا كان هذا سلوك المعتصم الذى سبقك بأكثر من قرنين ، حين كان الأتراك قلة وكان وجودهم بوصفهم موالى للخليفة ، فما بالك وأنت اليوم فى دولة تقوم على الأتراك من القبائل التى انضمت إلى أسرتك الرفيعة ..

إن على الملك الصالح ألا يفرق بين أمير وصغير فى مملكته ، فكلهم رعاياه ، وكلهم يشارك فى عظمة الدولة ، وقد يكون نصيب

الصغير في مجدها أعظم من نصيب الأمير . . فلا تدعن أحداً منهم  
يعلو في الأرض ، ولا تصبرن على ضيم أصاب أحد رعاياك . . .  
واضرب على يد من يستكبر على أخيه ، إذا لعب برأسه جاه المنصب  
أو ما خلعت عليه من نعم . . . فإن الواحد القهار أقامك فينا لتأمر  
بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وأما كيف يكون ذلك فحسبك من  
سيرة المعتصم مرشداً ودليلاً .

« سياست نامه ٧ » .



رأى السلاجقة حين صار الأمر كله إليهم فى الشرق الإسلامى أن يقسموه إلى إقطاعات ، وأن يولى رؤساء القبائل التركية إدارته ، على أن يعمل هؤلاء الرؤساء على تعمير إقطاعاتهم وجباية الأموال المستحقة عليها ، وليس لهم أن يأخذوا من الناس غير الضرائب المفروضة ، وعليهم جبايتها بالحسن ، وإذا دفع الحرّاث ما عليه من الضريبة فمن حقه أن يكون آمناً على نفسه وأمواله وعياله .

ولكى يتوفر للناس الضمان فى أن السلطان يرعاهم ، إذا مسهم من أصحاب الإقطاع ضرر ، وجب ألا يحول أحدهم دون دخول الأفراد القصر لرفع مظلمة أو إثبات حالة . وإذا خالف أحد أصحاب الإقطاعات ذلك نزع منه إقطاعه ، وناله عقاب شديد ، ليكون مثلاً لغيره وعظة للآخرين . وعلى الناس أن يعلموا أن الإقطاعات وساكنتها ملك للسلطان ، وأن أصحاب الإقطاعات والحكام حراس عليها من قبله .

وأنا أحدثك يا مولاي عن أنوشروان وسيرته فى الرعية ويقتضيه فى حمايتها من جور العال . فقد ولى أنوشروان العرش شاباً

في الثامنة عشرة من عمره ، وكان أبوه قباد متساهلاً مع الحكام ،  
منغمساً في اللهو ، حتى فشلت في أيامه آراء مزدك التي قلبت في إيران  
الأوضاع فأفسدتها كما قدمت يا مولاي .

وكان أنوشروان عادلاً بطبعه منذ صباه ، يحق الحق ويدحض  
الباطل ، فلما خلف والده ، وخلص له العرش ، جمع حكام الأقاليم  
والأشراف ونصحهم بالرفق بالرعية ، وإقامة العدل بين الناس ،  
يعزل من يخرج على نصحه ، ويقتل من يعتدى على أحد رعاياه ..  
وانصرف الحكام إلى ولاياتهم ، فساروا سيرتهم الأولى ، يظلمون  
الناس ، ولا يعبأون بنصح الملك ، واستمر الحال على هذا المنوال  
خمس سنين ، وأنوشروان يعلم ما يرتكبون من أساليب الجور وقنون  
الظلم ؛ ولكنه اتبع الصبر والمداواة .

وكان أقوى هؤلاء الحكام وأكثرهم ثراء وجاهاً قائد ولاية  
آذربيجان ، وقد أراد هذا ، أن ينشئ لنفسه حديقة ومنزلاً صغيراً  
في ضواحي البلد الذي يقيم به ، وكان جزء من الجهة التي اختارها  
مملوكاً لعجوز فقيرة .

كانت العجوز قانعة بما تملك ، فقد كان كافياً لأن تدفع من  
غلتها الضريبة التي يتقاضاها الملك وأجر الحراث الذي يعمل  
في المزرعة ، ويتبقى بعد ذلك ما يكفل لها أربعة أرغفة كل يوم ،  
فكانت تعطى رغيفاً للبائع اللبن والخضروات مقابل ما تأخذه

منهما ، ورغيفاً للبقال نظير ما تأخذ من الزيت لتضيء سراجها ، ورغيفاً تأكله في غداها ورغيفاً في عشائها . أما ملابسها فكانت تأتيها صدقة من جيرانها ؛ وكانت تؤثر الوحدة ، فهي حبيسة كوخها لا تخرج منه إلا لحاجة ماسة ، ولا تكلم أحداً إلا كارهة ، ولكنها مع هذا الفقر كانت قريرة العين ، شاكرة لربها جزيل نعمه عليها .

وأراد الحاكم أن يأخذ مزرعتها الصغيرة والكوخ الذى تسكنه ، فأرسل إليها من يبلغها رغبته وأنه يسره شراء كوخها والمزرعة ، فأجابت بأنه يسرها أكثر أن تحتفظ بهما ، لأنها لا تملك من حطام الدنيا غيرهما ، ولأنها تأكل من المزرعة ومن ذا الذى يبيع مورد رزقه ؟

قال رسل الحاكم : إنا سندفع لك ثمن ما تأخذ وإن شئت نعطيك مزرعة بدلا من مزرعتك ؛ فاعتذرت العجوز بأنها ورثت مزرعتها عن والديها ، وأن ماء الرى قريب منها ، وأنها سعيدة بجيرانها لأنهم يحترمون بؤسها ، وهذه كلها ميزات لا تتوافر في مزرعة أخرى ، وناشدت رسل الحاكم أن يتركوا مزرعتها .

وعلم الحاكم أنها رفضت أن تعطيه المزرعة والكوخ ، فلم يتوان في استغلال قوته ، فأخذ المزرعة عنوة وهدم الكوخ وأقام السور حول الحديقة الغناء التى غرسها !

أما العجوز فقد أبصرت نفسها ولا يبت يؤويها ولا مزرعة  
تأكل منها ، وألفت الحاكم قد غضب عليها ، فلم يبق لها حام  
ولا راع ، فراحت تتوسل إليه أن يعطيها ثمن ما غضب أو بدلا  
بما أخذ ، وكلما خرج إلى الصيد انتظرت في الطريق ورفعت بالشكوى  
والتوسل صوتها ، فكان في آذانه وقرأ فهو أصم لا يسمع ، والتمست  
من ضباطه أن يبلغوه شكواها . قالوا : إنا فاعلون ، سخرية منها .

ومضى عامان والعجوز في فقر مدقع ، تأكل من فتات الناس  
وتعيش على عطفهم ، وكل لحظة تشتكي إلى الله ، حتى كادت تيأس  
من رحمته . . . إلى أن مر بخاطرها ذات يوم أن في « المدائن »  
ملكاً هو ملك الملوك ، وهو فوق حاكم آذربيجان ، وهو قادر  
على أن يرد لها مزرعتها أو ثمنها أو مزرعة أخرى بدلا منها ،  
ولكن كيف تسمعه شكواها ؟

فعمدت على السير إلى المدائن ، ولم تطلع أحداً على عزمها ،  
ثم مشت قدماً ، يضئها بعد الشقة ، ويشد أزرها الأمل ، حتى بلغت  
المدائن وأشرفت على قصر الملك . ولكن كيف السيل إلى دخول  
هذا القصر ومقابلة سيده ، ومن قبل كانت عاجزة عن دخول قصر  
حاكم آذربيجان الذي هو خادم للملك ؟

ورأت أن من الخير أن تلجأ إلى مكان قريب من القصر ، وأن



تسأل عن موعد خروج الملك للصيد ، وأن تتقدم إليه بقضيتها  
حين تقابله وجهاً لوجه .

ويشاء القدر أن يخرج الملك إلى الصيد وفي حاشيته حكام  
الولايات جميعاً ، فذهبت العجوز واختبأت وراء شجرة ، وحين  
بلغ أنوشروان مكانها ، بادرته — ولما ينزل عن حصانه — قائلة :  
إذا كنت ملك الدنيا فارحم التي جاءتك تشكو ظلم واليك ! فأدرك  
أنوشروان أن أمراً ذا بال حملها على أن تلجأ إليه وأن تسلك هذا  
السييل الصعب لمقابلته ، فاقرب منها ، وهدأ روعها ثم استمع  
إليها . . . . واغرورقت بالدمع عيناه ثم قال : خفني عن نفسك  
يا أماه فإن قضيتك بالأمس هي قضية الملك منذ اليوم . . . .

ثم أمر أحد حجابيه أن يعنى بأمر العجوز البائسة وأن يحملها  
على حصانه إلى رئيس القرية لتقيم في بيته ، حتى تستريح ، وأمر  
بأن تعطى كل يوم عشرة أمان من الخبز ومنأ من اللحم ، وخمس  
قطع من الذهب كل شهر . . . .

وعاد الملك من الصيد وهو يفكر في شكوى العجوز وكيف  
يحققها .

اختار أنوشروان غلاماً ذكياً من خدمه وكلفه أن يذهب إلى  
آذربيجان وأن يسأل عن قصة العجوز . . . . وأظهر أمام الحكام

— ومنهم حاكم آذربيجان — أنه أوفد الغلام ليطلعه على حال المدن والقرى ومقدار ما ينتظر من غلات . . .

وجاء الغلام فأخبر ملكه أن العجوز الشاكية سيدة من أسرة نبيلة ، كانت تعيش مع زوجها وبنها ، ولكنهم ماتوا جميعاً وتركوها وحيدة . . . وأناخ عليها الدهر فمستها الفاقة ولم يبق لها إلا المزرعة التي كانت تأكل منها ، والكوخ الذي تأوى إليه .

وقضى أنوشروان نهاره وليله يفكر في العقوبة التي ينزلها بهذا الحاكم الظالم ، وفي اليوم التالي أمر حاجبه بأن يطلب إلى والي آذربيجان أن ينتظر حتى يناديه الملك ، وأن يدع بقية الإشراف يدخلون القاعة حيث جلس الموابذة .

ودخل الملك القاعة فقام الجميع إجلالا ، وحين جلس أشار إليهم بالجلوس فجلسوا ، ثم قال : أريد أن أسألكم أسئلة وأن تجيبوني عليها بضمائرکم ، فقالوا : سمعاً وطاعة . قال : كم يملك حاكم آذربيجان من النقود؟ قالوا : ألف ألف مرتين من الدنانير فوق حاجته . وكم له من الآنية والأدوات؟ له منها ما يساوي خمسمائة ألف دينار ، وهي من الذهب والفضة . وكم له من الضياع والعقار؟ ليس في خراسان والعراق وفارس وآذربيجان مدينة أو ناحية إلا وله فيها القصور والأربطة وغيرهما مما يستغل .

وكم له من الخيل والبغال ؟ ثلاثون ألفاً .

وكم له من الغنم ؟ مائتا ألف .

وكم له من الجمال ؟ ثلاثون ألفاً .

وكم له من العبيد ؟ له ألف وسبعائة غلام منهم التركي والرومي والحبشي ، وله أربعائة جارية .

قال الملك : الرجل الذي عنده هذه الثروة والذي تجدون على مائدته كل يوم عشرين صنفاً من الطعام ، عدا الخراف والحلوى ، بماذا يعاقب إذا اغتصب رغيفين من الخبز القفار ، هما قوت عجوز ضعيفة من عباد الله الصالحات ؟

فاجابوا جميعاً : إنه يستوجب أشد عقوبة .

فامر أنوشروان بسلخ حاكم آذريجان ، ويعطاء لحمه للكلاب وبحشو جلده بالتبن . وأن يعلق على باب القصر . ثم أمر بأن ينادى المنادون سبعة أيام بأن من يسلب غيره مالا مهما كان تافهاً ، يلق مالتى هذا الحاكم الطاغية من عقاب . .

\* \* \*

والتفت أنوشروان إلى الحكام والأشراف وقال : لأحمين الحمل من الذئب ، ولأقطعن الأيدي التي تتناول معتدية ، ولأقضين على

المفسدين فى الأرض ، ولأعمرنها بالعدل والأمن ، فمن أجل هذا وليت العرش ، ولو كان للقوى أن يفعل بالضعيف ما يشاء ما أمد الله الملوك بتأييد من عنده ليقموا العدل بين الناس .

ثم أمر بأن تعطى العجوز القصر الذى بناه الحاكم فى مزرعتها وما يتبعه من بساتين وأن تمنح الركائب والنفقات اللازمة لعودتها سالمة إلى بلدها ، ثم ودعها وسألها أن تدعوه فى صلاتها . وأمر بعد ذلك بفتح باب قصره للمظلومين من شعبه ، وقال : إن الأمراء والرعية جميعاً شعبي ، ولكن أفراد الرعية يدفعون المال والأمراء يأخذونه ! وينبغي أن تفتح أبواب قصرى للمعطين أكثر من فتحها للآخذين . .

ولو كانت أبواب القصر مفتوحة أمام المظلومين لما لجأت العجوز إلى الاختباء وراء الشجرة منتظرة ملاقة ملكها وهو فى رحلة يصطاد . ثم أمر الملك بمد سلسلة من باب القصر إلى قاعة العرش ، بحيث يستطيع طفل فى السابعة من عمره أن يمسكها بيده وتنتهى هذه السلسلة بناقوس يثق فى القاعة ، فإذا أراد متظلم أن يسمع الملك شكواه ، فعليه أن يمسك السلسلة . .

\* \* \*

وغل الناس يتمتعون بالأمن ، ولم يتلق الملك أى تظلم ، إلى أن كان ذات يوم ، سمع الملك الناقوس فأمر عبيد له بأن يذهبوا للباب

ويريا من الشاكي . وعاد الرجلان فأخبرا أنو شروان أنهما لم يجدا  
شاكيا ولكنهما وجدا حماراً ضعيفاً أجرب يحك جسده بجائط  
القصر فيمس السلسلة فيلق الجرس . فقال أنو شروان : بل إنه  
مظلوم جاء يشكو ظلم الإنسان له ، اذهبا إلى السوق وانظرا ما كان  
من أمره مع صاحبه .

فلما ذهب الخادمان إلى السوق عرفا أن الحمار كان لغسال  
في السوق ، وأنه ظل يستخدمه في نقل أحمال الملابس عشرين  
عاماً وكان يعطفه ويعتنى به في هذه المدة فلما كبر الحمار وأصبح غير قادر  
على الحمل ، ولا فائدة فيه ، سرحه صاحبه . وقد ظل سنة ونصف  
سنة يخبط في الطرقات ، ويأكل مما يجوده به الخيرون عليه ، ولكنه  
منذ يومين لم يأكل .. فعاد الرجلان وأخبرا الملك بالقصة ، فأمرها  
ياحضار الغسال ومعه أربعة من أرباب العائلات في السوق ،  
فلما جاءوا أمر الملك الغسال ، على مسمع من صحابه ، بأن يعنى  
بالحمار ما عاش فإذا قصر في رعايته فإنه يقتص له .

( سياست نامه ه )



خرج ملك مع جماعة من خاصته للصيد في فصل الشتاء ، فأوغلوا في السير ، وأرخی الليل سدوله ، وهم بعيدون عن المدينة ، فأوايت قروي فاقترح الملك أن يذهبوا إليه ، حتى ينجو من البرد .

فقال أحد الوزراء :

إنه لا يليق بقدر الملوك أن يلجئوا إلى بيت قروي صغير ، إناسقيم خيامنا هنا ونوقد النيران فنبيت وتدفاً .

وسمع القروي بهذا الكلام فجهز ما لديه من طعام وحمله إلى السلطان وأدى له التحية ثم قال :

إن قدر السلطان لا ينزل بهذا القدر الضئيل من الطعام ولكنهم أرادوا ألا يرتفع قدر القروي .

فتأثر الملك بقوله وانتقل إلى بيته ف قضى ليله فيه وفي الصباح منحه النعم والخلع فقال وهو يسير في ركابه :

لم يتضع قدرك بتشريفك بيت القروي يا مولاي .

بل إن عمامة القروي بلغت الشمس لأنك مددته بظلك .

( كلستان )



قال نظام الملك :

وعلى الملك أن يكون واسع الحيلة ، ذكى الفؤاد ، وألا يقف جامداً أمام ما يعرض عليه من أمور ، ومن حق الرعية عليه أن يسهر على شئونها ، وأن يقضى الليالى متفكراً فى قضاياها ، وأنا أقص على مولاي ما عمله أسد الدولة مع قاضى نيسابور ، قال :

كان أسد الدولة من أكثر سلاطين الديلم حرصاً على إقامة العدل بين الناس ورعاية مصالحهم ، وقد حدث أن كتب إليه أحد العيون يقول :

مولاي ! لم أكد أسير ما تى خطوة لتنفيذ ما أمرت به ، حتى قابلت شاباً شاحب اللون ، مغبر الوجه ، مشخناً بالجراح ، فابتدرنى بالتحية فحيته ، وسألته عن حاله فقال : « إني أنتظر رفيقاً يصاحبني إلى بلد فيها ملك عادل وقاض لا يظلم » ، قلت : « أتريد ملكاً أقرب إلى العدل من أسد الدولة وقاضياً أوفر عدلاً من قاضى نيسابور ؟ » فقال : نعم ، ولو كان أسد الدولة عادلاً ، مهتماً بأمر رعيته ، لاستقام

قاضيه ، ولكنه لم يفعل ؛ فهو غير عادل .. قلت : حدثني عن أمرك  
لعلك تقصر بالحديث الطريق فقال :

اعلم أني ابن فلان التاجر العظيم ، وكان يتسا في حي كذا ،  
ويعرف أهل نيسابور ما ترك أبي من الثراء . وما خلف من خلم  
وعبيد .. وقد ورثت عنه هذه الثروة الطائلة وأنا شاب . فعبثت  
ما شاء شبابي وقتوت أن أعبت ، حتى أصبت بداء عضال يئست من  
البرء منه ، فنذرت للرحمن نذرا ، أن أهب للفقراء جانبا من ثروتي  
وأن أعتق موالي وأن أذهب حاجا ثم أن أنضم إلى المجاهدين في  
سبيل الله ، إذا من ربي على بالشفاء .. وشفيت فوفيت بالنذر ،  
فأعتقت عبيدي نساء ورجالا ، وأعطيتهم من المال ما يكفيهم ،  
وزوجت من أراد الزواج منهم .. ثم بعت أملاكي فوهبت جانبا  
للفقراء وبقى لدى خمسون ألف دينار .. ورأيت أن من الخير أن  
أكتفي بثلاثين ألفا أنفقها في رحلتي ، وأن أودع العشرين ألفا  
الباقية عند رجل أمين ، فاشتريت إبريقين من النحاس وضعت في  
كل واحد منهما عشرة آلاف دينار ذهباً ، ورأيت أن أولى الناس  
في البلد برعاية أماتي هو القاضي ، فذهبت إليه ، وأوقفته على  
قصدي ، واستودعته الإبريقين وسلمت عليه وانصرفت .

أديت فريضة الحج ، ثم سرت من الحجاز إلى حيث الفرقة  
التي تحارب الكفار فانضمت إليها ، وذهبنا لحرب الروم ف وقعت

في الأسر ، بعد أن أثنخت في الجهاد بالجراح ، ومرض ملك الروم ،  
وخاف أن يلقي ربه ظالماً فأفرج عن أسرى المسلمين ، فأخذت  
أتكسب عيشي بشق النفس ، وسرت من بلد إلى بلد حتى بلغت  
نيسابور بعد غيبة عشر سنوات .. وقابلت القاضي فأنكرني ، ولم  
أكن أستطيع أن ألبأ إلى أقاربي وصحبي بعد أن طالت غيبتى عنهم ،  
وقد تغير حالى بما لقيت من ذل الفقر وقسوة الأيام ؛ فكنت أبيت  
في المسجد وأتوارى عن الناس في النهار .. لا أطيل عليك الحديث ،  
ذهبت للقاضي المرة تلو المرة ، فكان ينهرني ويطردي ويتهمني  
بالجنون ، فلم أر بداً من أن أعرض عليه خمسة آلاف دينار مما  
استودعته ، فأبى .. فعرضت عليه إبريقاً بما فيه ، وذكرته بعذاب  
الله يوم القيامة فكان في آذانه وقرأ ، ثم التفت إلى وقال : إذا لم  
ترجع عن التحدث إلى في هذا فإني مخاصمك أمام القضاء وسترى أن  
جنة بك .. فخرجت من عنده يائساً ، وأدركت أنه لن يرد إلى  
ذهبي ، وذكرت المثل السائر : إذا فسد اللحم أصلحوه بالملح  
ولكن ما الحيلة إذا الملح فسد ! ؟

وختم يا مولاي حديثه بقوله : لو أن أسد الدولة كان عادلاً  
لما يئست من تحصيل ذهبي .

\* \* \*

فلما اطلع أسد الدولة على هذا الخطاب أمر بإحضار الشاب

فسمع منه شكواه فقصها كما رويت له في الخطاب من قبل ، و حار  
السلطان في هذه القضية ؛ فإنه كان يخشى معاقبة القاضي قبل التثبت  
من صحة أقوال الشاب ، وقد عرف القاضي بالتقوى وسعة العلم ،  
فأخذ يفكر في طريقة يثبت بها خيانة قاضيه .

وفي ذلك الوقت كان القاضي سعيداً ، وكان يحدث نفسه بأن  
الشاب صاحب المال لن يمتد به العمر بعد ما لقي من هوان الفقر  
وخيبة الأمل ، وقد أثختته الحرب جراحاً وهدمت كيانه . . وأن  
المال الذي وقع غنيمة في يده لاسيل إلى استرداده .

ودق باب القاضي فإذا برسول من أسد الدولة يناديه ، فلما ذهب  
عند السلطان قال هذا له :

أتدري لماذا أرسلت في طلبك ؟ إني يتراءى لي شبح الموت ،  
ومهما يكن فأنا أخشى أن يسلط الله على ملكا ينتزع مني ملكي كما  
انتزعتني أنا من قبل ، أو أن يدركني الموت الذي لامفر منه ، وأنا  
أخشى الأمرين جميعاً ، فلتجعل كلامي إليك سرّاً لا يطلع عليه معنا  
غير ربك ذي الجلال ، إن لدى من الأموال ما لا يحصى ، وأريد  
أن أحفظه عندك ، فإذا كان أن غيبت عن العرش لأحد الأمرين ،  
ووجدت ولدي ونسائي في يوم ذي مسغبة ، فاعطهم المال الذي  
لديك . وليكن الله شاهداً على ما بيننا وهو نعم المولى ونعم الوكيل .

ثم أمره السلطان بأن يبنى في بيته خزانة كبيرة تسع الصناديق التي تحوى الآلى والفضة ، وأعطاه مائتي دينار ليجهز بها البناء .

وبعد أيام عاد القاضي ليخبر السلطان أنه أعد المكان ، فشكره وامتدح همته وشهامته واستقامته ، ثم قال : إني أعددت ألف ألف وخمسمائة ألف دينار ، وما يساوى خمسمائة ألف دينار من الأمتعة التي سيشتريها التجار لتحتفظ بثمنها ذهباً ، وإني حاضر عندك غداً لأرى المكان الذي أعددتَه لحفظ المال ، ورأى السلطان منزل القاضي وأعجب بحسن إعداده لمكان النقود ، وأمره أن يحضر يوم الثلاثاء ليدير نقل الأموال إلى الدار .

\* \* \*

عاد السلطان إلى قصره فأمر خازنه أن يعد مائة وأربعين إبريقاً وأن يملأها ذهباً ، وثلاثة أكياس من اللؤلؤ ، وكأساً من الذهب ملؤه الياقوت الأحمر ، وآخر ملؤه اللعل ، وثالثاً ملؤه الفيروز ، وأن توضع هذه أمام الأباريق . وجاء القاضي في الموعد المحدد ، فأراه أسد الدولة الأموال ، وقال : عليك أن تنقلها في منتصف الليل في يوم الإثنين من الأسبوع المقبل .

أما القاضي فأنصرف إلى بيته مسروراً ، يؤمل في الثروة التي تكون له عند ما يموت السلطان ، أو يخلع ، فيتنكر لأولاده

ويستحوذ على أماته التي أودعها لديه بوثيقة من الشرف غير  
مسطورة ..

وأما السلطان فقد أمر الشاب أن يذهب إلى القاضي ، وأن  
يطلب بأماته عنده ، وأن يعود إليه ...

\*\*\*

دق باب القاضي فإذا بالشاب المريض بحيه ، ويطلب الإبريقين  
الذين أودعهما عنده قبل السفر ويهدده برفع الأمر للسلطان ...  
ويضحك القاضي ويرى أن الخير أن تظل نيته خافية على السلطان ،  
فيشتري مائة وأربعين إبريقاً مع كؤوس ملؤها الجواهر يابريقين  
فيأخذ الشاب من يده ويجلسه بجواره ، ويطيب خاطره ، ويعتذر له  
بأنه لم يعرفه في المرات الأولى ، ويسلمه الإبريقين بما فيهما ...

ويعود الشاب إلى السلطان ويخبره أن القاضي أعطاه الإبريقين  
بما فيهما من ذهب ، فيتأكد من صحة اتهام الشاب له .

ويأمر أسد الدولة بإحضار القاضي حافي القدمين ، عارى  
الرأس ، فجاء به ، وقد لفَّ شالُ عمامته على رقبته ، وسحب  
منه كما تسحب البهائم ...

ويجرد القاضي من أمواله ، ويعرض الشاب من هذه الأموال  
بقدر ما لقي من ضيق ، ويُطاف بالقاضي في أسواق المدينة ،  
وينادي في الناس أن هذا جزاء من أؤتمن خنان .

( سياست نامه ١٣ )



واعلم يا مولاي أن على الملك أن يعرف معرفة تامة ، أحوال بلاده من أقصاها إلى أقصاها ، وهذه بلا شك مهمة شاقة على ملك أتاح الله له ما أتاح لك من الفتح المبين حتى شملت دولتك بلاداً عدة ، وهذه البلاد الواسعة تحتاج معرفتها إلى فسحة من الوقت ، ووفرة من الذكاء والعناء . . . ألا إن عبء الملك يا مولاي أثقل الأعباء طراً . والملك ، وإن توفرت له مظاهر الأبهة والجلال ، فإنه في الحقيقة مثقل الكاهل بما ألقى عليه ربه من مسئولية الحكم النزيه . . .

وعلى الملك ألا يعتمد على ولاته في المحافظة على الأمن ، بل عليه أن يشاركهم الرأي في ذلك ، وأن يرسم لهم خطتهم التي يتبعونها . ألم تر إلى محمود الغزنوي ، وقد اغرورقت بالدمع عيناه ، حين أته امرأة تشتكي من عصابة كوج وبلوج التي سطت عليها فجردتها من أموالها ، وهي نازلة في خان دير كتشكين .

إنه لم يكن يعرف مكان هذا الدير ، فلامته وقالت : لا تفتح من البلاد إلا بقدر ما تستطيع أن تعرف وتدبر وتنشر الأمن !

كيف يطمع في فتح العالم ملك لا يعرف بلاده ؟  
اغرورقت عينا محمود بالدمع حين أنبتته المرأة ولم يغضب ، بل  
أنصت إلى كلامها وأعطاهما من الذهب بقدر ما سرق منها ، ثم كتب  
إلى واليه في كرمان كي يتعقب المجرمين ويقتلهم أو يأتي بهم في  
الأغلال مصفدين .

فأجابه الوالي بأن كوج وبلوج بلاد تفصلها عن كرمان عوامل  
جغرافية تعوق سير الجيوش المنظمة ، وتتيح لأهلها الدفاع عن  
أنفسهم في قوة ، وقد جلب هؤلاء على الشر والإيذاء ، وهو عن  
ردهم عن الغواية عاجز ؛ فلما علم محمود هذا ، استعان بالحيلة ليقضي  
على الأشرار ، وإيقيم الأمن والسلام في دولته .

كتب محمود إلى واليه في كرمان أن يذهب إلى حدود كوج  
وبلوج وأن ينتظر بجيشه هناك ، حتى يبعث إليه رسولا لبدء القتال  
ثم أوعز لجماعة من التجار الراغبين في الذهاب إلى يزد ، عن طريق  
كرمان أن يستعدوا للسفر ، فإنه سيبعث معهم حرساً من جنده  
الأشداء ، يقونهم شر عصابة كوج وبلوج . . وسر التجار بهذا  
فأسرعوا في تهيئة قافلتهم ، وأعد لهم محمود حرساً من خمسين ومائة  
فارس على رأسهم أمير تركي ، وقال للأمير : انزل ياصفهان ،  
وأعلن من يريد الذهاب إلى كرمان من تجارها بالاستعداد للسير معك ،  
وامكث بها عشرة أيام حتى يهيء التجار حرائجهم ، واشتر من هناك

عشرة أحمال من التفاح ، وحملها على عشرة جمال ، ثم سر بالقافلة إلى يزد ، فإذا اقتربت من كوج فانزل ، ومر بالليل بإحضار أحمال التفاح فأدخلها في مخيمك واثقب كل تفاحة بإبرة مغموسة في السم الذي بهذه الزجاجاة ، وضع التفاح المسموم في السلال واجعلها في مكان ظاهر ، ونبه على حراسك بأن لا تمتد إليه يد أحد منهم .  
فعل القائد ما أمر به السلطان .

وسارت القافلة مع حراسها ، وكان لصوص كوج قد بشوا في إصفهان عيونهم ، فراحوا إلى ساداتهم ، وأخبروهم أن قافلة تقوم من إصفهان لم ير مثلها من قبل ، فإنها تحوى أكبر عدد من التجار ضمته قافلة ، وفيها من الأموال والبضائع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وأن هذه القافلة تسير في حراسة جند لا يزيدون على خمسين ومائة فارس . . وفرح رجال العصابة بما سمعوا ، واستعدوا للهجوم على الفريسة الدسمة ، وأعدوا عدتهم وجمعوا من رجالهم أربعة آلاف رجل .

واقتربت القافلة من مكان العصابة ، وأتى حراس الطريق ينبثون الأمير بأن الخطر محقق ؛ إذا هو تقدم ، فإن اللصوص ينتظرون مقدم التجار منذ أيام ، وأن عددهم كبير لا تقوى جماعته على صدهم ، وأن الخير كل الخير في العودة من حيث أتى .

\*\*\*

وجاء الليل فجمع الأمير التجار ، وكانت أخبار العصابة قد  
ترامت إليهم ، فارتعدت فرائصهم ، وظهر عليهم الذعر والهلع ،  
فطمأنهم الأمير ، وأكد لهم أن السلطان قد عمل على حمايتهم ، وأنه  
يعرف كيف يدفع عنهم السوء . . . وطلب إلى شجعانهم أن يحملوا  
أسلحتهم ، وأن يستعدوا للقتال حين يأمرهم ، ولكنه أخبرهم أن  
قطاع الطرق لا يعتدون بالقتل إلا على من يقاومهم ، فعلينا ألا نقاوم  
إذا هرجمنا ، بل إتنا سنترك البضائع والدواب ونولى الأدبار ،  
وسأسبقكم أنا ، وننتظر بعيداً عن أموالنا ، إلى أن يهيء الله أمراً  
ليس في الحسبان .

\*\*\*

ودنت الساعة وإذا باللصوص يسدون المنافذ على القافلة ،  
ويهجمون عليها من ثلاث جهات ، وسيوفهم مسلولة . . فرجع  
الأمير وتبعه التجار ، تاركين البضائع نهياً للناهبين .

ووجد اللصوص التفاح الإصفيهانى معروضاً فى سلاله الجميلة  
ومحاطاً بالقطن حتى لا يفسد ، فأخذوا يتخاطفونه ويأكلون منه  
فى نهم أى نهم !

ولم يكد الصبح يتنفس حتى صعد الأمير على ربوة وأطل على  
مكان القافلة ، فرأى اللصوص وقد تبعثرت أجسادهم بجوارها ،  
قلهم السم الزعاف الذى يحمله تفاح إصفهان .

فصاح الأمير في رجال القافلة ، فقاموا وقتلوا من بقي من  
الصوص وجمعوا أسلحتهم .

ثم أرسل الأمير رسولا إلى والي كرمان ، وكان مرابطا بجيشه  
على حدود بلاد كوج ، يقول له يأمرك السلطان أن تدخل كوج  
وبلوج اليوم ، وأن تفتحها وتقتل رجالها ، وتجمع مافيها من المال  
المسروق وتبعثه للسلطان .. وأن تنادي في كرمان بأن من سرق منه  
شيء فليطالب به .

وهكذا نجح محمود في القضاء على العصاة الخطرة .

( سياست نامه ١٠ )



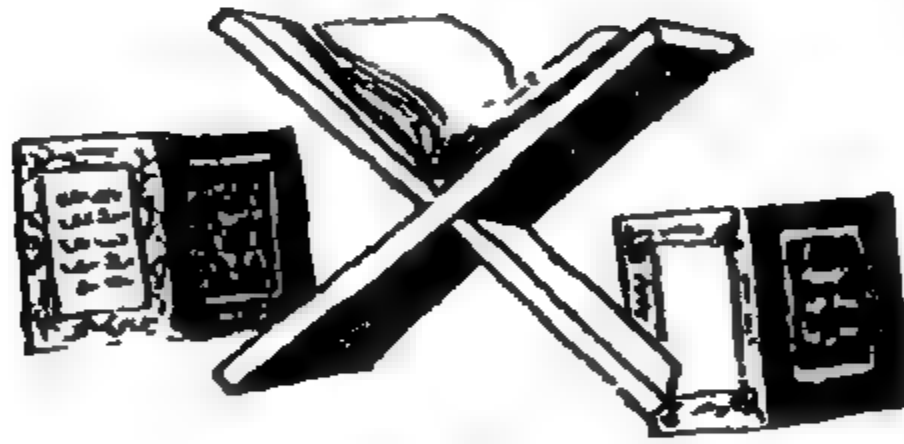
## ١٦ لَقْتَمَانُ وَحِكْمَتُهُ

سئل لقمان عن تعلمت الحكمة ؟

قال :

من الجهلاء ، فكلمنا رأيت عيباً فيهم تجذبتهم .

( كلستان )





قال ملكشاه لوزيره : كم كان عظيم هذا السلطان الغزنوي ،  
إنني معجب به ، راغب في تقصى أخباره ، فزدنا عنه قصصاً .  
فقال نظام الملك :

كان محمود جالساً ذات صباح لتفقد شئون رعاياه ، فجاءه شاب  
كبير الفؤاد ، وقال : « إني أودعت القاضي كيساً من الحرير  
الأخضر به ألفا دينار من الذهب النيسابوري ، وسافرت إلى الهند ،  
فوقع لي في الطريق حادث ، حمان على العودة ، فذهبت إلى القاضي  
وسألته رد الأمانة ، فأعطاني الكيس الذي استودعته ، ولكنني  
عند ما فتحت في بيتي ، وجدت نقداً من النحاس بدلا من دنانير  
الذهب ، وعدت إلى القاضي أطلب ذهبي ، فأنكر ذلك مني ، وولي  
عني غاضباً ، فاسمع يا مولاي صوت الذي جاء يشتكي إليك ،  
خاوي الوفاض ، لا يجد قوت يومه . »

فتأثر السلطان من قول الشاب وأمره بإحضار الكيس فأحضره .  
وأخذه محمود ، وجعل يقلبه بين يديه فلا يجد علامة على أنه مفتوح ،  
فقال للشاب :

« ساعنى يا بنى بالامر ، وقد أمرت بأن تعطى كل يوم ثلاثة أمناء خبزاً ، ومنأ لحرأ ، وأن يصرف إليك دينار كل شهر ، إلى أن يتبين الحق فى قضيتك . »

ودخل محمود غرفته ليستريح بعد الغداء ، فوضع الكيس أمامه ، وأخذ يفكر كيف استطاع القاضى أن يبدل الذهب نحاساً من غير أن يفتح الكيس ؟ فجال بخاطره أن القاضى قد شق الكيس ، فأخرج ذهبه ووضع النحاس ، ثم بعث به إلى راف فأحكم رفوه . وكان عند السلطان مقرمة ( ستر ) جميلة ، مرشاة بالذهب ، تغطى بها الوسادة ، فقام بالليل ، وشق المقرمة ، ثم نام . وفى الصباح الباكر خرج للصيد ، رحلة ثلاثة أيام .

وجاء الفراش الخاص لينظف الغرفة ، فوجد المقرمة ممزقة ، فهاه ما رأى ، وصاح باكياً . وسمعه فراش عجوز فى الديوان فسأله عما أبكاه ، فقال : لا أستطيع أن أخبرك عنه ، فهذا العجوز من روعه واستوضحه الأمر ، فقال : إن رجلاً يحقد علىّ قد دخل القصر خلسته ، وشق مقرمة وسادة السلطان شقاً طوله ذراع ، وأنا مقتول لا محالة إذا علم السلطان . فسأله العجوز إذا كان أحد سواه قد رآها ، فقال : كلا . قال العجوز : إذا فاهداً بالآ يا بنى فإنى واجد ما يفرج كربتك ، وقد خرج السلطان للصيد ، وسيتقى به ثلاثة أيام ، نخذ المقرمة ، واذهب إلى حى كذا ، وسل عن راف

اسمه أحمد ، اعطه إياها يرفها بحيث لا يعرف أحد من أين رُفيت ،  
وأعطه الأجر الذي ينبغي ، فهو أمير الرافين في بلدنا ، وكل أهل  
هذه الصناعة هنا صبياناه .

وذهب الفراش إلى أحمد الرافي ، فأصلح هذا المقرمة إصلاحاً  
دقيقاً وطلب نصف دينار أجراً ، فأجره الفراش ديناراً كاملاً .  
وعاد الفراش بالمقرمة إلى القصر هادياً النفس ، قريح العين ، وغطى  
بها الوسادة ، وكان شقاً لم يكن بها .

\*\*\*

وعاد السلطان من الرحلة ، ودخل غرفته بعد الغداء ، فالتقى على  
المقرمة نظرة فوجدها قد رفيت رفراً لم يستطع أن يتبين مكانه ؛  
فأمر بإحضار الفراش فسأله عن رفاها فقال هذا ، وقد كاد يغشى  
عليه : إنها لم تكن ممزقة يا مولاي ، وقد كذب الوشاة فادعوا ذلك .  
— لا تخف أيها الأحق ، فإنني أنا مزقتها لغرض في نفسي ،  
قل من رفاها .

— رفاها راف اسمه أحمد يا مولاي ، دلني عليه فراش القصر .  
— اذهب وأحضره ، وقل له : إن السلطان يريد أن يراك .  
وعاد الفراش ومعه الرافي ، فلما رأى هذا السلطان ارتعدت  
فرائضه ، فقال له السلطان :

لا تخش شيئاً يا أستاذ ( أوسطى ) واقرب منى ، أنت  
أصلحت المقرمة ؟

نعم يا مولاي .

— لقد أظهرت مهارة فائقة .

— لقد نجحتُ بفضل ما يصاحب مولاي من التوفيق .

— أليس فى هذه المدينة من الرافين من يماثلك ؟

— كلا يا مولاي .

— سأسألك عن أمر أحب أن تصدقنى الإجابة عنه .

— ليس أصوب من الحق مع السلطان .

— أرفوت هذا العام كيساً من الحرير الأخضر فى بيت رجل عظيم ؟

نعم يا مولاي ، فى بيت قاضى المدينة ، وكافأتى بدينارين .

— فإذا رأيت الكيس فهل تعرفه ؟

— نعم يا مولاي .

فاخرج محمود الكيس من تحت وسادته وأراه للرافى فعرفه ،

فسأله السلطان عن مكان رفوه فأراه إياه ، وتعجب السلطان من  
دقة الصناعة .

قال السلطان : فإذا دعت الحاجة فهل تستطيع أن تشهد بذلك

أمام القاضى ؟

— أشهد يا مولاي .

\*\*\*

وأرسل محمود الغزنوي في طلب القاضي وصاحب الكيس .  
فأمر بإدخال القاضي وكان صاحب الكيس مع الرافي ، خارج القاعة  
فلما دخل القاضي ، حيا السلطان وجلس كعادته . فالتفت هذا  
إليه وقال :

إنك شيخ كبير وعالم ، وقد وليتك القضاء في أموال المسلمين  
ورقابهم ، واعتمدت عليك ، وفي بلادى ألفاً رجل أعلم منك ،  
وهم عاطلون لا يعملون شيئاً ، فهل يليق بك أن تخون الأمانة  
وتغتصب أموال غيرك ؟

قال القاضي : مولاي ، ماهذا الكلام ، ماذا عملت ؟

هذا ما عملت أيها الكلب المنافق ، وأراه الكيس قائلاً : هذا  
هو الكيس الذي أؤتمنت عليه فأبدلت ذهبه نحاساً ثم رفرتة ،  
وأعطيته لصاحبه محكم السداد كأنك لم تفعل به شيئاً ! أهكذا  
تكون سيرتك وديانتك ؟

قال القاضي :

مارأيت هذا الكيس قط ، ولا علم لي بما يقول مولاي .

\* \* \*

فأمر السلطان بإدخال الرافي وصاحب الكيس وقال : أيها

الكذاب الأشر ، هذا هو الرافى وهذا هو صاحب الكيس ، ومن هنا مزقته ورفوته .

فجبل القاضى وهلى رعباً ، ولم يجر جواباً .

فقال محمود : اقبضوا على هذا الكلب ، واحجزوه حتى يعطى الذهب لصاحبه فى التو وإلا ضربت عنقه .

فحملوا القاضى إلى السجن ، نصف ميت ، وطالبوه بالذهب ، فطلب وكيله فدله على مكانه فأحضر هذا ألفين من الدنانير ، فأعطوها للشاب صاحب الكيس .

وفى اليوم التالى جلس محمود لنظر المظالم فقص على الملاء قصة قاضيه ، ثم أمر بإحضاره وشنقه على شرفة القصر ، على أن تدلى رأسه إلى أسفل ، فشفع له العطاء ، لأنه شيخ كبير ، وقاض عالم . واشترى الرجل نفسه بخمسين ألف دينار ، فأخذوا منه المال وعزلوه .

( سياست نامه ١٣ )





ما شكرت من الزمان، ولا برمت بحكم السماء، إلا حين حفيت  
 قدماي، ولم أستطع شراء حذاء، فدخلت جامع الكوفة وأنا ضيق  
 الصدر، فرأيت رجلا بلا رجلين، فحمدت الله وشكرت نعمته على  
 وصبرت على ما ابتلاني من حفاء.

(سعدى — كستان)



## ١٩ رقيق أصبح ملكاً

قال ملكشاه : يزيدنى حديثك عن محمود الغزنوى إعجاباً به وبأسرته ، فهلا حدثتني عن أصل الغزنويين وكيف ملكوا ؟ فقال نظام الملك : إن لهذا قصة طريفة يامرلاى ثم حكى :

كان لدى السامانيين رقيق تركى اسمه الب تكين ، اشتراه أحمد ابن اسماعيل ، ثم خدم من بعده نصر بن أحمد ، وظل يرقى فى سلك الأرقاء ، حتى بلغ مرتبة الإمارة أيام نوح ، وكان عمره — حين أسند إليه إمارة خراسان — خمسة وثلاثين عاماً .

وكان الب تكين هذا شجاعاً ، جسوراً ، مخلصاً لساكنيه ، محبوباً من جنده ، محباً لهم ، واشتهر فى زمانه بالعدل والحزم فأحبه الناس ، وقد لبث أميراً لخراسان أكثر من خمسين سنة ، وأثرى فكان يملك الآلاف من الرقيق وذات مرة اشترى ثلاثين غلاماً ، من بينهم سبكتكين .

ودخل الحاجب على الأمير فأنبأه أن أحد رؤساء الخدم ( وثاق باشى ) قد مات ، وسأله أن ينصب أحد الغلمان مكانه ، وكان سبكتكين واقفاً ، فأشار إليه الب تكين ، وقال للحاجب : ارفعوا

هذا الغلام إلى مرتبة وثاق باشى . فقال الحاجب : أترفعه يامولاي إلى هذه المرتبة ، فيلبس القلنسوة السوداء المطرزة بالفضة ، والثوب الحريرى الكنجى ، ولما يتم سنة فى الخدمة ؟ إنه بهذا يتخطى سبع سنين من العمل الشاق .

أما الب تكين فرد على حاجبه بأنه أمر وأمره نافذ ، وأما سبكتكين فأنحنى أمام سيده حامداً شاكراً .

وفكر الب تكين ، وفكر الحاضرون معه ، فى أمر هذا الغلام ، ومن يدري ، أهو حقيقة من نسل يزدكرد ؟ أو أنه من السعداء الذين خلقوا ليحكموا ملوكا ، لا ليحكموا عبيداً ؟ وأحب الب تكين غلامه ، وأخذ يرفعه كل يوم درجة ، رفعه إلى رتبة آبدار ، فكان يسقيه وكان يصب له الماء وهو يتوضأ ، ثم جعله أميناً لغرفته ، وجعل تحت إمرته عشرة غلمان من الفرسان . ولم يبلغ سبكتكين الثامنة عشرة من عمره حتى كان على رأس مائتى غلام وأخذت تبدو عليه مزايا الب تكين نفسه .

\*\*\*

وحدث أن أرسل الب تكين مائتى فارس ، ومنهم سبكتكين ، وأمرهم بتحصيل المستحق من الأموال على التركان والخليج<sup>(١)</sup> ،

---

(١) قبيلة من العرب أقامت فى زاولستان وصاهرت التركان ، وأمدت آسيا الوسطى بمجاعة من القادة العظام ، منهم محمد بن بختيار الذى استقل فى ١٢٠٥/٦٠٢ وأسس أسرة انتهت فى ١٣٩٨/٨٠١ .

وذهب الجند لأداء ما طلب إليهم ، ولكن التركان والخلج أبوا أن يدفعوا كل ما عليهم ، فاقترح بعضهم أن يلجأوا للقوة وأن يعودوا برؤساء العصاة مصفدين .

ولكن هذا الرأي لم يرق لسبكتكين ، لأنه أمر بتحصيل المال ولم يؤمر بالقتال قال : وإني أخاف أن نقاتل فهزم ، فيكون في هذا خزي لنا ، ومعة لأميرنا .

وانقسم الجماعة بين مؤيد لسبكتكين ومعارض له ، وعادوا وقد تفرقت كلمتهم . . . .

ومثلوا أمام الب تكين فلما سألهم لماذا لم يقاتلوا ، قالوا ثبط سبكتكين همنا . فلما سأله قال : منعهم من القتال لأن مولاي لم يأمر به ، ولو حاربنا لكان كل منا سيداً لا عبداً ، وأول صفات العبد أن يطيع الأمر ، لا أن يأمر . ولو أننا حاربنا وهزمنا لسألنا الأمير بأمر من حاربنا ، فمرنا إن شئت اليوم ، نذهب لقتالهم رخيصة أرواحنا ، فنعود بالمال وبرؤوسهم جميعاً .

فسر الب تكين بكلام غلامه ، ورفعته درجة ، وجعله رئيساً على ثلاثمائة فارس .

\*\*\*

ومات الملك الساماني ، نوح بن نصر ، وكان الب تكين في نيسابور ، فكتب له كبار القوم في بخارى — عاصمة الدولة —

يقولون : مات الملك عن أخ في الثلاثين وولد في السادسة عشرة ،  
فمن منهما تنصبه ملكاً من بعده ؟ وإنا برأيك عاملون ، فإنك أنت  
عماد الدولة .

فكتب إليهم يقول : إن أخا الملك وولده كليهما بالملك جدير ،  
لأنهما من أبناء ملوكنا ، إلا أن أخا الراحل الكريم رجل كامل  
مجرب ، يعرفنا جميعاً ، ويعرف قيمنا ، ويستطيع أن يتحمل عبء  
الملك . ثم بعث رسالة ثانية يؤيد فيها تنصيب الأخ .

ولم تمض خمسة أيام حتى جاء رسول من بخارى يحمل البشـرى  
لأب تكين بأن كبار القوم قد نادوا بأبن الملك الراحل ملكاً  
للسامانيين ، فأسقط في يد الأب . وأخذ يسأل نفسه لماذا استشاروه  
وفي نيتهم أن يتصرفوا حسب هواهم ؟ قال : والله للأمير الصغير  
عندى بمثابة نور العين ، وأخذ يفكر في شعور الملك الجديد نحوه  
إذا بلغته الرسالتان اللتان تخلعانه وتتصبان عمه على عرش أبيه ؟ !  
وأرسل في التورسولا لعله يوقف رسوليـه السابقين في الطريق  
ولكن الرسول لحق ثانيهما ولم يلحق الأول ، الذي بلغ بخارى  
وأسلم رسالته إلى الملك الجديد .

\*\*\*

وأثارت الرسالة في البلاط الساماني سخطاً لدى أنصار الملك  
الشاب ، قالوا قد أساء والى خراسان ، وأخذوا يحدثون الملك عن

عمل الپ على حرمانه من عرش أبيه ، الذى هو وارثه شرعاً ،  
ليلي عمه ، الذى لا حق له فى العرش ، وظلوا يتحدثون على هذا  
النحر ، حتى استشاط الملك غضباً على الپ .

وحاول هذا أن يكفر عن خطئه ، فقدم الهدايا والطرف بغير  
جدوى ، فإن الغضب قد ملأ قلب الملك ولم يبق لرفعه من سبيل ؛  
وكذلك انطلقت ألسنة سوء بالوقية والدسيسة . . . وصورت  
الحاشية للملك خطر الپ تكين عليه ، قالوا :

إنك لن تنعم بالسلطان ما بقى الپ تكين ، وقد أصبحت له  
الكلمة العليا على الجيش ، فإنه بلى إمارة خراسان منذ خمسين عاماً ،  
فإن أنت قتلتته صارت أمراه إليك ، فامتلاّت خزائنك من ماله ،  
واستراح قلبك من خشيته ، وصارت لك اليد الطولى فى الدولة  
كلها ، فابعث إليه رسالة تدعوه فيها إلى بخارى ، ليجدد لك الولاء ،  
ولكى لا يرتاب فى دعوتك ، قل له إنك لم تحضر منذ ولينا عرش  
أجدادنا لتجدد لنا فروض طاعتك ، وإنا نرى فيك أبا كريماً ،  
فأنت أساس حكرمتنا وعماد أسرتنا . . . فاحضر لبخارى نستبين  
منك ما خفى علينا فى بلادنا ، فتزداد ثقتنا بك ، ونخرس ألسنة  
السوء التى تنطق بالباطل فيك . . . فإذا حضر فاقتله فى غرفته ،  
لتسريح منه ويخلو لك الجو .



وكان لآلپ فكين أصدقاء في بلاط الملك ، فبعثوا ينبثونه  
بما يدبر له من شر .

\*\*\*

فلما بلغت رسالة الملك آلپ فكين دعا هذا رجاله للرحيل  
إلى بخارى ، فسار من نيسابور إلى سرخس وفي صحبته ثلاثون ألف  
فارس ، وفي سرخس دعا ضباط جيشه وقال لهم : أتدرون لآى  
أمر دعانى الملك ؟ قالوا نعم ، دعاك لتجدد له العهد ، فإنك منه  
ومن آباءه كالوالد .

قال : كلا ، ما لهذا دعانى ، إنما أنا ذاهب لآلپ عندى حتفى ،  
فإنه غر لا يعرف قدر الرجال ، واعلموا أنى منذ ستين سنة وأنا  
أحمى دمار هذه الدولة ، وأنا الذى دفعت عنها غارات خاقانات  
تركستان ، وأنا قضيت على الملاحدة فى ديارهم ، وما تدمرت  
أو غضبت يوماً ، وهاهو ذا الملك يدبرلى اليوم جزاء سنهار ، جاهلاً أن  
بملكته جسد أنا رأسه ، فإن هو قطع الرأس فأى غناء فى الجسد ؟  
وقد دعركم اليوم لتفتونى فى أمرى من هذا الملك .

قال الضباط : إن العلاج فى حد سيوفنا ، وما دام الملك يضم  
هلاكك فأى شىء تنتظر ، لقد وليت إمارتنا خمسين عاماً ولو شئت  
لا تزعج الملك من آل سامان ، ومهما يكن فإننا نعرفك ولا نعرف  
الملك ، منك أرزاقنا ومنك جاهنا وما نرقل فيه من النعم ، وليس

أجدر منك رجلاً ، وإنا نطيعك ، وخوارزم وخراسان ونيم روز  
مسلمة إليك ، فرنا بخلع منصور الساماني نخلعه ونولك ، وإذا  
شئت أن تأخذ منه بخارى وسمرقند فإننا ناصروك .

فلما سمع الب تكين كلامهم قال :

عفا الله ، والله لقد دعيتكم اختباراً لا ائتماراً ، وأنا أعرف  
أن ألسنتكم تنطق بما تجيش به صدوركم ، والخير أن تتدبر الأمر  
وأن تعودوا إلى بيوتكم ، على أن يكون موعدنا غداً ، ولنتظر ماذا  
سيأتي به الغد .

فلما كان الغد عادوا ، فرقف الب تكين يتحدث إليهم قائلاً :  
لقد أردت بحديثي معكم أن أعرف شعوركم نحوي ، وهل  
تكونون معي إذا أمر حزب ، فسمعت منكم جميعاً الوفاء لعهدى ،  
والاعتراف بنعمتي عليكم ، وقد أسعدني ما قلتموه . ولكن اتملوا  
أن الشر صرّح بيني وبين هذا الشاب ، ولم يبق من سبيل إلى دفعه  
بغير السيف ، وهي طفل بنصت إلى ألسنة السوء ، ولا يفرق بين  
الطيب والخبيث ، وهم يسعون بي لقتلي ، وأنا عماد الأسرة ، ولو  
أن الضرر مسها لما استطاع هذا الصبي له رداً ، وإني قادر على أن  
أأخذ منه الملك وأولى عمه فيكون لي السلطان عليه . ولكنني أخشى  
أن يقول الناس خدم الب تكين السامانيين ووقاهم السوء ستين

عاماً طوالاً ، فلما بلغ الثمانين خرج على أبناء سادته ، استضعافاً لهم ،  
وأخذ الملك لنفسه ، فجد بنعمتهم عليه . . .

وقد قضيت ما قضيت من العمر في حسن الأحدوثة وطيب المحتد ،  
فلا يليق ، وقد أصبحت قدمي على حافة القبر ، أن أدنس اسمي ،  
ولو أن الحق بجاني والعدوان بجانب الملك ، إلا أن الناس جميعاً  
لا يعرفون ذلك ، وسيقول فريق منهم ، إذا وقعت الواقعة ، جنى  
الپ تكين على الملك ... ومهما يكن فإني لا أطمع في ملكهم ،  
ولا أبغض دولتهم ، ولكن أداة الشر لن تتوقف عن إيذائي  
مادمت في خراسان ، وقد استخرت الله فهداني إلى أن أشهر  
السيف مجاهداً في سبيله ، فاعلموا أن خراسان وما وراء النهر  
وخرارزم ونيمروز تابعة كلها للملك منصور ، وأن عليكم جميعاً  
طاعته ، وقد قمت برعايتكم خدمة له ، فقوموا إذاً ، واذهبوا إلى  
بخارى ، وجددوا له الميثاق ، وأطيعوه مخلصين ، أما أنا فساذهب  
إلى بلاد الهند مجاهداً في سبيل الله ، فإذا مت كنت شهيداً ، وإذا  
أيدني ربي فسأجعل مدن الكفار بلاداً مسلمة ، طامعاً في الجنة التي  
وعد الرحمن المجاهدين بها ، وسيعرف ملك بخارى ، إذا رق قلبه لي ،  
وغفر زلتي ، كم أحسنت صنعاً ، وكم كانت قيمة رجال جيش  
خراسان . . .

\*\*\*

لم يكن أحد من الضباط يظن أن الب تكين سترك حقاً خراسان ، وله خمسمائة قرية وله في كل مدينة منها وفيها ما وراء النهر قصور وحدائق ورباطات وحمامات ، وله آلاف الآلاف من الغنم ومئات الآلاف من الخيل والبغال والجمال ... فجعلوا يمرون من أمامه باكين مودعين ، ولكنهم غير مصدقين ...

و ذات يوم دق الطبل معلناً رحيل الب تكين ومعه غلمانه وحاشيته . وأما ضباط الجيش فقد ذهبوا إلى بخارى ، وقلوبهم مع الب . وبلغ هذا مدينة بلخ ، فأعلن في الناس أنه ذاهب للجهاد ، ومكث شهرين ينتظر أفواج المجاهدين ، يفدون عليه من كل حذب و صوب .

وبلغ الملك الساماني ما اعتزم عليه الب ، فجمع حاشيته للشورى فأشاروا عليه بأن يرسل جيشاً لئتماله والقبض عليه ، فأرسل ستة عشر ألف فارس ، وعبروا جيحون ، فاضطر الب إلى أن يتجه ناحية خلم ، حيث عسكر في واديه الضيق ، ومعه من فرسانه مائتان وغلمانه الذين حنكتهم الحروب ، وثمانمائة مجاهد من سائر البلاد ، وبلغ جيش الملك السهل فسد المنافذ على الب وجماعته ، وهكذا أغلق « عنق الزجاجة » عليهم . وظل الجيشان شهرين بغير قتال .

وجاءت نوبة سبكتكين ، فخرج يستطلع أمر العدو ، فإذا به يجد

السهل قد عسكر فيه الرجال ، وإذا به يجد طليعة العدو تستعد للقتال  
فعاد إلى الب وقال له :

لقد تركت يا مولاي أموالك ، وما أفاء الله عليك من نعمه  
لملك بخارى ، ووليت وجهك تبغى الجهاد في سبيل الله ، وهام  
يقصدون قتلك ، وإنك ، وفاء بعهديك ، تبتى عليهم ، ولكن أخاف  
أن تورث نفسك موارد التهلكة ، فتهلك معك ، وعندى أن السيف  
خير حكم بينك وبين ملك بخارى .

ثم التفت إلى غلمانه وقال :

هذا يومنا ، وقد عزمنا على لقاءهم ، رضى الأمير أو لم يرض ،  
وإيكن ما يكون .

قال هذا وسار في طليعة فرسانه الثلاثمائة نفر ج من « عتق  
الزجاجة » فأعمل السيف في طليعة العدو ، ثم أخذ بقية الجيش على  
غرة ، وقتل منهم أكثر من ألف فارس ، فقام الجند مذعورين ،  
فحملوا أسلحتهم ، وامتطوا صهوات جيادهم ، ولكنه أقل راجعاً ،  
ودخل معسكره سالماً دون أن يتمكنوا من اللحاق به .

وبلغ الخبر الب تكين فناداه ، وقال له : كان التذرع بالصبر  
أولى من القتال . فقال سبكتك : طال صبرى يا مولاي ، حتى  
لم يبق في قوسه منزع ، والله لتدفعنهم عنك ولنقتلنهم حيث  
نقفهم . . .

فقال الب تكين :

الآن ، وقد بدأت الحرب بيننا ، لم يبق إلا أن تأمر الرجال بالاستعداد للرحيل ، فلترفع الخيام ، ولتحزم الأمتعة ، ولابدأ السير حين توذّن الشمس بالمغيب ، وعلى طغان أن ينتظر في كمينه يمينا ومعه ألف رجل ، وعليك أن تقف في كمينك يسارا مع ألف غلام ، أما أنا فساخرج من الطرف الآخر من « عنق الزجاجة » ومعى الأمتعة وألف مقاتل ، وسأسير في السهل ؛ وسيحضر العدو في الغداة فيدخل حيث كنا فلا يجد أحداً ، فيظن أنى قد هربت بكم ، فيقطع في أثرى ، ويحترق « عنق الزجاجة » فعند ما يخرج أكثر من نصف جنده ، عليكم أن تخرجوا جميعاً من مكانكم ، وتنقضوا عليه انقضاض الصاعقة ، فيقع الذعر في صفوفه . ويولى فراراً منكم من لم تدركه سيوفكم ، وعندئذ نحيط بالوادي ، أنا في القلب وأنتم على الجناحين ، فنحيط بهم ونقتلهم على بكرة أبيهم ، ثم نأخذ معسكرهم غنيمة .

وحدث ما توقع الب تكين ، وتم الأمر كما رسم ، ودخل جنده معسكر العدو ، بعد أن « من » بالهزيمة ، فأخذوا ما فيه من خيل وبغال وجمال وأدوات الفضة والذهب والنقود والغلمان ، وتركوا الخيام والأبسطة نهياً للناهبين من سكان القرى المجاورة . . .

\*\*\*



ورحل الب تكين حتى بلغ باميان فخارب أميرها شيرباريك  
وهزمه وأسره ، ثم عفا عنه وناداه بولده .  
ثم سار إلى كابل فهزم أميرها وأسر ولده ( حفيد لوبك ) ،  
فأحسن معاملته ثم رده إلى أبيه .

\*\*\*

ثم قصد غزنين فخرج أميرها لوبك لقتاله فهزمه ، وحاصر  
المدينة ، ووجفت قلوب أهل زاوولستان ( إقليم عاصمته غزنين ) ،  
فأمر الب تكين بالآلا يعتدى أحد من جنده على الناس ولا يشتري  
جنده بضاعة من غير أن يدفعوا ثمنها ذهباً ..

\*\*\*

وحدث أن وقعت عين الب تكين على غلام له ، قد حمل فوق  
ظهره كيساً من التبن وأمسك دجاجة في يده ، فسأله من أين لك  
هذا ؟ فقال : أخذته من فلاح . قال : ولماذا لم تشتريه بالذهب ،  
ألست أنقذك عشرين كانياً ( اسم عملة ) في الشهر ؟ ثم أمر بشطره  
نصفين ، وبأن يعلق على قارعة الطريق ، وأن ينادى في المدينة  
ثلاثة أيام بأن من يأخذ أموال المسلمين بغير حق فسوف يلقى مالمقى  
هذا الغلام من العذاب .

وشاع أمر عدل الب تكين وحرصه على المحافظة على حقوق

الناس . وأخذ أهل غزني يتحدثون ويتناقلون القصص على عدله ورفقه وحسن إدارته ، قالوا : إنا نريد ملكاً عادلاً نأمن في ظله على أرواحنا ونسائنا وأموالنا ، وليكن تركياً أو مولداً من العرب والفرس ، ثم فتحوا أبواب مدينتهم فدخلها الب تكين .

واعتصم أمير غزني بقلعة فيها ، وظل يقاوم عشرين يوماً ثم استسلم .

واتخذ الب تكين من غزني عاصمة لملكه ، وأسس الدولة الغزنوية ، وأخذ يرسل الحملات لفتح بلاد الهند ، فكانت جيوشه تذهب إلى هناك وتعود حاملة معها شتى الغنائم ، مع أن بين غزنة وبلاد الهند مسيرة اثني عشر يوماً .



وشاع في خراسان ، وماوراء النهر أن الب تكين قد استولى على بلاد واسعة ، وأن جنوده يغزون بلاد الهند ، وأن الذهب والفضة والنعم تنثال عليهم انثيالاً ، فأقبل الناس على اللحاق به ، وانضم إلى جيشه ستة آلاف فارس منهم ، فشجعه هذا على المضي في فتحه فبلغ بيجاپور ( بيقاپور ) .

وأما ملك الهند فقد جمع جيشاً عظيماً قوامه مائة وعشرون ألف مقاتل وخمسة آلاف فيل ، وعزم على قتال الب تكين وطرده من بلاد الهند .

واتصل بملك بخارى الساماني أن الپ تمكن قد قبض الله له فتحاً  
مبيناً ، وأن ملك الهند قد استعد لقتاله ، فجمع هو الآخر عدته ،  
حقداً على الپ تمكن ، وبعث لقتاله جيشاً على رأسه أبو جعفر ،  
فلما علم الپ تمكن بذلك أمر بترك جيش السامانيين يقترب حتى صار  
على فرسخ منه ، ثم أمر بالهجوم عليه فاضطر أبو جعفر إلى الفرار  
وأما الجيش الذي يتكبر من خمسة وعشرين ألف مقاتل فقد تبدد  
شملة ، وهكذا جرت على جيش الساماني هزيمة أشد نكراً من  
هزيمته في بلخ وخلم ، وبهذين المعركتين أنهكت قوى السامانيين  
وأصبحت دولتهم فريسة سائغة لخانات تركستان .

ثم اتجه الپ تمكن إلى ملاقاته ملك الهند ، وقد طمع الكثيرون  
في خيرات هذه البلاد فانضموا إليه ، وهكذا واجه ملك الهند بقوة  
كبيرة ، وقد ظفر بالإحاطة به ويأزله في مازق لا يستطيع الخروج  
منه ، فاضطر إلى أن يطلب الهدنة ، وأن يعلن استعدادة لتمكين  
الغزنويين من الثراء الذي يريدون ، فأمر بأن تسلم إليهم القلاع ،  
فقبل الپ تمكن هذه الهدنة ، ورجع ملك الهند بجيشه ، وتقدم الپ  
ليستولي على القلاع ، فوجد أبوابها موصدة دونه ، وعلم أن ملك  
الهند قد أخلف وعده ، فأعلن الأعداء بينهما ، وهاجم القلاع  
وحاصر ما لم يسلم إليه منها وفي أثناء ذلك مات الپ تمكن .

\* \* \*

واجتمع الجند الغزنويون فقال أحدهم : لقد أوقعنا الرعب  
في قوس الهنود وحملناهم على خشيتنا فإن نحن أطلقنا العنان  
لنزواتنا الفردية ، وادعى كل منا أنه أحق بالزعامة ، فإن النصر الذي  
قيضه الله لنا ستعفى آثاره ، ويحل بنا من الهوان ما نعوذ بالله منه ،  
وسترتد إلى صدورنا السيوف التي قتلنا بنصاها أعداءنا ، فالأجدر  
بنا أن نختار أشجعنا وأمضانا عزماً ليكون ملكا علينا ، فنبايعه  
ونخلص له كما بايعنا وأخلصنا لألپ تكيين .

واختار الجماعة بإجماع الآراء سبكتكين خلفاً لألپ ، وهكذا  
أصبح الرقيق ملكاً لأقوى دولة في زمانها .



وكان سبكتكين موفقاً في حياته ، وقد تزوج من ابنة حاكم  
زاوولستان ، فولدت له ابنة محمود الغزنوي أشهر ملوك الغزنويين  
الذي طالما حدثت مولاي عن سيرته .

وقد مرن محمود على فن الحكم في أيام أبيه ، فإنه كان يصحبه  
في غزواته الكثيرة ويشركه في إدارة شئون البلاد ، ولذا فإنه ،  
حين أصبح ملكاً ، استطاع أن يوسع الدولة فبلغت أوجها في عهده  
ولكنه على ما أتبع له من الملك العظيم ، ومع ما فتح الله عليه

فى الهند ، فقد بلغ سمات ، مع هذا كله كان يطمع فى الألقاب  
ومحبها ، حتى إنه خاصم خليفة بغداد ، لأنه لم يمنحه لقباً طلبه ، وكاد  
يعزله عن الخلافة ويولى عباسياً سواه .

قال ملكشاه : هذا مع أن محموداً كان سدياً مخلصاً ، وكان من  
أشد حماة الخليفة السنى غيرة عليه . فحدثنا يا نظام عن حبه للألقاب  
ومخاصمته خليفة بغداد من أجلها ،

( سياست نامه ٢٧ )



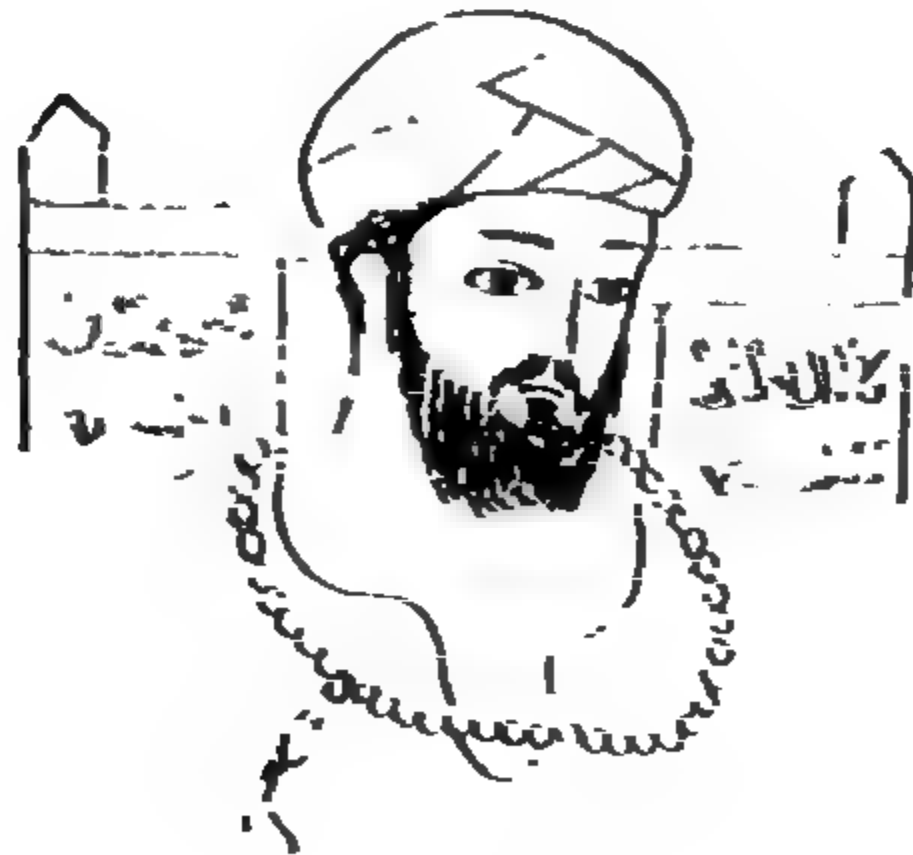
## ٢٠ شيخ الطريقة

من الله على عبد شقى بالتوبة عن الذنوب ودخول حلقة أهل التحقيق ، وهكذا أصبح صاحباً للدراویش وتبدلت ذمائم أخلاقه محامد ، ولكن ألسنة السوء امتدت إليه تنوشه كالرماح فتشكك فى صلاحه وزهده .

وإنك قد تنجو بالتوبة من عذاب الله ، ولكنك لا تنجو من ألسنة الناس . فلم يطق ظلمهم ، وذهب إلى شيخ الطريقة يشكو ، فبكى الشيخ وقال :

إنك أفضل مما يظنون فيك فكيف لا تشكر هذه النعمة .  
أنظر إلى ، ظنوا فى الكمال ، وأنا أقرب إلى النقصان !

( كلستان )





## ٢١ السلطان محمود واللقاب

الألقاب كما تعلم يا مولاي جعلت جزاء وفاقا على عمل نافع ، وأكرم الألقاب ما منحه خليفة المسلمين للملوك ، وقد كان محمود شغرفاً بالألقاب ، فالتمس من القادر بالله لقباً فمنحه لقب «يمين الدولة» وبعد أن فتح محمود خراسان ونيم روز والعراق والهند حتى سمات ، طمع في لقب جديد يتفق وهذا الملك الواسع ، فبعث إلى الخليفة ملتسماً لقباً جديداً وأرسل مع رسوله هدايا كثيرة للخليفة ، ولكنه لم يجب طلبه .

واتفق أن أنعم الخليفة على خاقان سمرقند بثلاثة ألقاب ، فلما سمع محمود هذا غضب وبعث إليه يقول : إني فتحت بلاد الكفار ورفعت لواء الإسلام فيها والتست لقباً فضنت به علي ، ومنحت خاقان سمرقند ثلاثة ألقاب مع أنه تابع لي . . .

فأرسل إليه الخليفة يهدي من روعه ويؤكد له ، أن الألقاب ترفع من قدر حاملها وأنتك بحمد الله رفيع القدر بغيرها ، أما خاقان سمرقند فتركي جاهل ينشد الألقاب ليشتهر بها ، ولذا فإني منحته

إياها ، ولم أمنحك ما طلبت عرفاناً بقدرك وأنت تعلم مكاتك  
من نفسى .

وكان عند محمود جارية لها ذكاء وقاد ، وكان يؤثرها على جواريه  
ويستمع إليها وهي تقص الحكايات وسير الملوك ، فلما رأتة الجارية  
غاضباً سألتة عما يدعوه إلى العبوس وإطالة التفكير ؟ فقص عليها  
قصته مع الخليفة ، وقال إنه يريد أن يظفر بيراءات ألقاب الخافان  
ولمن يحملها إليه أجر عظيم .

فقال له الجارية : إني ذاهبة عنده وسأتيك بهذا الذى تريد ؛  
واستعدت الجارية للسفر ، وأمدتها محمود بكل ما تريد .



سافرت الجارية من غزنين إلى كشغر ، ومعها ابنها الصغير ،  
وقد اشترت كثيراً من البضائع والإماء والغلaman ، وسارت إلى  
سمرقند . .

وبعد ثلاثة أيام اتصلت بالخاتون ، زوج الخاقان ، فأهدتها  
جارية حسناء ، وأفهمتها أنها كانت زوج تاجر غنى ، وأن زوجها  
مات فى الطريق ، وأنها استعانت بالخاقان والخاتون لدى خاقانات  
كشغر وأزبك ، ولهذا فقد ساعداها على بلوغ سمرقند ، وأكدت  
لها أنها ستبقى مخلصه لها وللخاقان ما عاشت ، وأقسمت على ذلك

بربها وبابنها الذى ليس لها غيره فى هذه الدنيا ، والتمست منها أن تتخذها جارية لها منذ اليوم ، فقد تعلق قلبها بها ، ولذا فقد عازمت على بيع حليها وما معها من بضائع لتشتري ضيعة قريبة من سمرقند وذلك لتبقى قريبة من الخاتون ؛ فترى ولدها وتنعم بعطف الخاقان وزوجه ..

وسرت الخاتون بقاء الجارية ، ووعدتها بالمساعدة وأمرت بإعطائها بيتاً تسكنه ، ومعاشاً يكفى نفقاتها ، ووعدتها بأن تتحدث إلى الخاقان ليهبها كل ما تريد ..

وسجدت الجارية للخاتون ، وقالت لها : أنت منذ اليوم سيدتى ، والتمست منها أن تهىء لها مقابلة الخاقان لتحدث إليه ، فأمرتها الخاتون بأن تعود غداً ...

\* \* \*

فلما رأت الخاقان أفهمته أن بضاعة زوجها قد أنفق جل ثمنها بين هدايا خان كشغر ونفقات الطريق ، ثم أهده غلاماً تركياً وجواداً مطهماً ، ورجته أن يقبلها جارية فى قصره ، عسى أن تتمكن فى ظله وظل الخاتون من تربية الطفل اليتيم ..

وكانت الجارية تهدي الخاتون هدية جميلة من حين إلى حين ، ثم كانت تقص عليها وعلى الخاقان من جميل القصص ما قربها منهما وجعلهما شديدى الحرص على مجلسها ...

ثم إنها كانت تمتطى جوادها وتخرج بعيداً عن سمرقند وتبقى  
يومين أو ثلاثة ، وتبعث رسولا يعتذر عنها عند الخاقان والخاتون  
بأنها تريد أن تشتري أرضاً في القرية التي قصصتها ، فكان ذلك يثلج  
صدرى الأميرين فيقولان إن الجارية تعمل على إدامة الإقامة بيننا .

وكان الخاقان وزوجته يصدقان عليها المنح ، ولكنها كثيراً  
ما كانت ترفض منحهما ، لأن أمنيتها الوحيدة في الحياة - كما تقول -  
أن تسعد برؤيتهما ، وقد يسر الله لها قوتها اليومى . ثم كانت تؤكد  
أنها إذا رغبت فى شيء فإنها ستطلبه بنفسها .

وظلت على هذا النحو ستة أشهر ، إلى أن تمكنت من بيع كل  
أموالها بالذهب ، ثم أعطته إلى تاجر تعود الرحلة بين غزني  
وسمرقند ، واتفقت مع خمسة فرسان على أن ينتظروها كل منهم  
فى مرحلة من الطريق بين البلدين .

وراحت الجارية إلى الخاقان والخاتون فقدمت تحية الصباح  
وقالت : إن لدى سراً لا أخاف أن أقدم به إليكما ، فقالت الخاتون  
أطلبى ما شئت .

قالت : إنه لم يبق لى من دنياى غير طفلى اليتيم الذى أعلمه  
القرآن ، والذى أرجو أن يوفقه ربه ببركة مولاتى ومولائى ، وإنه  
ليس أعز ، بعد كلامى الله ورسوله ، من هذه البراءات التى تصدر

عن أمير المؤمنين ، وكاتبها خير من أقرانه جميعاً ، وإني أتمس أن  
يؤذن لي بأخذ هذه البراءات التي وجهها الخليفة لمولاي الخاقان ،  
ليقرأها ولدى مستعينا بمعلمه في يومين أو ثلاثة . . .

فقلت الخاتون : أهذا كل ما تريد ، ليتك طلبت مدينة أو  
ولاية أولدنا من هذه الرسائل خمسون ، فقلت الجارية يكفيني  
واحدة يا مولاتي .

قالت الخاتون لخدمها خذ السيدة واعطها من الرسائل ما تريد ،  
فذهبت الجارية معه واختارت الوثائق التي طلبها محمود الغزنوي ،  
وانصرفت . . .

وفي الغداة أمرت بإعداد الركب لرحلة خمسة أيام ، وأشاعت  
أنها ذاهبة لشراء أرض في قرية بعيدة ، ثم سارت إلى ترمذ ، وكانت  
تقابل بالإجلال حيثما نزلت ، فإنها تحمل أمراً من الخاقان يمنحها  
امتيازات خاصة ، وفي الليل أكملت رحلتها فبلغت بلخ قبل أن  
تعرف الخاتون أن صاحبها قد قامت في رحلتها من رحلاتها . . .  
ومن بلخ سارت إلى غزني فأسلمت محموداً الغزنوي البراءات التي  
كان يريدتها . . .



وبعث محمود بهذه البراءات إلى الخليفة مع أحد الفقهاء المبجلين  
مذكراً الخليفة بهذا التركي — خاقان سمرقند — الذي ترك هذه

البراءات بغير رعاية أو عناية ، فتناولتها الأيدي ، وقد لقيها أحد رجال السلطان ، وكان في جولة بسمرقند ، في يد طفل يعيث بها محاولاً قراءتها ، وهكذا استهتر الخاقان بهذه البراءات التي يمنحها الخليفة ، بدلاً من أن يجعلها في مكان أمين حتى لا يعيث بها أحد .

وغضب الخليفة حين سمع هذا الكلام وأرسل يؤنب خاقان سمرقند . وظل رسول محمود ستة أشهر يلتمس لقباً جديداً لسيده والخليفة لا يأبه بما يطلب .

فكتب هذا الفقيه إلى قاضي القضاة يسأله إذا كان يجوز لسلطان يعمل لنشر الدين ويجاهد في سبيل الله وهو بعيد عن الخليفة لا يستطيع أن يتصل به ليوقفه على أحواله ، أيجوز لهذا السلطان أن يقيم أحد بنى العباس خليفة ، ليكون قريباً منه ؟ فأجاب القاضي بالجواز .

فلما يئس الفقيه من الخليفة ، أرفق الفتوى بطلب اللقب وبعث بهما إليه ، فلم يكدهما هذا يطالع على الفتوى ، حتى أسرع فبعث حاجبه للفقيه ، فلما مثل بين يديه أكرم وفادته ، وخلع على محمود لقب « أمين الملة » .

وهكذا ظفر محمود بلقب جديد ، ولكنه يامر لاى لقب مغتصب ، وهذا الحادث ، وإن دل على ضعف محمود في هذه الناحية فإنه لا ينفى عظمة محمود وجدارته ولا تعدم الحسناء ذاماً .

( سياست نامه ٤١ )



## الملك والسائل

رأى ملك سائلاً ، فقال له السائل : إني أغني من جميع ملوك  
الأرض ، إني رجل الله .

فقال له الملك ،

فكيف تكون أغني من الملوك ؟

فقال :

لأن الملك رجل محتاج لأشياء كثيرة ، ولكن الدرويش لا يحتاج  
شيئاً ، وأنا درویش ، فأنا أغني منكم جميعاً .

( سعدى — كلستان )



## يوم القيامة وعمل الصالح



رأى رجل ميدان يوم القيامة فى منامه . وكانت الأرض ساخنة وقد اقتربت الشمس منها ، وابتلى الناس بالجوع والعطش وحمل المذنبون أوزارهم على رؤوسهم ، وكانوا يقدمون الحساب عنها ، ويسرون فوق الصراط ؛ فكان بعضهم يهوى إلى جهنم وقد نكست رأسه . وكان الميزان فى الوسط ، فى كفتيه الموازين والأعمال ، والناس جميعاً من الملوك إلى الدراويش ، من الأقوياء إلى الضعفاء ، مشغلون بأعمالهم .

وكان كل نبي يحدث أمته قائلاً : لقد بينت لكم أحكام الله ، وحدثتكم عن يوم القيامة ، وأمرتكم بالمعروف ونهيتكم عن المنكر ثم دعوتكم إلى عبادة ربكم وطاعته ، فبأى الأحكام عملتم ، وأى الأوامر أطعتم ؟

والخلاصة أن قلوب الناس ، فى ذلك اليوم ، كانت مملوءة بالدم وغيرهم مملوءة بالدمع والنم .

وفى أثناء ذلك رأى النائم رجلاً قد اتشح بشوب أزرق وعلى رأسه تاج الجنة ، وقد جلس فى ظل العرش الأعظم .

فمر به الرجل وسأله : أى عمل صالح قدمت فى دنياك حتى كانت لك العقبي ؟

فقال :

حفرت على حافة الطريق بئراً ، وغرست بجوارها شجرة ، وذلك ليشرب المسافرون والغرباء من الماء ويستريحوا فى ظلال الشجرة .

وقد أتى ، يوماً ، فقير حافى القدمين ، عارى الرأس ، رث الملبس .. أتى فى هدوء ووقار واستراح ساعة فى ظل الشجرة ، فدعا ربه قائلاً : « رب إني آويت إلى ظل شجرة فلان ، رب ارحمه من عذاب يوم القيامة » . فغفر الله ذنوبى ، وبلغت هذه الدرجة بفضل ما قدمت من الخير .

فلما استيقظ الرجل من النوم كان مصفر الوجه من الخوف فحفر بئراً وغرس شجرة وبني مضيعة وقضى ما بقى من عمره فى خدمة المسافرين والفقراء والغرباء .

( جامع الحكايات )

## ٢٤ المريض والبيطار

أصيب رجل ساذج بمرض في عينه ، فذهب إلى بيطار وطلب منه أن يعالجه ، فوضع البيطار في عين الرجل ما يضعه في عين الدواب من دواء فعميت عينه .

فلما رفع الأمر للقاضي قال :

ليس على البيطار إثم ، إذ لو لم تكن حماراً لما ذهبت إليه .

( سعدى - ككستان )



كان لأحد الملوك ولد قصير القامة نحيف الجسم ، وأولاد قاماتهم كالسرو ، وأجسامهم ضخمة ؛ فكان الملك يكره ابنه القصير ، وأدرك الولد شعور أبيه نحوه ، فقال له :

يا أبت إن قصيراً عاقلاً خير من طويل جاهل ، فليس كل من طالت قامته عظُمت قيمته ، ألم تر إلى طور ، أقل جبال الأرض ، ولكنه أعظمها قدراً ومنزلاً عند الله ، ثم ألم تعلم أن الحصان العربي مع هزاله خير من الحمار السمين ؟ فلما سمع الملك ذلك ضحك ، وسُر أركان الدولة ، وغضب أخوته .

وكان للملك عدو صعب المراس ، فأرسل جيشه ليحاربه ، فلما التقى الجيشان كان الأمير القصير أول من دهم العدو ؛ وكان جيش الملك قليل العدد ، فأشار جماعة بالهرب حتى لا يغلِبهم العدو ، فصاح الأمير القصير بالفرسان أن يثبتوا ويقاتلوا حتى لا يلحقهم الخزي ، وقد ظفر جيش الملك بالنصر في هذه الواقعة .

وسمع الملك ما كان من إقدام ابنه وشجاعته فقبله واحتضنه ، وأخذت مكانته تعلو لديه ، حتى جعله ولي عهده ، فنقم عليه إخوته

هذه الحظوة ، ودسوا له السم في الطعام . وجاء الأمير القصير  
ليأكل ، وكانت أخته واقفة تنظر ما يفعل أخوته ، تخشيت أن  
يأكل أخوها من الطعام المسموم فأغلقت النافذة بشدة ، فتنبه  
الأمير للأمر ، وامتنع عن الأكل .

ولما علم الملك ما جرى بين أولاده ، دعاهم وأنبهم ، ثم خص  
كلا منهم بناحية من مملكه ، فأسرع الأولاد إلى إمارتهم فحكموها ،  
وهذا ما بينهم من نزاع .

وقد قيل : عشرة دراويش ينامون على كاي واحد ، ولا يستقر  
ملك على إقليم ، ولو ظفر درويش برغيف أكل النصف وأعطى  
النصف الثاني للدراويش ، ولو ظفر ملك بإقليم لطمع في إقليم آخر .  
( كستان )





حين ولي عمر بن الخطاب الخلافة ولّى سلمان الفارسي حاكماً لمدينة في الشام ورتب له خمسة آلاف درهم .

ولكن سلمان لم يكن ينفق على نفسه من هذه الوظيفة ، بل كان يشتغل في أوقات فراغه بنسج الزنايل من سعف النخل ، فيبيعها وينفق ثمنها ، أما وظيفته فكان يتصدق بها على الفقراء .

فسئل عن حكمة ذلك ، فقال :

خشيت أن أنفق راتبي في لذائذ الحياة ، فأقصد من عبادتي بقدر ما أجد من لذة .

( جامع الحكايات )



كن جماعة من اللصوص في رأس جبل ، وقطعوا طريق القوافل ، وارتعدت فرائص الرعية من مكايدهم ، وحار جند السلطان معهم ، فقد اتخذوا من قلة الجبل ملاذاً منيعاً ، يأوون إليه ، فتشاور رجال الدولة لدفع هزرتهم ، وخشوا إن تركوهم دأبوا على النهب والسرقة ، وتعذر مقاومتهم ، ويستفحل خطرهم .

فإنك تستطيع أن تقتلع الشجرة التي غرست حديثاً ، ولكنها إذا تركت ، قبت في الأرض أصلها . فإنك لا تستطيع اقتلاعها .. فقرّ الرأي على إرسال رجل ليتجسس على اللصوص ، حتى إذا غادروا مكانهم ، أخبر الرجال ليذهبوا ويحتفوا ويفاجئوا اللصوص في عودتهم .

وخرج قطاع الطريق في غارة لهم . وكان لهم رجال السلطان ، فلما عادوا ليلاً واستولى عليهم النوم ، داهموهم وقيدوهم واقتادوهم إلى السلطان ، فأمر بقتلهم جميعاً .

وكان بينهم فتى في عنفوان الشباب ، وميعة الصبا ، فتدخل الوزير الطيب ، وشفع له عند السلطان ، وقال : هذا الولد ، كما

برى مولاي لم يذق ثمرة حياته ، ولا تمتع بشبابه ، وإنى لأرجو  
أن يتفضل مولاي فيمن على بحقن دمه . فتجهم وجه الملك وقال :

الحيثون لا يتحلون بخصال الطيبين ، وإن التربية لا تجدى فيهم  
فالأولى أن يقطع دابرهم ، وتمحى آثارهم ، والخير أن نقتلع أصولهم  
وفروعهم ، وليس من الحكمة أن تطفىء النار وتترك شررها ،  
أو أن تمتل الأفعى وترعى صغارها ! لو أن السحاب أمطر ماء  
الحياة فإنك لا تجنى من شجرة الصفصاف ثمراً ، ولن تجنى القصب  
من قش الحصير ، فلا تضع الوقت مع وضيع الأصل .

فلما سمع الوزير هذا الكلام ، اضطر إلى الموافقة عليه ، وقال :  
إن ما أمر به مولاي هو عين الحقيقة ، فإن هذا الفتى لو سلك  
سلوك الأشرار لتطبع بطبعهم ، ولصار واحداً منهم ، وأملى فيه  
أن تهذب صحبة الاتقياء ، ويتحل بحكمة العقلاء ، فإنه طفل بعد ، ولما  
تمكن منه سيرة أهل البغى والعناد ، وقد جاء في الحديث يامولاي :

« ما من مولود إلا ويولد على فطرة الإسلام ثم أبواه يهودانه  
أو ينصرانه أو يمجسانه . » وأخذ يتكلم على هذا المنوال ، وأيده  
جماعة من الندماء ، فعفا الملك عن الشاب وقال : عفوت عنه ولو  
أنى لا أرى في ذلك خيراً .

ثم إن الوزير أخذ الفتى إلى بيته ، ورباه تربية صالحة ، وعهد بتعليمه إلى أستاذ أديب علمه حسن الخطاب ورد الجواب وسائر آداب الملوك حتى صار الفتى موضع أنظار الجميع .

وتحدث الوزير عنه عند الملك ذات مرة ، وقال إن تربية أهل الحكمة أثرت فيه ، وإن الجهل الذى كان فيه قد زال عنه ، فابتسم الملك وقال :

إن مصير ابن الذئب أن يكون ذئباً ولو شب مع الآدميين .

ومرت على هذه الحال سنة أو سنتان ، واتصل جماعة من أوباش المدينة بالفتى ، وتعاهدوا معه ، فاتهز الفرصة وقتل الوزير وولديه واستولى على ماله ، وسكن المكان الذى كان يلجأ إليه أبوه فوق قمة الجبل !

وبلغ الخبر الملك فقال :

إن التريبة لا تصلح الوضيع ، فالسيف البتار لا يخرج من ردىء الحديد ، والمطر الذى لا خلاف فى لطافته ، ينبت فى الحديقة زهرة اللالة ، ويخرج فى الأرض الملحة ، الأعشاب ، إن استعمال الطيبة مع الأشرار ، كاستعمال الخبث مع الأبرار .

( سعدى — كلىستان )

## ٢٨. بزرجمهر والحكام

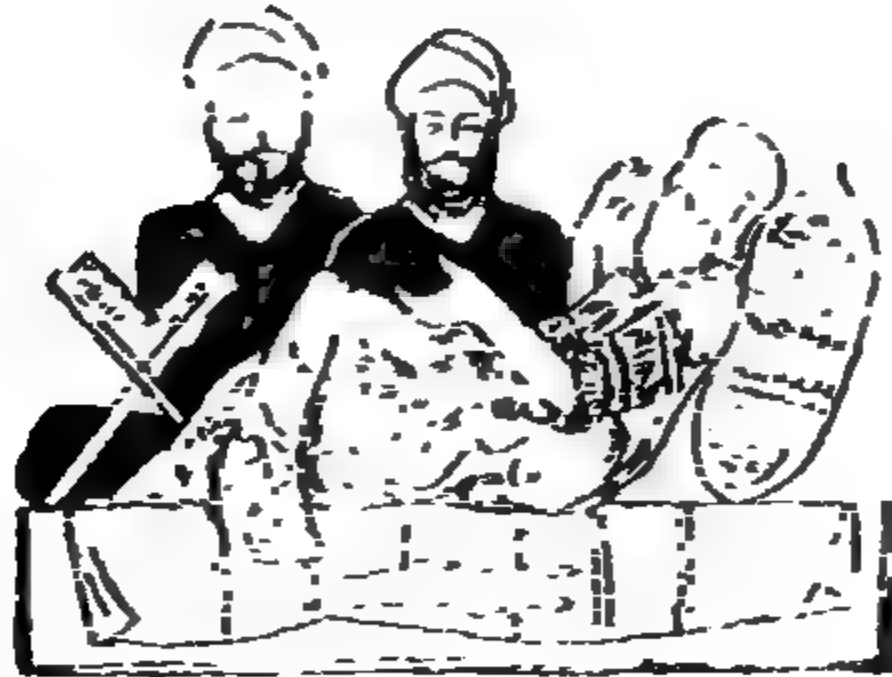
ذهب جماعة من أهل الحكمة إلى كسرى يحدثونه في شأن من شئوونهم ، وكان بزرجمهر جالساً مع كسرى ، ولكنه أخذ يستمع إلى قول الحكماء ولا يساعدهم .

فسألوه : لماذا لم تتكلم لتؤيد قولنا عند كسرى .

فقال :

نحن كالأطباء والطبيب لا يصف الدواء لغير مريض . وقد رأيتم تتحدثون إلى الملك بالحق فلم أر في كلامي فائدة لكم .

( سمي — كلستان )



## ٢٩ في عدل الملوك وسيرتهم

قال نظام الملك محدثا السلطان ملكشاه :

أمرت يا مولاي أن أكتب لك هذا الدستور فلم يسعني إلا أن  
أصنع بالامر ، وكم كانت مهمتي يسيرة عندما استلهمت سيرتك ،  
وتدبرت سياستك ، وأنت يا مولاي من أتاح الله تعالى له كل أسباب  
المجد ووسائل الخلود . وقد أراد الله بهذه الدولة خيراً فنصبك عليها  
ملكاً ، ولم يكن الملك عليك جديداً وجدودك يملكون العروش  
منذ عهد جدك العظيم أفراسياب . وقد وهبك ربك من الصفات  
الجميلة ، والطلعة البهية ، والطبع المعتدل والعدل والشجاعة والعلم  
والشفقة والرحمة والوفاء والتمسك بالدين القويم ، وطاعة الله  
وتقدير العلماء وأهل الحكمة ، ما يجعل ملكك سعيداً ، قوى  
البيان ، وارف الظلال .

والركن الأول في الحكم الصالح أن يكون الملك عادلاً يا مولاي  
وقد قيل : « الملك يبق مع الكفر ولا يبق مع الظلم » . فعلى الملك  
أن يرضى ربه في حكم رعيته . واعلم أن الملك الذي يستمد قوته من  
حب شعبه له ، هو صاحب العرش المكين .



وقد حكى أن يوسف عليه السلام أوصى بأن يدفن بجوار جده  
إبراهيم ، فلما مات هموا بدفنه حسب وصيته ، فنزل جبريل من  
السماء وقال: ليس هنا مكانه ، فإن الله سوف يحاسبه عن حكم الناس.  
فإذا كانت هذه حال يوسف الصديق فكيف بالملوك من الناس ؟

\*\*\*

وقد حكى عن عبد الله بن عمر أنه حين اقتربت المنية من أبيه  
سأله متى يراه بعد موته ، فقال عمر : أراك يوم القيامة إن شاء الله .  
فقال عبد الله : وددت لو أراك قبل ذلك .  
قال عمر : إذا تراني في الرؤيا بعد يومين أو ثلاثة من موتى .  
ومضت الليالي الثلاث ولم ير عبد الله أباه . وبعد اثنى عشر عاماً  
جاءه في المنام ، فسأله عبد الله : ألم تقل يا أبت إنى أراك بعد ثلاث  
ليال من موتك ؟ فقال عمر : لم يتح لى الوقت يا بني ، فقد كان ربك  
يحاسبني عن جسر تهدم في أثناء فتح العراق ولم يصلحه العمال ،  
فغثرت به شاة فكسرت ساقها .

\*\*\*

فاعلم يا مولاي أن الله محاسبك يوم القيامة عن حكمك الناس  
فعليك ألا تفوض أمر الرعية ، التي اختارك الله لرعايتها ، لغيرك .

وعليك أن تعرف ما يجري بين الناس ، حكماً ومحكوماً ، سراً وعلانية . وأن تضرب على يد المعتدين منهم ، وألا تظلم منهم أحداً برعاك الله ويؤيدك ويسدد خطاك .

وإذا كان القضاء يصدر أحكامه باسمك لأنك تستمد سلطتك من الله الذى هو العدل ، فعليك أن تكون على رأس القضاة ، وأن تعقد محكمتك مرتين فى الأسبوع لتسمع شكاوى الرعية ، فتدفع الظلم عن ظلم . ولكى يتم ذلك على الوجه الأكمل ، ينبغى أن يستمع الملك بنفسه إلى الشاكن من رعيته ، وأن ترفع إليه جميع التحقيقات الخاصة بالقضايا المعروضة ، فيدرسها بنفسه ، ثم يصدر الحكم الذى يرى ، متبعاً قواعد العدل والإنصاف . وكما يقل الظلم ، ويتضاءل النزاع . إذا ما علم الكافة أن الملك يرأس محكمته الخاصة مرتين فى الأسبوع لسماع المظالم والقضاء فيها بنفسه ، فإن هذا يرجع المعتدى عن عدوانه كما يرد من غوى عن غيه . وقد كان ملوك الساسانيين يحرصون على هذا التقليد أشد الحرص .<sup>(١)</sup>

\* \* \*

فقد سمعت يا مولاي أن ملكاً منهم ، كان أصم ، وكان يخشى

---

(١) يقصد جلوس كسرى للقضاء فى عيدى التوروز والمهرجان .

ألا ينقل إليه رجاله شكايات الناس نقلاً أميناً ، فيحكم بينهم بغير العدل ، فأمر أن يلبس المتظلمون من الرعية ثياباً حمراء ، وألا يلبس غيرهم ثياباً من هذا اللون ، وذلك ليعرفهم الملك فإذا كان يوم النظر في المظالم ، امتطى الملك فيلاً ووقف في الميدان وجمع حوله ذوى الثياب الحمراء ، ثم أخذهم فرادى فى مكان قصى ، وأمر كلا منهم أن يرفع صوته عالياً حتى يسمع الملك شكواه ، فينصفه .

\*\*\*

وليتبه الملك إلى قلب الأيام وغدر الزمان . ألم تر إلى المعدل ابن على بن ليث الصفار ، وقد امتلأت بالمال خزائنه ، وقويت بالجيش دولته ، فشق على خليفة الله عصا الطاعة ، ومضى فى سياسة أخيه ، مؤثراً العدوان على الوثام ، والحرب على السلم ، وكلما حاول الخليفة أن يهدى من ثورته استغشى ثيابه واستكبر استكباراً . ساق الجيوش الجراد ، واستعان بالمال الذى تفيض به الخزائن العامرة ، ومضى يقاتل أمير المؤمنين الذى استنجد بأبى نصر ابن اسمعيل السامانى ، فسار هذا لنصرته فى جيش قل عدده وعدته . وشاء ربك أن تغلب قلة السامانى كثرة الصفارى ، وأن يؤسر فلم ينفعه ماله الوفير ولا جنده الكثير .

وكان المعدل ملكاً مترفاً ، يلتف حوله الكتاب والشعراء

والأمراء ، وكانت مائدته تتسع لمئات منهم كل يوم ، وكان مطبخه يحمل على أربعائه جمل حين يرتحل ، فلما وقع في الأسر وعرضه الجوع طلب من أحد حراسه أن يبحث له عما يسد به رمقه ، فسارع الجندي واشترى قليلاً من اللحم واستعار موقداً ، وقبل أن يتم نضج اللحم أغرت رائحته كلباً فاتى وكشف عن الإثاء الغطاء ، ولما مدفه ليأخذ قطعة منه أودى بحرارته فخرى وقد علق الإثاء برقبة فلما رآه المعدل ندم وقال :

أرأيت من أصبح أميراً وأمسى أسيراً .

فعلى الملك أن يتبصر بما تخبئه الأيام وأن يعمل لغده كما يعمل ليومه ، وأن ينظر إلى تاريخ الملوك ليتخذ منه العظة والعبرة . وقال  
الله يا مولاي شر الزمان ، وأمنك غيلة الأيام .

( سياست نامه ٣ )



## النوروز

علا عرش إيران في الأزمنة القديمة ملك عظيم اسمه جمشيد ،  
وقد أولع هذا الملك بحب بلاده ، فكان يكرس وقته كله لخدمتها  
ورعاية مصالحها . وقد استطاع — بما له من حيلة وذكاء — أن  
يسخر الجن ، وأن تدعن له الطير ، ولم يكن أحد من ملوك عصره  
يدانيه في قوته وبسطة سلطانه . ولم يكن جمشيد مع ما أوتي من  
أبهة الملك ، وسعة البلاد ، وخضوع الجن ، وإذعان الطير له ، لم  
يكن مع هذا كله متكبراً على الإيرانيين ، بل كان يحبهم ويكثر  
من الاجتماع بهم والتحدث إليهم ، وكان إذا اجتمع بالإيرانيين  
يقول لهم : إني قد ملكتكم بما خصني الله تعالى به من فضله ، وألبسني  
من نوره ، لأعمر الأرض ، وأؤمن الخلق ، وأبسط العدل ، وأكثر  
البذل ، وأحيي الخير ، وأميت الشر . وكان الإيرانيون يسمعون  
هذا الكلام ويتناقلونه ، فتزداد مكانة ملكهم في نفوسهم ، حتى إنهم  
كانوا يسجدون له .



وكان بجواره ملك يحقد عليه ما اختص به من نعم ، وأدرك جمشيد ما يضره هذا الملك من سوء له ، فاستعد لقتاله ، وقامت الحرب بين ملك صيدون وجمشيد ، ونزل هذا بنفسه إلى المعركة ف ضرب عدوه ضربة قضت عليه ، فانفض جنده وخضعت بلاده ، فدخلها الملك الظافر ، وأقام في بيت الملك المغلوب . وكان لملك صيدون بنت ذاع صيت جمالها ، وحسن أدبها . فلما رآها جمشيد أحبها ، وأراد أن يتزوجها ، فلم تستطع أن ترفضه وتزوجها وسار معها إلى إيران .

وكانت بنت ملك صيدون تحب أباهاً حباً عظيماً ، ولم يكن زواجها من أعظم ملوك الأرض ، وأوسعهم ملكاً ، وأكثرهم ثراء لينسيها أباهاً ؛ فهي حزينة عليه حزناً زهداً في كل ما في قصر جمشيد من أبهة وجمال . وكلما حاول جمشيد أن يخفف من حزنها أو يشرح من صدرها لم تلتفت إليه ولم تتأثر بما يعمل لإرضائها . ودخل عليها ذات يوم فإذا بها تبكي وتندب أباهاً ، وتذكر أيامه الخالية ، وأيامها السعيدة في عهده ؛ فأشفق عليها جمشيد ، وخشى أن تهلك إذا دأبت على البكاء ، فسألها أن تعاونه في إيجاد وسيلة تنسيها أباهاً ، وتلفتها إلى ما هي فيه من خير ونعماء . وتحقق آمال جمشيد في أن تكون ربة هذا البيت الذي أعده لها ، وملكة على هذه البلاد التي تحبها حباً جماً . قالت السيدة الحزينة : من مبهرة



الفنانين بعمل صورة لأبي حتى أراها كل يوم ، لعل هذا يخفف  
حزني وينسيني فراقه . فكان لها ما سألت .

\* \* \*

وعكفت بنت ملك صيدون على عبادة صورة أبيها ، وأدرك  
جواربها أن سيدتهن تسجد للصورة التي أعدها الشياطين لها ، وأنها  
تعبد لها من دون الله ، فسجدن للصورة كما تسجد سيدتهن ، واتخذن  
مكانها معبداً لهن ، وأخذن يقمن الصلاة ، ويتوجهن بالدعاء للصورة  
التي صنعها الشيطان في قصر الملك جمشيد . وكان الصديقون يسمعون  
بما يجري في قصر الملك من عبادة الصورة فيرفعون أيديهم يدعون  
ربهم أن يرفع عنهم هذا البلاء وأن يخلص إيران من عبدة الصور .  
وكان لجمشيد خاتم هو سر تسخير الجن وإخضاع الطير ، وهو  
الذي يهيء له ما يليق من النصر في حروبه والسعادة في ملكه . وكان  
لا ينزع هذا الخاتم من إصبعه ، إلا حين يدخل الحمام ، وحينئذ يودعه  
خادمة مخلصة اسمها « الأمانة » ،

فلما أعرض جمشيد عن نصيح الصديقين ، ولم يقض على بنت  
ملك صيدون وبدعتها ، غضب الله عليه فسلط عليه صاحب البحر  
« صخرأ » ، وهو من المردة الشياطين . فاتهز هذا فرصة دخول  
جمشيد الحمام ، وتركه الخاتم مع « الأمانة » ، فزبا بزبه ، وقلد صوته ،

وذهب يطلب الخاتم من «الأمينة» فأعطته إياه ، ولم يكذب له سه حتى أصبح في مقدوره أن يحكم الإنس وأن يخضع الجن لأمره وأن يجعل الطير تعكف عليه ، فلما أخذ الخاتم وضعه في أصبعه ، وأسرع إلى عرش جمشيد فاستوى عليه ...

وخرج جمشيد من الحمام فطلب الخاتم من «الأمينة» فأنكرته وهزأت به وقالت إن جمشيد أخذ خاتمه وإنه علا العرش .

فخرج جمشيد من قصره وقد تغيرت هيئته ، ورثت حاله ، وراح بلبس الرزق من معاونة الصيادين في البحر . ولم يكن من السير على جمشيد أن يتحمل قسوة الحياة وذلة العمل مع الصيادين فكان يذكركم بحاله ، ويحدثهم عما كان له من الملك العظيم ، ولكنهم كانوا يسخرون منه ويتخذونه هزأة لهم ، وتضايق أحدهم من قصته فنهاه عن التحدث بها ، فلما عاود جمشيد الحديث فيها ضربه فشج رأسه ، فكان يستعين بماء البحر لتنظيف جرحه ، ثم أخذ يستغفر ربه ويطلب عفوه .

\* \* \*

أما صخر ، الشيطان ، فقد علا على أهل الأرض واستضعفهم وسار فيهم سيرة لم يألّفوها من قبل ، والتفت «آصف» وهو من الصديقين ، فإذا به يرى الخير قد أصبح شراً ، والعدل ظلاماً ،

ويرى أعمال جمشيد وقد تغير طابعها ، فمن عمارة الأرض إلى  
خزائنها ، ومن إحياء النفوس إلى قتلها ، ومن بث الخير إلى اقتلاع  
بذورهِ وغرس الشر . فراه ما رأى ، وراح يصلي ويدعوه أن  
يعينه على إدراك الحقيقة . وذهب « آصف » فسأل نساء القصر  
هل لاحظن على جمشيد شيئاً ، فإذا بهن قد سئمنه ، وإذا بهن ينكرن  
منه كل شيء ، إنه قد بُدِّلَ تبديلاً .

وجمع « آصف » الصديقين ، فأخذوا يتلون كتابهم ويتضرعون  
إلى الله ، يسألونه الرفق بالناس وصلاح الحال . ومكر الله بصخر ،  
والله أشد مكرأ ، وأدرك صخر أن عذاب ربه محيط . تخاف على  
نفسه وطار إلى البحر ، فوق الخاتم من إصبه ، فابتلعه سمكة  
وغاصت به في اليم .

\*\*\*

وكان جمشيد يشتغل أجيراً عند صياد ، وكان أجره سمكتين  
كل يوم ، فكان يبيع واحدة ليشتري بثمنها خبزاً ، ويشوى  
الأخرى ليأكلها . وذات يوم شق بطن السمكة قبل شيئا ، فوجد  
الخاتم فيها فأخذه ، وحمد الله على أن رد إليه ملكه ، وأدرك أن  
ربه أذاقه نوال العذائت بما أباح من عبادة الصور في قصره أربعين يوماً .  
وكان الإيرانيون في ضحك مما أصابهم أيام صخر ، فقد زالت  
البركة عنهم ، فجفت الأنهار ، وسكنت الريح ، ومات الزرع ،

وسادت الشياطين . وقد أخذوا يتطلعون إلى السماء ويدعون ربهم  
أن يرفع عنهم سخطه وغضبه ، وأن يدفع عنهم السوء ، وبينما هم في  
دعائهم إذا بعجلة من العاج والساج ، مفروشة بالديباج ، يحملها  
الشياطين على أكتافهم ، قد أقبلت بين الأرض والسماء ، وفيها ملكهم  
جمشيد وقد جلس على عرش من الذهب ، ومن فوقه هالة من نور  
وقد انعكست أشعة الشمس على العرش الذهبي فتلألأ ، وبدأ في  
أروع منظر ، فعلا هتافهم إلى عنان السماء ، حمداً لله وشكراً ، إذ  
رد إليهم ملكهم ، وصرف عنهم السوء ، وصاحوا فرحين : نوروز  
آمد ، أى جاء اليوم الجديد .

وكان هذا أول الربيع ، وهو عيدهم الأعظم .

## المهرجان

وطال عهد جمشيد ، وملاً الأرض عدلاً وخيراً ، ونظر فإذا  
كل من عليها خاضع له يخشاه ، فأخذه الغرور بنفسه ، وادعى  
الآلوهية ، وأمر الناس بعمل تماثيل له يعبدونها من دون الله ،  
فأغضب هذا ربه ، وسلط عليه الضحاك العربي ، فانزع الملك منه  
وقضى على جمشيد .

ويظلم الضحاك الإيرانيين ، ويقتل أبناءهم ليطعم بآدمعتهم ثعبانين  
كانا على كتفيه ، ويثور عليه الناس ، ويلى عرش إيران أفريدون ،

من نسل جمشيد ، فيحارب الضحاك ويهزمه ويأخذه مقيدا فيلقى به على جبل دماوند ، ويخلص الإيرانيين من شره .

وجلس أفريدون على عرشه ، واعتصب بالتاج ومن حوله ملوك الأوساط والأطراف ، وأسارير وجهه تشرق فقال : « شكراً لله فقد أراح البلاد والعباد من شر الضحاك ، ففضى عليه بالهلاك ، وطهر الأرض من خبثه ، وأخلاها من جورهِ وسحره ، وبدلكم به من يحمي حماكم ، ويعدل فيكم ، ويحسن إليكم ، وينعم عليكم ، ولا يدخر ممكناً في النظر لكم . فارتجت الأرض بالسرور وامتلات شكراً وثناء ، كما امتلات السماء دعاء ، وانصرف الناس إلى أعمالهم ، فعمرت الأرض وزادت الغلات وعم الرخاء ، واحتفلوا يوم ارتقاء أفريدون العرش وهو عيد المهرجان ، أي محبة الروح . وكان هذا أول الخريف .

\* \* \*

وفي هذين العيدين يجلس الملك لسماع ما يرفع إليه شعبه من شكاوى ، منه ومن ولاته وقضاته . وكان الملك يأمر بالنداء قبل قعوده بأيام ليتأهب الناس لذلك ، فكان كل متظلم يحضر شكايته ، وكل خصم يعد دفاعه ، وكثير من الناس يفضون ما بينهم من منازعات خشية عرض أمرهم على الملك . وكان رجال الملك يقفون على أبواب القصر ليكنوا للناس دخوله ، وقد فرضت عقوبة شديدة

على من يعترض أحداً في دخوله القصر أو يمنعه من ذلك . فإن على الملك أن يرفع عن رعيته الظلم ، مهما يكن مصدره ، في هذين العيدين الذى خلّص الله فيهما إيران من الشيطان ومن الضحاك ، وكان المنادون ينادون : « من حبس رجلاً عن رفع مظلمته فقد عصى الله وخالف سنة الملك ، ومن عصى الله فقد أذن بحرب منه ومن الملك ،

وتتظر شكاوى الناس ، فإذا كان منها ما يخص فيه الملك ، تنحى هذا عن نظرها ، ثم رأس المحكمة الموبدان موبد . ويقوم الملك مع خصمه فيجثوان بين يدي الرئيس ويقول له الملك : إن الله قد اصطفاك اليوم لتحكم بيننا باسمه ، فإذا خشيت الملك ولم تعدل في حكمك فإنك تغضب الله ، وإذا راعيت العدل ، وكان الملك ظالماً فحكمت عليه فإنك تغضب الملك ، والله أحق أن تخشاه ، ولتكن جديراً بالموقف العظيم الذى تقف .

ويقف الموبد فيثنى على الملك ويدعو له بالخير ويقول له إن الله إذا أراد بعباده السعادة فإنه يولى عليهم ملكاً تجرى على لسانه الآيات التى ذكرت ، فإنك تدعو إلى العدل واتباع أمر ربك ، والله خير العادلين .

وينظر القاضى الشكوى ، فإن كان الملك مخطئاً حكم عليه



بتعريض خصمه ، وإن كان الملك مظلوماً حكم على خصمه ، حتى لايجرؤ الناس على اتهام الملك بالباطل .

وبعد ذلك يجلس الملك ليفصل في ظلمات الناس ، وذلك كي يكون الإيرانيون في هذين العيدين سعداء ، منشرة صدورهم بالعدل ، راضية نفوسهم عن الملك .

### روزتير

وقامت الحرب بين الفرس والترك ، وظفر هؤلاء بإيران ؛ وقد اصطلح المللكان ، أفراسياب ومنوچهر ، على أن يأخذ ملك إيران رمية سهم من بلاده ليحكمها . واشترك المللك اسفندارمذ في صنع النشابة والسهم ، وأمر منوچهر أرش ، وهو من رجال الدين الأذكياء بأخذ القوس ورمى السهم ، فقام وتعري وقال : أيها الملك وأيها الناس أنظروا بدن فاني برىء من كل جراحة وعلة ، وإني موقن بأنى إذا رميت بهذه القوس تقطعت إرباً وتلفت نفسي ، وقد جعلتها فداءاً لكم . ثم تجرد ومد القوس بما وهبه الله من القوة ، وأطلق السهم فسار في الجو ، وحمل الملائكة السهم مسافة ألف فرسخ ، واصطلح المللكان على تلك الرمية . أما أرش فإنه قد هلك بعد أن رمى ؛ وهكذا عاد لإيران إستقلالها .

واتخذت الفرس عيداً لهم في هذا اليوم الذى تخلصوا فيه من أفراسياب ملك الترك ، وعادت السيادة الكيانية على بلاد إيران ، وهو يوم روزيتير ، أى يوم الرمية ؛ الرمية التى حررت إيران من الترك .



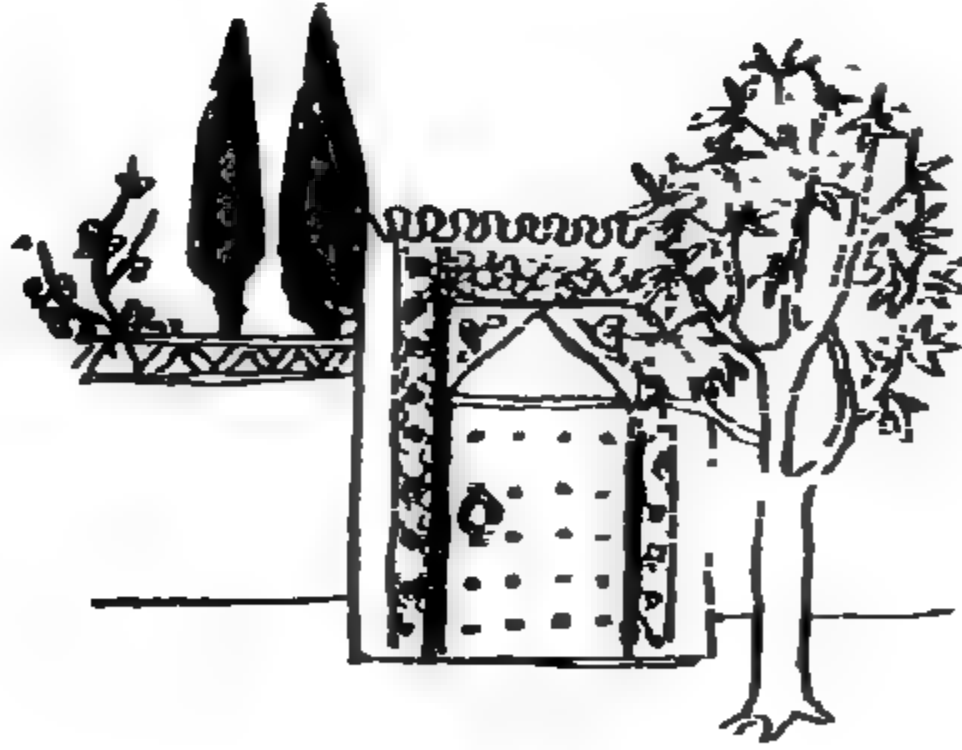
## أخوات

كان أحدهما يعمل في حاشية السلطان ، ويتمتع بالجاه والنفوذ ،  
ويعيش بغير كد ولا عناء ، وكان الآخر فقيراً يعمل بذرعيه طول  
يومه ليحصل على قوته .

قال الغني لأخيه الفقير : لم لا تدخل في خدمة السلطان لتستريح  
من الكد والعناء ؟ .

فقال الفقير لأخيه الغني : لم لا تكد أنت وتخلص نفسك من  
الذل والهوان في خدمة السلطان ! .

( كلستان )



كان على حدود بلاد الغور رجل جبار، أوتي من القوة والجرأة ما مكنه من أن يملك هذه الناحية، وقد أولع باغتصاب حمير أهل القرى، فكان يأمر بالاستيلاء عليها، فيحملها فوق طاقتها ولا يطعمها فكانت تهزل ثم تهلك، وهكذا السفلة إذا الزمان رفعهم درجات ملئوا قلوب الفقراء غمًا وكمدًا.. وهكذا الوضع إذا الزمان رفع عماد بيته ألقى القاذورات على ما تحته من أسقف الجيران..

وقد سمعت أن هذا الملك خرج للصيد يوماً، فلقى غزالا فسار على أثره، حتى ابتعد عن حاشيته، وأرخى الليل سدوله، فضل طريقه، ووجد نفسه في قرية، فلم ير بداً من المبيت فيها.

\*\*\*

ونزل الملك عن حصانه ثم ربطه واستعد لينام، ولكنه رأى رجلاً ومعه حمار قوى، يقدر على حمل الأثقال ولا يبدو منه تراخ ولا كلال، وقد أمسك صاحبه بعظم وأخذ يدق به عظامه، في قسوة لا تحدها رحمة، وشدة لا تعرف ليناً؛ والحمار يئن من

كثرة ما أصابه من أذى ، ويتلوى من فادح الضربات ، ولكن  
ليس من يرحمه أو يرفق به . فصاح الملك على الدهقان :

أصخرة أنت لا تحركك تأوهات هذا الحيوان الآخر من وقد  
أعجبتك قوتك فرحت تصب عليه عذابك صبا ؟ كأني بقلبك قد قد  
من صخر ، أو كأني بك وقد ذهب عقلك فغاب عنك سر ما تقترف .

فلما سمع الرجل قول الملك صاح في وجهه قائلاً :

إني لم أضرب حمارى قسوة من عليه ، أو رغبة منى في تعذيبه ،  
ولست أقدم على ما ترى حماقة أو جهلا ، وما دمت يا صاحبي تجهل  
أمرنا فمن الخير لك أن تدع ما لا يعينك ، فإنك لو عرفت الحقيقة  
لأدرت أن ما رأيت لا بجانب الصواب ، ولا هو من الزلل .

\* \* \*

لم يعجب الملك بهذا الكلام ، وأراد أن يتبين الحقيقة من الرجل  
أليس هو الملك ومن واجب الملك أن يقف على أحوال رعاياه ؟  
والرجل يجمل أنه الملك فهو سيصدق القول ، وسيوقفه على الحقيقة  
سافرة ... فقال: تعال حدثني عن ضربك حمارك هذا الضرب المبرح  
فإني جد راغب في الاستماع إليك ، وما أظن أنك سكران ، ولكنى  
أخاف أن تكون بك جنة . فرفع الرجل نظره إليه وقال : حسناً  
أيها التركي ، فإنك لا تعرف من أمور بلادنا شيئاً ، هلا أتاك حديث

الخضر وقد ركب السفينة مع موسى فخرقها ، ولم يقل أحد إن الخضر  
كانت تلعب برأسه أو إنه مجنون ؟

قال الملك : ولكنك أيها الفظ الغليظ القلب لم تدر أن الخضر  
قد خرق السفينة ليعيها ، فإنها كانت لمساكين يعملون في البحر ،  
وكان من وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ، وكانت القلوب منه  
واجفة ، والناس منه في رعب ، وما أشك أنك توافق على  
أن سفينتك معيبة وهي معك خير منها سليمة وهي في يد  
الملك الغاصب .

فضحك الدهتان عالياً وقال : إذا فأنا على حق ياسيدي ، فإني  
لم أكسر رجل حمارى عن قسوة من أو جنة بي ، وإنما فعلت ذلك  
حتى لا يقع في يد ملكنا الظالم ، فإنه يأخذ كل حمار غصبا ، والحمارى  
معى وهو أعرج خير من فقده سليما ليأخذه الملك فيحمله مالا يطيق  
ولا يطعمه فيهلك . ألا تعلم أنه يأخذ حميرنا ويظلمنا وأنه سيجازى  
يوم القيامة حين يحيق المكر السيء بأهله ؟ وسترى أن هذا الذى  
يحمل الحمير ما لا تطيق من أحماله سيحمل أثقالها جميعاً يوم الحساب  
فينوء بها ، ويتردى في جهنم ويشس القرار . إنه ملك شقى ، يحسب  
سعادته في ظلم الناس واغتصاب الحمير ... ادع الله معى أن يهلك هذا  
الملك الظالم ، فإن في موته الخلاص من الظلم ، والأمن من الخوف ...  
ألست ترى معى أنه سيء الطالع ، لايسعد إلا في شقاء الناس ،

ولا ينعم بالسلطان إلا بفزع رعاياه منه ، ونسى أن محبتهم قوة ،  
وأنها خير ما ينعم به الملك العادل ؟

\*\*\*

سمع الملك هذا الكلام فأرتج عليه ولم يجر جواباً ، فاستأذن  
صاحبه ، ورقد بجوار حصانه يريد أن ينام . ولكن كيف يأوى  
النوم إلى جفونه وقد سمع من الرجل ما أقض مضجعه ، ونفى  
الكرى عن عينيه . إن قلبه متعب ، وإن روحه قلق ، فإنه يظلم  
الناس ، وهم يخافون بطشه وغضبه ، هم منه كالخضر يخرق السفينة  
حتى لا يغصبها الملك الظالم . . . وراح يعد النجوم إلى أن كان  
السحر ، وغردت الطيور مستقبلة الصباح فرحة مستبشرة ، فنهض  
حزين الفؤاد ، كاسف البال ، فركب حصانه وأخذ يتأمل في الأفق ،  
حسرةً واستغفاراً .

وأخذ رجال الحاشية يبحثون عن ملكهم ، وفي الصباح الباكر  
اهتدوا إلى آثار حوافر حصانه فتبعوها إلى أن وجدوا الملك وقد  
ركب حصانه ووقف ينظر إلى الفضاء ، شارد اللب ، حائر النظرات .  
وأقبلوا عليه وتجمعوا من حوله ، مظهرين له الطاعة والخضوع  
والولاء . وأخذ الملك يتحدث إليهم وهم يسمعون ، ثم مدت  
الموائد ودارت كئوس الراح ، وانطلق أهل الغناء بعذب الألحان .  
وفي هذا الجو الضاحك ، اللاهي ، الساخر ، تذكر ما كان من  
حديث الدهقان معه بالأمس ، وما بدر منه من الغلظة والخشونة



والعيب فيه . وجرى الجند يبحثون عن الدهقان في كل مكان حتى ظفروا به ، فجروه مقيداً وألقوه أمام الملك .

ولم ينتظر الجلاد أمراً ، بل إنه أخرج السيف من غمده ، ورفع يده أن ينقض به على رقبة المسكين فيزهق روحه ، وأبصر الدهقان نفسه أمام الرجل الذي صارحه القول بالأمس ، فإذا به الملك الجبار بعينه ، وألقى نفسه يائساً من حياته . إنه في يد الملك الظالم الغاضب وقد تطاول عليه ، وإنه يرى الجلاد يستعد للضربة القاضية :

ألا أيها الملك ترفق ، فما قتلي بمجديك نفعا ، ولا هو بمسكت عنك السنة الخلق ؛ ولئن قتلت نفساً بريئة بغير نفس ولا ذنب فإنك لن تستطيع أن تقتل الناس جميعاً ، ولا تحسن حديثي معك بالأمس يحل لك سفك دمي ، فإنني قد حدثتك بما في قلوب رعاياك من سخط عليك وبغض لك ، وأولى لك ثم أولى أن تتدبر الأمر ، وتعديل في الناس .

ألا أيها الملك ترفق ، فما هذه الحاشية التي من حولك بمخصصة لك ، ولا هي راضية عنك ، إنما جمعهم حولك الخوف منك أو الطمع فيك . ولقد رأوك تأكل التراث أكلاماً ، فهم يأكلون معك ، وتحب المال حباً جماً ، فهم يحبونه معك ؛ ولو والله أزم الأمر ، وذهب عنك الحول والطول ، لانفضوا من حولك ، وهم إن ثقفوك بعد هذا كانوا أعداء لك ، وبسطوا إليك أيديهم

والسنتهم بالسوء ؛ فلا تعملن برأيهم ، فما تسكت ألسنتهم عن قول الحق فيك غير ما أنت عليه من قوة ، وما لك عليهم من سلطان .  
ألا أيها الملك ترفق ، ولخير لك أن تدبر أمرك ، وتقدم على ظلمك الناس ، وتستغفر ربك ، ولئن وجدت في نفسك من القوة ما يتيح لك سفك دمي فغداً تقف أمام الواحد القهار ، وقد زدت وزراً على ما يثقل كاهلك من الأوزار . ولتسألن عن روعي ماذا جنت عليك لتزهقها . ولقد رأيتك بالأمس وقد عجزت عن إجابتي وأنا بشر مثلك ، بل أنا عبد من عبيدك . فكيف بك غداً وأنت أمام ربك المنتقم الجبار . . .

\*\*\*

وتهاشم الحاضرون من حاشية الملك ، وعابوا على الدهقان جرأته ونادوا بقتله . أما الملك فرفع رأسه إلى السماء ، واستغفر ربه ، ثم فك قيد الرجل بنفسه ، وضمه إلى صدره وقبله :

يا سيدي إني وجدت فيك خير الناصحين ، وإن لك القرية التي أنت فيها ، والتي هداني ربي يوم حلت بها ؛ فأنت منذ اليوم واليها ، وأنت مني الأخ الصديق والولي الحميم .

ثم نظر إلى حاشيته وقال : حقاً إن الملوك لا يجدون في أصدقائهم وحاشيتهم من يجرؤ على قول الحق لهم . فإن الصديق لا يرى عيوب صديقه ، وعيوب الملك حسنة عند بطانته ، والعاقل من يعرف صفاته من خصمه ، لأنه لن يعرفها من صديقه .

( بتان )

## الصّوت المنكر

كان مؤذن في مسجد سنجار قد تطوع للأذان ، وكان صوته منكراً تنفر منه الأسماع . فسمعه الأمير الذي بنى المسجد فأشفق على الناس من سماعه ، فناداه وقال له : يا صاحبي ، إن بالمسجد مؤذنين أنقذ كلا منهما خمسة دنانير في الشهر ، وقد رأيت أن أعطيك عشرة دنانير على أن تذهب إلى مسجد آخر .

فانتقل المؤذن إلى مسجد آخر ، ولكن لم يلبث أن جاء إلى الأمير وقال :

ذهبت يا مولاي إلى مسجد كذا وأذّنت فيه ، فعرض عليّ أمير الجهة عشرين ديناراً على أن أترك المسجد ، فلم أقبل العرض قبل أن أسألكم ، فإنكم بهذا تقتلون في شخصي كثيراً . . .

فابتسم الأمير وقال :

حذار أن تتركهم ، فإنهم سيعرضون عليك خمسين ديناراً !

( كلستان )

## ٣٤ القط والفأر

كان بكرمان قط ضخمة الجثة ، حاد الخالب ، شديد الافتراس ، كأنه تنين . كانت بطنه منتفخة مثل الطبل ، وخده مصعراً مثل الترس ، وذيله طويلاً كذيل الأسد ، وأظافره قوية كأظافر النمر . كان هذا القط يخيف الفهود إذا سمعته يموء ، وكانت الأسود تولى هالعة إذا رآته يتحفر للصيد .

وقد اختفى هذا القط ذات يوم في خمارة وراء دَن الخمر ، كما يختبئ اللص في الصحراء .. إنه يريد صيداً ، فرأى فأراً يخرج فجأة من ثقب في الحائط . وبصعد الفأر إلى الدن وينظر إلى الخمر فتشوقه رائحتها للشراب ، فيقبل ويشرب حتى يفقد صوابه . فلما لعبت الخمر برأسه أخذ يتحدث مختالاً مزهواً : أين القط أقطع رأسه ، وأحشو بالتبن جلده ، ألا ليتته يقوى فيخرج للملاقاة في الميدان !

فلما سمع القط هذا الكلام ، وعرف ماملأ نفس الفأر من الغرور ، استعد لأكله ، فإنه سكران ثرثار . وتحفز القط فأمسك الفأر بمخالبه ، فبكى هذا وتضرع واعتذر : هلا عفوت عن مسكين أفقده

الخمر صوابه ، وأطار الغرور رشده ، وقد وقع بين يديك لا حول له  
ولا قوة ، فأقداً كل شيء إلا الأمل في عفوك ؟  
وهكذا راح يلتمس العفو من القط الغاضب .  
لم يفكر القط في تأوهات الفأر ، ولا رق قلبه لضعفه ، وقد  
أعجبه لحمه ، فسأل لعبه وأقبل عليه غير آسف فنهشه وازدرده ازدرادا  
قائلاً : كفاك خداعاً ومكرأ ، فقد فضحتك نواياك .

\* \* \*

وشبع القط ومسح فمه بلسانه ، وخرج من الخمارة إلى المسجد  
فتوضأ وأخذ يتلو الأوراد كأنه من أهل الصلاح الزاهدين ، ثم سار  
إلى المحراب فجلس واستغفر ربه وتاب وأناب وأقسم ألا يأكل فأراً  
بعد ذلك ، وأخذ يدعو ربه نادماً على أكله الفيران الضعفاء ، نادراً  
منّين من الخبز صدقة وتكفيراً عن ذنبه ، ثم أخذه الورع  
وتملكته التقوى فأجش بالبكاء .

وكان وراء المحراب فأر يشرق السمع ، فأعجبه ما سمع من القط  
وراح يبشر إخوانه بندم القط وتوبته ، ويحدثهم عن وضوئه  
وصلاته ودعائه وأنه أصبح مسلماً عاملاً ، يؤدي الفرائض  
ويخشى الله .

وفرح الفيران بما بشرهم به ، وأخذوا يفكرون فيما  
يعملون لهذا القط الذي اهتدى ، جزاء هدايته ومحبته لهم ، فأجمعوا  
على أن يرسلوا سبعة من زعمائهم ليعبروا له عن صادق مودتهم

وخالص وفائهم، وحمل كل منهم من الهدايا والطرف أشكالا وألوانا، وسار الوفد إلى حيث القط فوضعوا أمامه هداياهم .. العنب والتمر والجبن واللبن والزبد والخبز والأرز وعصير الليمون . وتقدم رئيسهم فأعرب للقط عن إعجاب الفيران بسلوكه وهدايته ، ثم قال : إنه حضر مع إخوانه بهذه الهدية عرفانا بالجميل ومبادلة للصداقة والولاء .

وكان القط قد أمضى أياماً في الصلاة والعبادة ، صائماً عن أكل الفيران ، فلما رأى وفدهم قد جاء عنده طائعا مختارا ، تبسم ورفع رأسه للسماء وقال . حقاً ، « وينزل لكم من السماء رزقاً » ، وقد رزقه ربه جزاء صبره وعبادته . ثم نظر إلى الفيران السبعة قائلاً : « تقدموا أيها الرفاق فإننا تربطنا منذ اليوم أوثق الصلات ، وتقدم الفيران ، مرتعدة فرائضهم ، لا تكاد أرجلهم تحملهم وأقبل القط يستقبل ضيوفه وحلفاءه متد الخطي ، ثابت النظرات ، هادىء النفس ، حتى إذا صار منهم على مسافة قصيرة ، قفز فأمسك خمسة منهم ، فى كل من مخليه اثنان وفى فمه واحد ، وأما الفاران الباقيان فقد ملئا رعباً وذعرا ووليا هلعين . إن القط قد عاد إلى طبعه ، وسارا إلى الفيران ينبئان بما جرى .

\*\*\*

وحزن الفيران فلبسوا سود الثياب ، ووضعوا فوق رؤوسهم



التراب ، فقد فقدوا خير زعمائهم ، ورأوا آمالهم فى الأمن والسلم  
تنهار أمامهم . إن الطبع غلب التطبع ! وعاد القط مفترسا وعدوا  
للفيران مينا ، فيه الهلع والقتل والعذاب ، فقررُوا أن يذهبوا إلى  
ملكهم ليرفعوا شكواهم عما لقوا من القط . وتجمعوا فركبوا خيولهم  
وشمروا سراعدهم وحملوا أسلحتهم وساروا إلى حيث ملكهم قد  
استوى على عرشه ، فلما رأهم أعجب بهم وتبسم ، فتقدم القادة بالتحية :  
« إنا جئناك يا ملك ملوك الزمان ، لكى تنتقم لنا من القط ،  
غرر بنا وسخر منا وقتل خمسة من عظائنا ، لقد كان يا كنا فرادى  
أما اليوم فقد أسلم وأخذ ينهشنا خماس ،

فلما سمع الملك هذا الحديث استشاط غيظاً وقال : إني ملاق  
القط ، وسأجعله أحدىثة الزمان . ونظم الملك جيشاً من فيران  
خراسان ورشت وجيلان تعداده ثلاثة وثلاثون ألف فارس ، وقد  
قسم أفواجاً ، وسار الفيران وفى خصورهم السيوف مسلوكة . وفى  
أيديهم الرماح مشرعة ، وساروا سراعا خفافاً كأنهم جوارح الطير .  
وكان منهم فارس حكيم عاقل شجاع ، فأشار على الملك أن يوفد  
رسولا إلى القط ، حقنا للدماء ، يخبره بإنذار نهائى بين الخضوع  
التام أو يقبلها حرباً لا هزيمة فيها . لا تبق ولا تذر .

\*\*\*

وسار سفير الفيران ، فأنبأ القط بما يدبر له ، وخيره بين الاستسلام أو تحمل نتيجة الحرب ، فأجابه القط بأنه لن ينتقل من كرمان ، ولن يخضع لملك الفيران ، ولتفعل قوته ما تشاء .

وفي الخفاء أرسل إلى القطط من أتباعه في إصفهان ويزد وكرمان ، وأمرهم بالتجمع للقاء جيش الفيران . وسار الجيشان إلى الميدان ، الفيران من كوير والقطط من قهستان . والتقى الجمعان ، ودارت رحى الحرب الضروس ؛ وكانت الشجاعة من الطرفين توجب أوارها وتبعد نهايتها ، وحدثت مقتلة عظيمة من الجانبين ، وأبصر القط نفسه يكاد يغلب ، فتحفز وهجم على قلب جيش الفيران فأكثر فيهم القتل ، ولكنه جرح . وكان فأر ذكي قد تبعه فوجد رأسه منكسا من فوق حصانه ، فنادى الفيران وحضهم على المضى في القتال ، فكبروا باسم الله وهاجموا القط ، فغلبوه وأوثقوا بالحبال قيده ، وهكذا تم لهم النصر !

\* \* \*

وسار ملك الفيران مزهوا ، وقد ركب فيلا ضخماً ومن خلفه جنده بموسيقاهم ، يعزفون أناشيد النصر ، حتى إذا جاءوا الميدان أمر الملك بنصب المشنقة ، وبشق القط ، ثم التفت إلى هذا فأشبعه سبا وسقط قول ، أما الفيران فأخذوا ينظرون إلى القط في خبث وقد أصبح ذليلاً لا شفيع له .

وضاق صدر القط حتى كاد يتميز من الغيظ . فجلس على ركبتيه  
وأخذ يقرض الحبال التي أوثقوا بها يديه ، حتى استطاع أن يفلت  
من قيده ، وهجم فأوقع الذعر في نفوس الفيران ففرقوا أشتاتاً .  
واختبأ الملك وانقض الجيش ، ولحق القط بالملك فصرعه  
وهو فوق الفيل .

( حكر به وموش . عيد الزا كاني )



## ٣٥ أنوشروان العادل

يحكى أن الملك أنوشروان ذهب ذات يوم في رحلة يصطاد ،  
ولما حان وقت الغداء لم يجد ملحا ، فأمر حاجبه أحد الغلمان أن  
يذهب إلى قرية قريبة ليحضّر الملح ، وصمم أنوشروان على أن  
يشترى الغلام الملح بالنقود ، حتى لا يعطاه بالمجان فتخرب القرية .

ف قيل له : أى خلل يصيب القرية من حفنة ملح ؟

فقال :

« هكذا بدأ الظلم في الدنيا ، بدأ قليلا جدا ، ثم أخذ يزيد  
الحكام عليه ، إلى أن بلغ الحد الذى نراه ،

( كلستان )



## ٢٦١ الفرد الحكيم

حينما عمل أردشير ، مؤسس الأسرة الساسانية ، على توحيد دويلات ملوك الطوائف في إيران ، لم يرد ملك طبرستان ، جشنسف شاه ، أن ينضم إليه ، وقد كتب إلى تنسر وزير أردشير يسأله النصيح ، فكتب إليه تنسر يقول :

إنك حين تدعو إلى الفرقة التي نهض أردشير لتخليص البلاد منها ، وإلى الاستمساك بفض العروة الوثقى التي أمر الله بها أن توصل ، إنما تدعو إلى تقطيع أوصال إيران تقطيعاً ، وتعمل على أن يقوى الأعداء عليها ويظفروا بها ، فإن الفرقة إذا دخلت أرض أمة ولي الخير منها ، ووجد الشرف فيها مرتعه الخصب .

ولقد كنا أمة تخضع للوكم الأقاليم السبعة ، ولم يكن ملك أجنبي يجرؤ على الخروج على ملوكنا . وكان آخر عهدنا بهذه السيادة أيام الملك دارا بن جهر زاد ، الذي لم يكن ملك في الأرض أحكم منه أو أطيب ذكراً ، وقد خضعت له البلاد من الصين حتى مغارب الروم ، وكان الملوك تابعين له ، يقدمون له الهدايا ويدفعون له الجزية عن يد وهم صاغرون . وكانوا يسمونه تغولشاه .

وإني أحدثك عن سبب البلاء الذي أصاب هذا الملك الواسع  
فبده طوائف وكان جميعاً ، وأذله بعد عزة ، والذي لا تزال آثاره  
باقية فينا ، والذي يعمل ملكنا أردشير على رفعه ، وإعادة ملكنا  
عزيزاً كما كان ، فاسمع وانتصح ولا يغرنك الغرور .

\* \* \*

كان لدارا غلام اسمه ييرى ، اختصه بعطفه وقربه منه ، فكان  
يؤا كاه ويشاربه ويصاحبه في رحلاته ، وقد أخذ ييرى يتدخل  
في شئون الدولة ، وكثيراً ما كان دارا يتأثر بقوله فيعمل به . وكان  
للملك وزير محنك ، أمضى عمره الطويل في خدمة الملك ، وكان  
راجح العقل ، فصيح اللسان ، حصيف الرأي ، تقياً أميناً ، حميد  
الخلق ، اسمه رستين ، كأنه هو الذي قصده الشاعر حين يقول :

لقد طبن في الدنيا مناقبه التي بأمثالها كتب الأنام تورخ

وكان ييرى يحسده على علو درجته ، ورفيع مكانته ، وثقة الملك  
فيه وتاقت نفسه إلى أن يشغل مكانه فيخلو له الجو ويحكم بأمره .  
فأخذ يشهر به ويطعن عليه ، حتى بلغ الخبر رستين .

\* \* \*

فلما علم رستين أن ييرى قد أطلق لسان السوء فيه ، غيرة



وحسداً ذهب إلى الملك دارا بن جهر زاد ، فقبل الأرض ودعا له  
ثم استأذن في الكلام ، وكان من تقاليدهم أن لا يصارح الرجل ملكه  
بما يريد أن يقول ، بل يتحايل على بلوغ الغاية من كلامه بقصة  
ترمز إلى ما يرمى إليه ، فلما أذن له الملك قال :

سمعت يامولاي عن جزيرة بها مدينة يحكمها ملك قد ورث  
الملك عن آبائه ، كان يحب شعبه وكان شعبه يبادلوه هذا الحب . وكان  
بجوار هذه المدينة مدينة أخرى يسكنها القرود ، وكان هؤلاء يحبون  
في مدينتهم الصغيرة في خفض من العيش وسعة من الرزق وهدوء  
البال ، وكان عليهم ملك يستمعون لرأيه ، ويهتدون بهديه ،  
ولا يصدرون إلا عن أمره . وقد جمعهم ملكهم ذات يوم وقال  
لهم : إن علينا أن نهاجر من هذه المدينة إلى بلد أمين .

أرى تحت الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام  
فقال القرود : إن على ملكنا أن يبين لنا سبب هذه الهجرة ،  
وأن يطلعنا على ما يبررها ، حتى نأخذ الرأي عليها ، فإذا رأينا الخير  
فيها عملنا بها .

قال الملك : إني لن أطلعكم على سبب هذا الرأي ، فإن بلدكم  
هذا قد طاب لكم ، إنه فسيح محبوب إلى القلوب ، كثير الخيرات .  
وأنا واثق بأنكم لو اطلعتم على ما علمت لن تقيموا له وزناً ، ولكني  
وقد أوتيت من الفضل والرأي ورجاحة العقل أكثر مما أوتيتم ،

آمركم أن تقبلوا نصحي وأن تتبعوني ، ولست أرى عجبا ، فإن الهجرة  
والجلاء من سنن الأنبياء الذين كثيراً ما هاجروا وجلوا عن  
بلادهم ، لأن العاقل إذا رأى الشر والضرر يدنو من منه ومن شيعته ؛  
فاستهان بما يرى ، وآثر البقاء في وطنه ، كان جديراً بأن يرمى  
بالجهل والكسل .

قالت القرودة : لقد مهد الملك لقبول نصحه تمهيداً حسناً ، حفزه  
على ذلك كمال رأفته وفرط عاطفته نحو رعاياه ، ولكننا ندعوه  
ألا يبالغ في القول ، إلا إذا وقعت الواقعة ومسنا الزمن بضر وخيم  
وإن قلوبنا لن يهدأ خفقانها حتى يحدثنا ملكنا عن سبب أمره  
بالرحيل ، وحينئذ لن يجد منا غير الانقياد لأوامره واجتناب  
نواهيه ، موفين له حق شفقتنا ورحمته علينا .

قال ملك القرودة :

إذا فاعلموا أني علوت بالأمس شجرة تشرف على المدينة  
المجاورة فرأيت في قصر ملكها شاة ينطح خادماً من خادmates  
القصر . وقد نصح الحكماء بترك جوار المتعادين وأنا لا أريد أن  
أخالف رأيهم ولا أن أتخذ نصحتهم لغوا .

فنظر القرودة بعضهم إلى بعض ضاحكين ساخرين من قوله ؛  
ثم قالوا : إنك ملك علينا منذ سنين عدداً نفتدى بك ونراك أكثرنا

عقلا وأبعدنا تجربة قفل لنا ماذا علينا من شاة ينطح جارية  
في قصر جارنا الملك ؟

— فقال ملك القردة :

فيه هلاككم وهو يسير ، إذ يبدأ بكم ثم يهلك من بعدكم أهل  
هذه المدينة ويقتل ملكها وتصبح خرابا ،  
فجذب القروء أشد العجب من قول ملكهم وراعهم ما يحول  
بخطره فقالوا له :

— إنا لم نعهد فيك ما نرى ولسنا نشك في أن عين سوء قد  
أصابتك فجعلت على عقلك غشاوة فر يا مولانا بالأطباء لعلاجك  
ترجع إلى صوابك ولا تفقد عرشك .

فقال ملك القردة :

— صدق الحكماء ، فإن من عدم العقل لم يزدده السلطان عزاً ،  
ومن عدم القناعة لم يزدده المال غنى ، ومن عدم الإيمان لم تزدده الرواية  
فقهاً ، إني أراكم في شك مما أقول ، ولقد تبينت رأيكم فيّ ، ونظركم  
إليّ ، فالأولى بي أن أذهب إلى الطيب بنفسى ، وأن أبعد عنكم  
مغبة المرض .

وترك ملكه وفارقهم فوراً .

\*\*\*

لم يمض على هذا زمن طويل حتى كانت الجارية ، فى مدينة  
الآدميين ، تخرج من قصر الملك ، راكضة وفى يدها قارورة ملؤها  
الزيت ، وفى اليد الأخرى عود مشتعل بالنار ، فجرى الشاة  
وراءها يريد أن ينطحها كعادته ، فأرادت الجارية أن تدافع عن نفسها  
فرمته بما فى يدها ، وهكذا اجتمع الزيت والنار ووبر الشاة  
فاشتعل المسكين وأخذ يجرى من باب إلى باب ومن قصر إلى قصر ،  
إلى أن دخل قصرأ لرجل من أركان الدولة ، كان مريضاً فارتقى  
عليه فخرقه .

وأبلغ جماعة من أهل المدينة الملك بما أصاب الرجل من  
حروق ، فأرسل فى طلب الأطباء ، فلما اجتمعوا ورأوا المصاب  
اتفقوا على أن لا دواء لجراحه التى خلفها الحرق غير مرارة القردة .  
فقال الملك إن هذا يسير ، ثم أوفد صياداً ليصطاد قرداً من المدينة  
المجاورة ، لينزع الأطباء مرارته ويعالجوا الرجل . وذهب الصياد  
واصطاد بالغدر والحيلة قرداً ، ولكن القردة تجمعوا من حوله  
وقتلوه ثم مزقوه إرباً إرباً . وبلغ الأمر الملك فغضب وركب  
وذهب على رأس فرقة من حرسه لقتال القردة ، فأجرى فيهم مقتلة  
عظيمة ، ثم عفا عن بقى حياً منهم .

وتقدم قرد نحو رجل من حاشية الملك وسلم ثم قال : لقد عشنا  
في جواركم سنين طويلة لم يصبنا منكم شر ، ولا مسكم ضرر منا ، وكان  
كل منا يعيش بما قدر له من رزق ، على طريقته التي استتها لنفسه ،  
فبأى فكرة أقدمتم على هلاكنا ، كأن شوك اللوم قد أصاب عين  
المروءة فيكم ، فسخرتم من حقوق الجوار ، وغفلتم عما تلقون  
في الدنيا من اللوم وفي الآخرة من الغرم .

يا جائرين علينا في حكومتهم الجور أعظم ما يؤتى ويرتكب  
فقص الرجل على القرد ما كان من أمر الجارية والشاة والنار  
ومن احترق بها ، ورأى الأطباء في الدواء وقتل الصياد وانتقام  
الملك له . فاغرورقت بالسمع عينا القرد وقال : « حقاً إن معصية  
الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة .  
أمرتكمو أمرى بمنعرج اللوى فلم تستينوا الرشداً إلا ضحى الغد  
يا صاحبي : إن سيل القدر قد جرفنا فأغرقنا ، وغداً تطحنكم  
رحاه فإذا أتم هشيم تذروه الرياح .

قال الرجل : إنها كبيرة دعواك ، فهلا أقمت الحجة عليها ؟

قال القرد : بلى ، فقد كان علينا ملك ذو عقل وكياسة ، وفضل  
ودراية ، وكان يحيط خبراً بعجائب الدنيا وغرائب السماء ، وقد نجما  
من آلاف المسكمن ، بثاقب رأيه ومبين عقله ، ولم يقع في شباك  
الدنيا ولا غره غرورها .

ثم قص على الرجل ما رأى ملك القردة فى قصر ملك الآدميين ،  
وما جرى بينه وبين القروء . ثم قال : إنه تركنا وولى ، لأننا  
لم نسمع نصحه ، وهانحن أولاء نرى صدق ما رأى ، أما أتم  
فتوقعوا هلاككم غداً معشر الآدميين .

\*\*\*

كان الرجل يصغى إلى القرد متعجباً ، فلما ذهب إلى المدينة قص  
ما سمع ، وحدث من هذا القول إرجاف فى أسماع وافواه الخاص  
والعام حتى بلغ الملك . فأمر هذا بإحضار أول من نقل حديث القرد  
إلى المدينة ، وكان من أعيانها وأهل الاعتبار فيها ، فأتى الرجل القصر  
مع أقربائه وإخوانه ، ويشاء القدر أن يكون الملك غاضباً سقيم  
المزاج حين مشى الرجل بين يديه ، فأمر بقتله مع تعذيبه عذاباً ألماً .  
فلما سمع أهله أمر الملك عادوا إلى المدينة فتجمع الناس من حولهم  
وقصدوا القصر ، وأمسى الشر عريان ، ولم يكن من وسيلة لإخماد  
الفتنة والقضاء على الشر ، وانتهى الأمر بقتل الملك ، وتفرق الناس  
من بعده أشتاتاً ، وخربت المدينة .

\*\*\*

فلما قص رستين على تغولشاه قصة القرد الحكيم ، سأله لآى  
شئ قصدت بهذه القصة ؟ فعرض رستين أمره وأمر يبرى وما قد  
تستبعه الخصومة التى شنها هذا عليه من فساد فى الأرض ، والتمس  
من ملكه أن يخليه من عمله ، فإن فى هذا العزل مصلحة الوطن .  
ولو أنه ثقیل على الملك ان يفعله .



قال تغولشاه : « لا تتحدثن عن هذا الأمر فإنى سأ كفيك شره  
ولم تمض أيام حتى لقي يبرى حتفه مسموماً ، . أما تغولشاه فقد  
وهن عظمه ، واشتعل بالشيب رأسه ، واقتربت منه المنية رويداً  
رويداً حتى اخترمته .

فوالتاج يجمع عدة وعديداً والموت يبطش بالآلوف وحيدا  
(وأعقب تغولشاه ملوك) إلى أن كان حكم دارا الثالث ، وتجمع  
الناس من كل حذب وصوب يهثونه بالعرش الذى علاه .

دول الزمان مناحس وسعود عود ذوى فيه وأورق عود  
فإن دارا لم يكن أهلا لهذا الملك العظيم الذى ورثه عن أجداده ،  
ولم يكن يعرف قدر الرجال ، وقد نصب أخاً ليرى وزيراً له ، ولم  
يفطن إلى القول المأثور :

إذا كتمو للناس أهل سياسة

فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل

وسوسوا لتمام الناس بالذل يصلحوا

على الذل ، إن الذل أصلح للاندل

فلما وجد الوزير الجديد نفسه مسيطرا على الدولة ، مسموع  
الكلمة فيها ، أخذ ينتقم لأخيه من الأمراء والرؤساء الذين كانوا  
أصدقاء لرستين ، ولم يكن أميناً فى نقل الأخبار لدارا الثالث ، فأخذ  
هذا يبطش بمن غضب عليه وزيره ، فتقلبت عليه قلوب الناس ،

وأضربوا له العداوة ، وقد أغفل سنن الأولين ، وعمل يدعة  
وزيره الجديد .

فلما خرج الإسكندر يريد غزو إيران ، ركب دارا د أبلق  
التدهور ، وأمسك بيده عنان الكبرياء ، فلما التقى بغازى بلاده ،  
انقض عنه فوج من أنصاره ، وانضم فوج آخر إلى عدوه ، ثم قتله  
رجالاه ، وقد ندموا على ذلك ولكن بعد أن سبق السيف العذل .

\*\*\*

قال تنسر لملك طبرستان جشنسف شاه :

هذا يا سيدى الأمير ما كان من أمر إيران حين ظهر الخلاف  
بين وزيرين فيها ، يرى ورستين ، ومنذ مقتل دارا الثالث ونحن  
لا نجد ملكا يحكم بلادنا جميعاً . واليوم وقد أتيح لأردشير أن  
يوحد وطننا وديننا ، فما أجدرك بالإسراع إليه ، والمبايعة له ،  
وأخذ ولايتك منه ، وأن تحمد ربك على أن هيا لنا أن نقضى على  
الفرقة والانقسام<sup>(١)</sup> .

---

(١) عن الترجمة الفارسية لكتاب ابن المقفع « تنسر » ، نشر مينوى ، طهران  
ص ٢٩ - ٣٨ . وقد لاحظ Darmesteter أن هذه القصة موجودة في كتاب بنج  
تترا السنكرتق الذى نقل ابن المقفع عنه كلية ودمنة ( Journal Asiatique  
سنة ١٨٩٤ ص ٥٣٦ ) . وقد احتفظنا بقدر الإمكان بالألفاظ العربية وبأبيات الشعر  
التي احتفظ بها النص الفارسي للكتاب .

وقد قلنا كتاب تنسر إلى العربية ، والقصة بهذه الترجمة ص ٥١ - ٦٣ ( كتاب  
تنسر ، ترجمة يحيى الحناب ، مطبعة مصر ، عام ١٩٥٤ ) .

كان رجل يكتب أسرارہ على ورقة ، وكان بجانبه رجل آخر  
يتابع النظر في الورقة ، فتضايق الرجل وكتب :  
إن رجیلاً جاہلاً ينظر في ورقتي ويضطرني إلى ألا أكتب  
أسراری .

فغضب جاره وقال :

— إني لم أنظر في ورقتك .

فقال الرجل :

— وأنا لم أكتب عنك شيئاً .

( جامع الحكایات )



ذهب درويش فقيه ، رث الثياب ، إلى مجلس القضاة ، لسمع  
مناظرة لهم ، وكان شغوفاً بالعلم ، محباً للشريعة ، جلس في الصف  
الأول ، حتى يحسن الإنصات ولا يفوته شيء . وأقبل كبير القضاة  
فرأى رجلاً قبيح المنظر ، قدر الملبس ، قد تقدم الصفوف واتخذ  
في صدرها مكاناً ، فهره متأففاً . وجاء المعرف ( الحاجب ) فغضب  
أكثر مما غضب سيده ، فأمسك بالرجل ، وجذبه من كفه ، وأمره  
بالوقوف . وراح المعرف يؤنب الفقير الدرويش على ما اجتراً  
من تخلي مرتبته واعتصب من مراتب الفقهاء . أفيرق أي رجل  
إلى الصدر ؟ أليس الناس درجات ، وأنهم بالفضل والقدر يتفاوتون  
كرامة ورتبة ؟ وكيف يسوغ عاقل لنفسه أن يجعل منها أسداً ولم  
يعط مخالب الأسود ؟ وظل المعرف يكيل اللوم للرجل ، ساخراً  
منه ، هازئاً به ، حتى تعب من كثرة ما تكلم ، واكتفى بما لقي  
الدرويش من خجل ، وبما أنزل به من عقوبة التقرير .

أما الدرويش فقد نظر إلى القاضي ومعرفته متأوهاً زفرات  
كالنار تحترق وقد ترك مجلسه في الصدر وذهب إلى آخر صف وجلس .

هيات أن يهبط من عليائه من تأخر عن الصدر مجلسه ، ومن أوتى العزة لا يخفضه أن يكون مجلسه المقعد الأخير .

\* \* \*

وجاء الفقهاء فأخذوا يتحدثون ثم بدأ الجدل بينهم فيما يعرضون له من القضايا ، كل يلقي بحجته ، ثم يستمع إلى رأى أصحابه . واشتد الجدل ، وحمى وطيس النقاش ، وكثرت لم ؟ ولا نسلم ! وامتدت الرقاب وصاحوا بلا وبنعم . تحسبهم ديوك القتال قد مدت رقابها وحددت مناقيرها ، ينقر بعضها بعضاً ، وأعملت مخالبها ليشخن كل خصمه يبالغ الجراح . تراهم وقد أفقدهم الغضب وعيهم ، فكان بعضهم يترنح من الغيظ كأنه سكران ، وبعضهم يضرب الأرض يديه كأن به مسا .

وأدى بهم الجدل إلى قضية لم يجد أحد منهم مخرجاً لها ولكنهم ظلوا يتجادلون لجأجأ ، حتى التجت الأصوات .

\* \* \*

فلما أيقن الدرويش أن القضية قد أسقط في أيديهم ، وأنهم جميعاً قد عجزوا عن حل ما عرض لهم ، قام من الصف الأخير ، ومشى مخترقاً الصفوف كأنه أسد العرين . فلما بلغ المنصة التفت إليهم وقال : عجبت لكم يا صناديد الشريعة ويا علماء الفقه والأصول إنكم

لا تدعمون بالحجة قولكم ، ولكنكم تتصايحون وتتفخرون عروق  
رقابكم ، وما هكذا تساق البراهين ، ولا هكذا تحل القضايا . ثم  
عرض الدرويش لموضوع الجدل ، فصال فيه وجال ، فاقنع القضاة  
برأيه ، كأنه قد أمسك القلم يمينه ونقش به الحجج على قلوبهم .

وأقبل الفقهاء جميعاً يهتثون الدرويش بسعة علمه ، وحدة ذكائه  
واستقامة منطقته ، وجمال طبعه . وقد نظر إليه القاضي الذي نهره  
وطرده واستعان بالمعرف ليزيده تعزيراً ، وقد خيل إليه أنه غارق  
في الوحل لا يستطيع منه حراكاً ، بينما الدرويش يسوق حصان  
القول سباقاً إلى الميدان .

ونادى القاضي المعرف ، ثم خلع ثوبه وعمامته ، وبعث بهما  
معه ، مع الإناعام والإجلال ، إلى الدرويش .. معتذراً إليه بأنه  
لم يكن يعرف قدره فبدت منه البادرة ، سائلاً العفو عن التقصر  
لأنه لم يقيم بخدمته بنفسه ، آسفاً لأن يراه رث الملابس رقيق الحال ،  
مع هذه المرتبة الرفيعة من العلم والخلق .

وأقبل المعرف في لطف وخشوع وأدب جم فوضع العمامة  
فوق رأس الدرويش ، أمسكاً الثوب بيده ليعينه على لبسه . ولكن  
الدرويش دفع المعرف عن نفسه ، ونزع العمامة وأعطاه إياها قائلاً :  
— اذهب إلى حيث جئت ولا تضع فوق رأسي تيد الغرور ،  
إني أخاف على هذا الرأس أن ينوء بعبء عمامة قاضيك وقد لفت



بخمسة أذرع من القماش، اذهب فإنى أخاف على نفسي أن تملأ غروراً  
إذا ما لبست العمامة الكبيرة ولقيت المولى أو الصدر الكبير، فأرى  
الناس صغاراً وقد يكبرون أكبر منى فضلاً ومكانة عند ربي . ماذا  
على من هذه العمامة ؟

وأى فرق يطرأ على الماء الزلال فى كأس من الذهب وضع  
أو فى كأس من الفخار ؟

إن العقل والحكمة أحب إلى رأسى من هذه العمامة الجميلة .  
إن العالم لا يعتز بكبر رأسه وضخامة عمامته ، فإن للقرع رأساً  
كبيراً لا عقل فيه .

ونظر الدرويش إلى القاضى الذى نهره فقال :

— لا ترفعن رأسك عالياً لأنك لبست عمامة كبيرة ، وتحليت  
بلحية طويلة . العمامة من قطن ، واللحية كالخشيش ينبت فى الأرض .  
وليكن قدرك بقدر مالك من فضل ، ولا تكونن كزحل اتخذ بين  
الكواكب مكاناً عالياً ، ولكنه نحس يؤذى الناس .

ألم تعرف قصب الحصير، تراه طويلاً فإذا ذقته لم تجد سكرأ فيه ؟  
يا صاحبي : إني لا أراك من ذوى الفضل لأن مائة عبد يسرون  
من ورائك ، إنما الفضل بالعلم والخلق الكريم .

( بستان )

سألوا الملك هرمز لماذا سجنتم وزراء أيبك ، أرايت منهم خطأ ؟ فقال :

— ما رأيت منهم خطأ ، ولكنني وجدت هيتي قد تمكنت من قلوبهم ، فهم يخافونني ولا يعتمدون على عهدي ، فخشيتهم وأمرت بسجنهم ، عملا بقول الحكماء :

خف من يخافك ، ولو أنك قادر على قتل مائة مثله ،  
ألم تر أن القطة في عجزها تطلع عين النمر بمخبطها ؟  
ولهذا تعض الحية رجل الراعي ، فإنها تخشى أن يحطمها  
بهذه الرجل .

( كلستان )



## المال

ضاقت الدنيا في وجه درویش ، كان يبحث عن قوته فلا يجده  
إلا بشق النفس ، ولكنه اليوم في مسغبة لا يجد منها مخرجاً ، فلجأ  
إلى رجل من أثرياء بلده ، وشكا إليه حاله ، والتمس منه العون ،  
ولكن الثرى الخبيث لم يرحمه ولم يعطه ديناراً أو دانقاً مما أفاء الله  
عليه ، وتركه يتلوى جوعاً وألماً ، ولم يكتف الثرى بجرمان  
الدرویش من بعض ماله ، بل إنه صرخ في وجهه ونهره وطرده .

وتعجب الدرویش من هذا الثرى الذى امتلأ بيته بالخيرات  
يضع على الفقير بكسرة من خبز قهار يسد بها رمقه ، كأنه لا يخشى  
صروف الزمان ، أو كأنه ضمن بقاء المال . ولما وجد الثرى أن  
الدرویش يتمم ويتباطأ فى الانصراف عنه ، نادى خادمه وأمره  
بطرده شرطدة ، فطرده فانصرف .

\*\*\*

وسارت عجلة الزمان ترفع وتخفض ، وتدنى وتقصى ، فإذا  
بالثرى الخبيث يفقد ثروته ، ويصبح فقيراً لا يملك شروى فقير ،

ويعسى ممزق الثياب ، خاوى الوفاض ، يستجدى عطف الناس  
ليأكل ، وقد تهدم بيته فافترش الثرى والتحف الثريا ، وأخذ يلتفت  
إلى من حوله لعله يجد من يعطف عليه ويرق له فيسد رمقه ، ويكسو  
عريه ، ويأويه من وهج الشمس بالنهار ، ومن قارس البرد بالليل .

أما عبده الذى استعان به على زجر الدرويش وطرده فإنه قد  
اضطر إلى بيعه فيما باع من أموال ، وقد اشتراه رجل ثرى كريم  
مبسوط اليد ، يسعده أن يجد فقيراً ذا مسغبة فيطعمه ، كما يسعد  
الفقير بمال يتمناه .



وذات يوم وقف يباب قصر الثرى فقير يلتمس لقمة ، وقد  
بدا على مظهره ذلة الفقر وعضة الجوع ، حتى إنه لم يكن قادراً على  
الوقوف مستنداً إلى رجله ، ورفع الفقير صوته مستجدياً فسمعه  
الثرى فأرسل غلامه بطعام ليطعم هذا السائل المحروم ، وخرج الغلام  
يحمل أطباق الطعام ، فلم يكذب يقع نظره عليه حتى صاح متعجباً من  
حكمة الله ، وعاد إلى سيده وقد اغرورقت عيناه ، فسأله سيده عن  
سبب بكائه فقال :

إن هذا الرجل الذى وقف على بابنا يمد يده بالاستجداء  
ويطلب الإحسان ، هو سيدى الذى كان يملك من الذهب والفضة

ما لا عدد له ، والذي كان ينفق عن سعة ، ولكنه كان ينهر المسكين ولا يطعمه ، فما هو ذا قد أذله الله وأذاقه مرارة الفقر والمسكنة ، فأتى ينشد عندك ما يتبلغ به ، فيا لظلم الأيام وجور الزمان ! فضحك السيد وقال لخلامه :

ليس هذا ظلما يا بني فإن الزمان لا يظلم الناس ، أليس هذا هو التاجر المتكبر الذي صغر خده ، ورفع بالغرور رأسه ، كأنه يريد أن يبلغ السماء . وأنا يا بني الدرويش الذي طرده من بابه وقد استعان بك يومئذ على طردى وإذلالى ، ها هو ذا يجلس ذليلا حيث كنت فقد رضى الله عنى فأزال عنى الفقر وأنعم على بنعمته التى ترى ، والله يا بني إذا أغلق بابا فتح برحمته بابا سواه ، وهكذا يسعد فقراء بعد حرمان ، ويشقى بالبؤس بعض السعداء ، والمال يا بني ودیعة ، تنتقل من يد إلى يد ، فيها للسائل والمحروم نصيب .

( بستان )



## ١٧٩ المتيق

ظهر في عهد أحد السلاطين رجل ادعى النبوة فأمر السلطان بالقبض عليه وقتله .

وبعد زمان ظهر رجل آخر فادعى الألوهية ، فلما علم السلطان بأمره ، أمر بإحضاره إليه فسأله :

— كيف تجرؤ على ادعاء الألوهية ، ألم تسمع أن رجلاً ادعى النبوة فقتلناه ؟

فقال الرجل :

— حسنا فعلت أيها السلطان ، فإنني لم أبعثه نبياً !

( عيد الزا كاني )





## ٤٢ في ساحة الله

سمعت أن رجلاً ، أيام عيسى عليه السلام ، أمضى عمره في الضلال والجهل ، فأتلف حياته سدى . وقد كان من سوء السيرة ، وخبث الطوية ، وقسوة القلب ، بحيث ينجل منه إبليس . لم يكن يجد قلباً يأوى إليه ، وقد امتلأت رأسه بالمكر والجنون ، وتضخمت بطنه بالأكل الحرام ، وتلوث ذيله بالفسق ، حتى إن أسرته تدنست بخطاياها . لم يكن لهذا الرجل الفاسق قدم تسرقه إلى سواء السبيل ، وإذا حضر مجلس نصح وتقوى بدا كأن في آذانه وقرا ، وقد خشيه الناس وأبغضوه كما يبغضون السُّنَّةَ السيئة . وقد أسلم نفسه للهوى والشهوة والإباحة ، فلم يقف في طريقه شيء ، ولا أقام وزناً لو أزع ، إنه كان يعبد نفسه ويقدم شهوته ، فكان يقضى الليل سكراناً ، والنهار مخموراً .

\*\*\*

وأقبل عيسى عليه السلام من الوادي فدخل مقصورة العبادة ، ورآه الرجل المستهتر ، وقد أحاطت به هالة النبوة ، فبهره ما رأى ، وأحس شيئاً يدفعه إلى عيسى ليطلب العفو من ربه ، ويندم ويتوب عما فات . إن التقوى قد دخلت إلى قلب الرجل ، وهو شاعر بما

قدمت يداه من آثام . فهو نادم ، كسيف البال ، باك ، يريد أن  
يستغفر ربه ، عساه أن يغفر له .

ودخل الرجل المقصورة ، فارتقى تحت قدمي عيسى ، وأجش  
بالبكاء ، وكلما حاول أن يتكلم خنقته العبرات ، حتى إذا هداً تكلم  
مستغفراً ، طالباً الرحمة من رب العالمين .

وكان في الركن الآخر من المقصورة رجل عابد صالح ، لا يترك  
صلاته ، ولا يتوانى عن الصوم ، يقوم الليل ، إنه يعبد ربه آناً  
الليل وأطراف النهار ، وكان يعرف هذا الفاسق . فلما رآه قد اجتراً  
على دخول المقصورة ، وأخذ يتوسل ويذرف الدمع ، تأفف من  
السماح لمثله بدخول بيوت الله ، ومشاركة الصالحين في مأواهم .  
فأخذ الرجل الصالح يشتم الفاسق ويدعو ربه ألا يجعله معه يوم  
الحساب ، فإنه لا يقوى على رؤياه أو صحبته .

\*\*\*

وأبصر عيسى فإذا الوحي ، وقد بعثه « جليل الصفات » مقبلاً  
عليه يقول :

يا عيسى لا يغضبنيك الرجل قد أمضى عمره في الفسق ، وأتى  
اليوم إلى عتباتك يطلب العفو والغفران . إنه قد بكى ندماً وحسرة  
على ما أذنب ، وأنه سيمشي بعد اليوم على صراط مستقيم .  
يا عيسى لا تسمعن العابد الصالح ، إنه يتقدم إلى ربه في كبرياء ،  
معتمداً على أنه أمضى عمره مطيعاً لربه .

يا عيسى ، إن العجز والمسكنة والذلة على عتبة الله خير من الطاعة والعبادة والاعتداد بالنفس . إن الله لا يحب كل مختال فخور ، وإن دعاء الرجلين : الفاسق ، والصالح مقبول عند ربك على السواء ، ولو أن هذا عالم ، وذاك جاهل .

يا عيسى إن الفاسق قد أتاني متضرعاً باكياً لأنه أضاع أيامه سدى ، وأنا أقبل عشرة من أتاني ذليلاً كسير الفؤاد ، ولقد غفرت له سيئاته ، وسأجعل له الفردوس نزلاً .

يا عيسى ، قل للعابد : لا يجزع من صحبة الفاسق يوم القيامة ؟ يومئذ لن يرى فيه عارا ؟ فإنى مدخل الفاسق الجنة ، وملق بالعابد في النار ؟ لأن الأول قد امتلأ قلبه دماً من حزنه وأسفه على ما قدم من ذنوب ، ولأن الثاني قد عقد على تقواه الأمل في الجنة ، فجاء متكبراً ، وبُغضاً للتكبرين . ليس من الخير أن يعبد الرجل ربه فيحسب نفسه من الصالحين ، ويعلو على من لا يعبد الله . والرجل الحر لا يفخر برجولته . فليس كل فارس ماهر قادراً على اللعب بالكرة . يا عيسى ، قل للعابد : إنه مغرور ، وقد ظن عقله من الفسق ، والحق إنه من البصل ، قشر على قشر . قل له ليستغفر ربه . فإن ما قدم من طاعة . وما أدى من عبادة ، ليس بنافعه اليوم . إنه لن يجنى ثمرة من طول عبادته ، لأنه أطاع ربه وآذى الناس .

\*\*\*

إن مذنباً يخاف ربه خير من عابد يباهى بعبادته .

( بستان )

## ٤٣ ضيف إبراهيم

اشتهر إبراهيم الخليل بالكرم وحسن الضيافة ، وقد حدث أن مضى أسبوع لم يحضر مآدبته أحد من أبناء السبيل ، وكان إبراهيم لا يستطيع أن يتناول طعام الصباح حتى يحضر أحد الفقراء فيشاركه طعامه . فخرج من بيته وأخذ ينظر إلى كل جهة من أطراف الوادي حتى رأى رجلاً في الصحراء : طويلاً كالصفصاف ، وقد اشتعل رأسه شيباً كأن الكبر قد كساه بثلجه .

ونادى إبراهيم عابر السبيل فلما أقبل عليه ، حياه ورحب به ، ونادى بإحضار الطعام ، وسأل ضيفه الإذن بتناول الطعام في صحبته فقبل الرجل شاكراً ، وكان يعوف كرم إبراهيم ويسمع أخبار مضيفته . وأقبل الخدم فأجلسوا الرجل في مكانه من المائدة بالتجلة والتكريم . فلما اكتمل الجمع وأخذ كل مكانه ، بدأوا بذكر اسم الله الرحمن الرحيم . ولكن الضيف لم يذكر الاسم الأجل .

وتعجب إبراهيم من الشيخ الكبير لا يذكر اسم ربه قبل أن يضع الخبز في فمه ، فسأله لماذا لم يفعل كما يفعل الشيوخ في إخلاص وإيمان . فقال الرجل : إني لا أستطيع أن أعمل شيئاً لم أسمع عنه من سدة بيت النار .

فأدرك إبراهيم أن ضيفه مجوسى من عبدة النار ، فاستولى  
عليه الغضب وأمسك بالرجل فرفعه من مكانه وطرده ، حرصاً  
منه على ألا يشارك الاتقياء أكلهم .

\* \* \*

فبعث الله جبريل إلى إبراهيم يقول له :  
يا إبراهيم لقد تحملت هذا الشيخ ومنحته الحياة والقوت مائة  
سنة ولم تستطع أنت تتحملة لحظة واحدة ؟  
يا إبراهيم إذا كان الشيخ يسجد للنار فما بالك أنت تكف اليد  
التي بسطتها لك بالجود ؟

( بستان )



## ٤٤ دولة الظلم

أمر ملك بقتل رجل برىء ، فلما حان وقت التنفيذ قال  
الرجل للملك :

يا مولاي لاتسع لإيذاء نفسك بسورة من الغضب على عبدك .  
فسأله الملك ماذا يقصد . فقال :

سأ تأثر بقتلك إياى لحظة من ساعة ، وسيبقى إثمك حتى قيام  
الساعة .

فأعجب الملك بنصحه وعفا عنه .

« كاستان »



مرض الأمير منصور بن نوح مرضاً أزم من حتى أقعده ، وعجز  
الاطباء عن مداواته ، فأرسل رسولا يدعو محمد بن زكريا الرازي  
ليعالجه ، وجاء الرازي حتى نهر جيحون ، ولكنه عندما بلغ شاطئه  
ورأى ماءه ، قال : أنا لا أركب السفينة ، فقد قال الله تعالى : « لا تلقوا  
بأيديكم إلى التهلكة » ، فليس من الحكمة أن يركب الإنسان الأخطار  
مختاراً . ثم صنف كتابه « المنصوري » ، في الفترة بين رجوع رسول  
الأمير إلى بخارى وعودته منها ، ثم سلمه إليه وقال : أنا هذا  
الكتاب ، وسترى فيه مقصودك ، ولا حاجة لك بي .

فلما وصل الكتاب للأمير غضب ثم أرسل له ألف دينار  
وحصاناً خاصاً بعدته وقال لرسله : ترفقوا به فإن لم يجد الرفق معه  
قيدوا يديه ورجليه وأجلسوه في السفينة واعبروا . فعمل الرسل  
برأي الأمير ، ولكن الرفق لم يؤثر في الرازي ، فأوثقوه وأركبوه  
السفينة وعبروا . ثم فكوا قيده ، وقدموا له الجنينة بعدتها فركبها ،  
هاديء الطبع ، واتجه نحو بخارى . فقالوا له : إنا خفنا أن تخاصمنا  
بعد أن نعبث النهر ونفك قيدك ، ولكننا لم نر منك ضجراً أو ضيقاً



صدر . فقال : إني أغرق أن عشرين ألف رجل يعبرون جيحون كل عام ولا يغرقون ، وأنا أيضاً لا أغرق إذا عبرت ، ولكن من الجائز أن أغرق ، فإذا غرقت فسيقال حتى يوم القيامة كان محمد بن زكريا أبله إذ ركب السفينة مختاراً فغرق ، فأكون من الملوذين لا من المعذورين .

ولما بلغ الرازي بخارى دخل عليه الأمير وتقابلا ، ثم بدأ الطبيب العلاج وبذل فيه جهده ولكن بلا جدوى ، فدخل يوماً عند الأمير وقال : « غداً سأجرب علاجاً آخر ، وسيخرج من أجل هذا العلاج الحصان كذا والبغل كذا ، وهاتان الدابتان معروفتان بالسرعة ، فإنهما يقطعان أربعين فرسخاً في الليلة .

وفي اليوم التالي حمل الأمير إلى حمام نهر موليان ، ووضع الحصان والبغل خارج الحمام معدين ومشدودين مع غلام الرازي ، ولم يسمح لأحد من خدم الأمير وحشمه بدخول الحمام ، ثم أجلس الرازي الأمير وسط الحمام وصب عليه ماء فاتراً ، ثم أعد له شراباً وذاقه ثم سقاه إياه ، وأبقاه زمناً ليتيح للأخلاط أن تنضج في مفاصله ثم ذهب فلبس ثوبه وعاد فرقف أمام الأمير مرجحاً له أقبح الشتم « يا كذا وكذا لقد أمرت بقتل بقيدى وإلقائى في السفينة وتهديد حياتى فإذا لم أجرك على هذا يازهاق روحك فإنى لا أكون ابن زكريا ، فغضب الأمير غاية الغضب ، ونهض على ركبتيه وهو في مكانه ، فجرد عليه الرازي سكيناً وأوسعته إهانة ، فتهض الأمير واقفاً ،

غضباً أو خوفاً ، فلما رأى الرازى أن الأمير قد وقف تراجع  
وخرج من الحمام . ثم ركب الحصان وركب غلامه البغل واتجها نحو  
جيحون فعبراه عند صلاة العصر ، وأحسا السير إلى أن بلغا مرو ،  
ومنها كتب الرازى خطاباً للأمير قال فيه :

« أطال الله حياة الأمير صحيح الجسم ناقد الراى ، قد بدأت  
العلاج وبذلت كل ما فى الطاقة ، فرأيت حرارة غريزية مع ضعف  
تام وأن العلاج الطبيعى قد يطول ، فعدلت عنه ولجأت للعلاج  
النفسانى ، فحملت مولاي إلى الحمام وناولته الشربة وتركته حتى  
تنضج الأخلاط نضجاً تاماً ، ثم أثرت غضبه حتى يساعد الغضب  
فى إذكاء الحرارة الغريزية فتقوى وتحلل هذه الأخلاط المتزايدة ،  
وبعد هذا لم يكن من الصواب أن أبقى لأقابل الأمير ،

وعندما نهض الأمير على رجليه وخرج الطبيب فامتطى جواده  
غشى عليه ، فلما أفاق قام وخرج ونادى الخدم وسأل أين ذهب  
الطبيب ؟ فقالوا خرج من الحمام فركب الحصان وسار مع خادمه ،  
فعرف الأمير قصد الرازى من سلوكه .

وخرج الأمير ماشياً من الحمام ، وذاع الخبر فى المدينة ، ثم  
جلس فى الحضرة ، وأقام الناس الأفراح .

وفى اليوم السابع جاء غلام الرازى راكباً البغل ومعه الحصان  
وسلم الأمير الخطاب الذى كتبه سيده ، فقرأه الأمير ، ثم أمر  
بالخلع والصلوات للرازى .

( جهار مقاله )

## ٤٦ آخرة

رأى أحد الصالحين فى المنام ملكاً فى الجنة وزاهداً فى النار .  
فسأل كيف كان ذلك ؟ فقيل له :  
دخل الملك الجنة لحبه الدراويش ، ودخل الزاهد النار لتقربه  
من الملوك .

( كلتان )



## ٤٧ دواء الملك للمريض

مرض ملك مرضاً مستعصياً ، واجتمع أطباء اليونان لعلاجـه فلم يروا دواء له غير كبد آدمى ذى صفات خاصة ، فلما عرف الملك هذا أمر بالبحث عن الإنسان المطلوب ، فاجتهد رجال الحكومة حتى عثروا على ابن دهقان توفرت فيه شروط الأطباء

وبعث الملك لوالدى الفتى وحدثهما عن الأمر وأجزل لهما العطاء ، فقبلا قتل ولدهما ليأكل الملك كبده ليشفى .

ونادى الملك القاضى وسأله إذا كان حلالا قتل نفس بغير نفس ولكن ليتداوى الملك بكبدها ، فأقضى القاضى بأن قتل أحد الرعية ليأكل الملك كبده ليشفى ، حلال .

وجيء بالغلام ليذبحوه ذبح الشاة ، وكان الملك مطالبا عليه ، فرأى الغلام ينظر إلى جلاده ثم يرفع عينيه إلى السماء ويتسم .

فأسرع الملك نحو الفتى وسأله : ماذا أضحكك وقد أشرفت على الهلاك ؟

فقال الفتى :

إن على الوالدين أن يرحما فلذة كبدهما ، وإن على القاضى أن

يعدل في قضائه ، وإن على الملك أن يعفو ، وقد رأيت أبوىَّ غرهما  
حطام الدنيا فسلك روحى ، وسألت القاضى فخشيك ، ولم يخش  
ربه ، فأحل لك دى ، وأنت ياسيدى رأيت شفاءك فى إزهاق  
روحى فأمرت بقتلى ، فلم أر ملجأ لى غير ربى ، فرفعت رأسى إليه  
راضياً بقضائه .

فتأثر الملك من قول الفتى وبكى ، وقال : لنن أموت مريضاً  
خير من قتل نفس زكية ، ثم أخذ الفتى قبله وأجزل له العطاء .  
قالوا : ولم يمض على هذا أسبوع حتى برىء الملك من علته .  
( كلستان )



## ٤٨ حاتم الطائي والمحطاب

سئل حاتم الطائي : أرايت أو سمعت أن رجلاً أعلى همة منك ؟  
فقال نعم ، فخرجت يوماً أربعين جملاً ، ثم خرجت مع جماعة من  
أمراء العرب إلى الصحراء ، فرأيت حطاباً يجمع الحطب ثم يحمله  
فوق ظهره ، فسألته : لماذا لم تذهب إلى بيت حاتم فقد اجتمع القوم  
حول سماطه ؟ فقال الحطاب :

إن من يكسب خبزه من عمله لا يتحمل منه حاتم الطائي .  
فأدركت أن هذا الحطاب أعلى همة مني .

( كلستان )



ذهب وزير إلى « ذو النون » قدس سره وطلب منه العون  
قائلا : إني أقوم بخدمة الملك ليل نهار ، آمل في خيره خائف من  
بطشه .

فبكى ذو النون وقال :

لو خشيت الله خشيتك الملك لكنت من الصديقين .

( كستان )





## ٥٠ الدرويش والملك

اقرب أجل أحد الملوك ، ولم يكن له وارث ، فأوصى بأن أول رجل يدخل المدينة صباح مرته يركب ويرقى العرش وتقوض إليه أمور المملكة .

فاتفق أن أول داخل في المدينة صبيحة موت الملك درويش كان يقات بما يجود عليه الناس به من لقم ، وكان يلبس رداء خاطه بما جمع من خرق ، فنفذ أركان الدولة وصية الملك ، فألبسوه التاج وسلموه مقاليد الملك .

وبقي الدرويش يسوس أمور الدولة زمناً حتى خرج عليه بعض الأمراء وثار عليه الملوك من كل الأطراف ، واتفقت كلمة الجند والرعية على خلعه .

وبينا الملك الدرويش في كدر مما أصاب فكره من التشنيت بسبب الملك جاءه صديق له قديم ، من أيام الفقر والتسول ، فرأى صاحبه قد علا العرش وعلى رأسه تاج ، فقال له :

الحمد لله رفع درجتك وجعل لك حظاً عظيماً ، فأخرج من

الشوك زهرتك ، ومن الحصى رجلك ، وربك على العرش ، فإن  
مع العسر يسراً .

فقال الدرويش الملك :

يا صاحبي ، إن دعاك ظاهري لتنتهي فإني بالعزاء جدير ، فإني  
حين عرفتني ، لم أكن أفكر في غير كسرة من خبز أسد بها رمقي ،  
أما اليوم فإني أفكر في هذه الدنيا التي ثارت عليّ ، تريد أن  
تعصف بي .

( كلستان )



## ۵۱ الملك والزاهد

رأى ملك زاهداً فسأله : ألا تذكرنى أبداً ؟

قال الزاهد :

أجل ، أذكرك كلما نسيت ربى ، .

(كلستان)



### درفش كاوياني

حدثك يا مولاي عن إيران أيام جمشيد وكيف ازدهرت الحياة فيها بفضل ما لقي الناس من عدل هذا الملك وحبه لبلده وعمله على النهوض بها وإسعاد أهلها ، واليوم أحدثك عما كان من أمره بعد أن بلغ الغاية في السمو والسلطان ، فإنه لما رأى الناس مقبلة عليه ، تحبه وتؤثره وتلتف من حوله ، طغى وبغى وتكبر ، ورأى نفسه بشراً فوق البشر ، فادعى الألوهية وأمر الناس بأن يصنعوا التماثيل من رسمه وأن يعبدوها . وكان في إيران وقتذاك ثلاثة أديان دين الملوك ودين الشعب ودين قبيلة المغان (المجوس) ، فلم يلق رأى الملك جمشيد قبولا من إحدى هذه الطوائف ، وثاروا جميعاً عليه ، وعملوا على خلعه .

وكان بجوارهم ، في بلاد حمير ، ملك عربي عظيم ، كانت أخباره تسير في إيران ، فاعجب أهلها بعدله ، واستقامته ، وحسن سيره في رعيته ، وكان التجار يفدون من حمير على إيران فيقصون على أهلها من عظمة مرداس ، وحب الأعراب له ، ما كان يقربه من

قلوب الإيرانيين ويمكن له في قلوبهم ، وكانوا ينتقلون من إيران إلى بلاد حمير فيتحدثون فيها عن جور جمشيد ، وبغيه ، وغروره ، ومحاولته قهر الفرس على عبادة تماثيله ، وكيف أن الشعب تأثر عليه خالعه له ، فيجيش صدر مرداس بالرغبة في غزو هذه البلاد لينشر فيها الأمن ، والعدل ، ولينح للناس فيها أن يكونوا أحراراً في اعتناق الدين الذي يحبون .

واستعان الإيرانيون بمرداس ملك حمير ، وسعى عطاؤهم إليه يغزون منه العون ، ويفوضون إليه الأمر ، ولم يكن مرداس غريباً عن إيران ، فهو زوج أخت جمشيد ، وولده الذي يليه في الحكم يعتبر من أبناء بنات الإيرانيين ؛ ولذا فإن جيوشه قوبلت بالترحيب في إيران ؛ وذهبت جهود جمشيد في الدفاع عن نفسه عبثاً ، وتركه جنده فريسة لجيش الغزاة العرب ؛ فاضطر أن يهرب إلى الهند ، ومنها إلى الصين ، وتعبه رجال الغزاة فقبضوا عليه وسبق إلى إيران فأمر الملك ، بقطعه نصفين بعظم سمكة .

\* \* \*

وإذن فقد أصبح ملك حمير ملكاً على إيران ، وخرجت الجيوش العربية من الصحراء إلى بلاد ذات مدنية وعمران ، وانتقلت حياة العرب من البداوة الساذجة السهلة إلى الحضارة المترفة المعقدة ،

وأصبح ولي عهد الدولة ، بيورسب ، ينعم في العاصمتين ، العربية  
والفارسية ، نعيما لم يتح لأبناء كثير من الملوك .

واتسع مجال اللعب واللهو أمام بيورسب ، فرأى فيه الشيطان  
ضالته ، لإفساد أمور الناس والبطش بهم ، فخيل إليه أن يستعجل  
هذا الملك العظيم الذى لن يتاح إليه إلا إذا مات أبوه ، وصور له أباه  
أنانياً ، لا يجب له الخير ، وماذا لو نزل له هذا الوالد عن جزء من  
هذه الدولة الواسعة ، التى لا يحكم ملك فى العالم دولة فى عظمتها  
واتساعها ، وماذا لو أتاح له بعض مزايا الملك كما يفعل سائر الملوك  
مع أبنائهم ، ثم إن الأمور تسير على غير ما ينبغي أن تكون عليه ،  
فهذا ملك عربى لا تجرى فى عروقه دماء ملوك الفرس ، فهو  
لا يعرف طباعهم ، ولا يحس إحساسهم ، ولذا فإنه لا يحسن حكمهم  
ورعايتهم ؛ وأما بيورسب فهو نصف فارسى ، هو ابن ملك حمير من  
أخت ملك إيران ، فهو إذن أولى من أيه بحكم إيران .

وأخذ الشيطان يوسوس لصاحبه حتى صور إليه أنه قادر على  
التخلص من أبيه ، ليلى هذا العرش العظيم ، وما أيسر بلوغ هذه  
الأمنية ، إنها لا تزيد على ضربة سيف من قتي فى ريعان الشباب إلى  
شيخ بلغ من عمره عتيا .

وفى ساعة من ساعات الشر والشهوة ، أمسك بيورسب سيفه ،

ودخل على أبيه الشيخ ، ولم تكن إلا ضربة واحدة ، أسقطت ملكا وأقامت بدله ملكا آخر .

وصار يورسب ملك حمير وإيران .

\*\*\*

ومضت السنوات الأولى من حكم يورسب في هدوء ودعة ، فإن أحدا من الناس لم يكن يعرف أنه قتل أباه ليخلفه ، ولكنهم يعرفون أن العرش قد آل إليه ، وأنه ابن إحدى بنات ملوكهم ، فهو إيراني مثلهم ، وكانوا به فرحين .

ولكن الشيطان لم يترك صديقه لحظة واحدة ، وما كان يقوده لخير إلا ليهيته لشر أعظم ، فهو يملئ عليه من الحكمة ما يرفعه في أعين الناس ، وهو يهيء له من الخير ما يزيد به تقرباً إليه وإعجاباً به فتمثل له في صورة طباط ماهر ، وكان يورسب نهماً ، يحب الأكل ويعنى بأصناف الطعام ، فكان الشيطان يقدم له كل يوم ما لذ منه وطاب ، مما أطلق لسان يورسب بالثناء عليه .. وكان إذا سأل هذا الطباخ الماهر عن أمر أجابه بحكمة تلهج لسان الملك بالشكر والإعجاب ، وكلما حاول يورسب أن يكافئ هذا الشاب بالمال أبي وامتنع وقال إن رضا الملك ثروته وذخيرته في الحياة ..

قال يورسب :



ولكنى أريد أن أكافئك على ما أرى من حسن صناعتك  
ورائع تفكيرك وجميل نصحك ، فاطلب ما شئت ما دمت  
لا تريد المال .

إن وجودى بجانب مولاي هو خير ما أتمنى ، وإذا أتاح لى  
الملك أن أطلب ما أشاء فإنى أتمس منه أن يتيح لعبده أن يقبل  
ما بين منكيه ..

وقبل الملك وأقدم الشيطان فقبله بين منكيه واختفى فلم  
يره أحد .

ونظر بيورسب حوله ليرى هذا الطباخ الماهر فلم يقف له على  
أثر ، وبينما هو فى حيرة من اختفائه إذا به يحس حركة بين منكيه ،  
وإذا بحيتين خبيتين قد نبتتا حيث كانت قبة الطباخ .. وجيء  
بالأطباء من كل مكان فأشاروا بقطع الحيتين فقطعتا ثم نبتتا من  
جديد أشد هولاً وأكثر فتكاً مما كانتا ، وكلما قطعنا ظهركما من جديد  
أكبر حجماً وأصبح شراً .. ودار الأطباء ثم تشاوروا ورأوا أن  
يؤتى بحكيم من بلاد اليونان اختص بعلاج ما استعصى من الأمراض .  
وجاء الحكيم ، ورأى الملك والثعبانين فقال : هذا شر عظيم ، وإذا  
شاء الملك أن يعيش فعليه أن يكفل لهذين الثعبانين الغذاء ، وهما  
لا يأكلان غير أدمغة البشر ..

\* \* \*

وأقضى الفزع مضجع الملك بيورسب ، وأدرك عاقبته إذا  
هو سار في تمل الناس ليغذى الثعبانين بأدمغتهم ، ونادى المنجمين  
يسألهم عن المصير ، فحذروه جميعاً من طفل صغير من نسل الكيانين  
يشب فينتزع منه الملك ، فأخذ بيورسب في تقتيل أفراد الكيانين  
ليفرغ منهم ومن نسلهم ، وكان من هؤلاء شاب ذكى الفؤاد ،  
راجع الفكر ، اجتمعت فيه الصفات التي يحبها الناس في ملوكهم ،  
وكان العظماء يجتمعون عنده ، ويتشاورون فيما ينبغي أن يعمل  
ليخلصوا بلادهم من حكم العرب ، وليولوا عليهم ملكاً من أنفسهم  
بدل هذا الملك الذي أطلقوا عليه لقب التين « أزدهاك - الضحاك » ،  
والذي يقتل أبناءهم في غير رحمة أو شفقة ليطعم ثعبانيه بأدمغتهم .

ووقع هذا الشاب في يد رجال بيورسب فأخذوه وتمتلهه وقدموا  
رأسه غذاءاً للثعبانين ، وكان له طفل صغير اسمه أفريدون ، فخشيت  
أمه أن يصيبه ما أصاب أباه ، فأودعته سرّاً عند أحد الموابدة ليرعاه ،  
فلم يكد المربذ يرى الطفل حتى أخبر أمه بأن سيكون له شأن كبير  
وسيثول إليه عرش إيران . وجد بيورسب في طلب هذا الطفل  
وهو يبحث عن نسل الكيانين ، ولكن أمه استطاعت أن تنقله  
إلى بلاد الهند ، فظل بها إلى أن أصبح شاباً قوياً ، وعثا ذهبت  
جهود بيورسب للعثور عليه .

ولما اكتملت فتوة هذا الشاب أخذ يسأل صاحبه الذى نشأ  
عنده ، ويلح عليه فى السؤال ، إلى أن عرف أنه من نسل السكيانيين  
وأن بيورسب قتل أباه ، وأن أمه هربته من إيران إلى الهند حتى  
لا تمتد إليه يد الملك الظالم فيطعم دماغه الثعبانين اللذين اقنيا شباب  
إيران وزهرة أهلها . . ولم يستطع الفتى صبراً بعد الذى سمع ،  
وأعد عدته ليسافر إلى إيران ، فيدفع الشر عنها ، ويقتل هذا الملك  
الظالم ، ويعيد الاستقلال إلى بلاده ، ويجلس على عرشها ليصلح  
أمرها ، ويعيد إليها ما كانت عليه من عظمة وجلال .

فلما بلغ إيران قابلته أمه فحدثها بما علم واستزادها فزادته علماً  
بأسرته ، وبأحوال بلاده ، وخبائثه فى مكان أمين انتظاراً لسنوح  
الفرصة ، فتوارى أفريدون عن الأنظار إلى حين .



وكان فى المدائن حداد اسمه «كاوه» كان فقيراً يعول أسرة  
كبيرة ، وكان له ولدان يساعدانه فى حانوته الصغير ، فجاء أعوان  
الملك وأخذوا الإبن الأكبر فقتلوه ، فجلس الرجل حزيناً صابراً على  
ما أصابه وداعياً ربه ألا يأتى دور ولده الثانى حتى يكون الضحاك  
قد هلك فيخلص الولد من الموت . وفى صباح اليوم التالى جاء الجند  
فساقوا ابنه الآخر ليقتلوه ، فنقد صبر الرجل ، وسار جزوعاً  
إلى بلاط بيورسب ، فاقترحه غير مستأذن فلما دخل وجد الملك

وعلى كتفيه الثعبانان ومن حوله جماعة من العلماء يحررون محضراً  
يشهدون فيه بأن الملك يراعى الرعية بالرفق والحسن ، وأنه يقيم  
العدل بين الناس ، ولا يظلم منهم أحداً ، فرفع «كاوه» الحداد  
صوته ، شاكياً حاله ، فقد أخذوا ابنه الأكبر وقتلوه بالأمس  
واليوم عادوا فأخذوا الولد الثاني ، فرق قلب الملك له ، وأمر  
بإطلاق سراح الولد ونظر العلماء إلى «كاوه» - وشر الناس عالم  
بلا خلق - وطلبوا إليه أن يشهد بعطف الملك على رعاياه ، واستماعه  
لشكواهم ، وتحقيق العدل بينهم ، ورفع الظلم عنهم ! ولم يكذ «كاوه»  
يسمع هذا الكلام حتى استشاط غضباً ، ولم يستطع أن يكظم غيظه  
فأخذ المحضر من يد كبير العلماء ومزقه ورمى به في وجهه وهتف  
بسقوط بيورسب .

وخرج من القصر مسرعاً وهو ينادى بسقوط الظلم ، فالتف  
الناس من حوله وساروا وراءه حتى بلغ دكانه وهناك وجد الجمع  
قد كثر ، فأخذ الخرقه التي يلفها على وسطه ليتقي بها شواظ النار  
ورفعها وأخذ ينادى باستقلال إيران وبسقوط بيورسب وبالعودة  
إلى أفريدون ، وسارت الجماهير من وراءه تؤيده وتهتف وراءه .

\*\*\*

وبلغ الخبر أفريدون ، فخرج من مكانه ، وسار إلى حيث

الجاهير متجمعة حول كاهه ، فنادوا به ملكا عليهم وساروا معه  
إلى قصر يورسب فقبضوا عليه ، وقيدوه ، ورموه فوق جبل  
دماوند ، يشقى إلى أن يقضى عليه الثعبانان .

ومنذ هذا اليوم اتخذ ملوك إيران هذه الخرقه علما لهم ، وسموها  
العلم الكاوياني ، نسبة إلى كاهه الحداد ، وزينوها باللآلئ  
والجواهر وكانت أنفس ما يعتز به ملوكها .



سُمت صحبة أصدقائي في دمشق ، فوليت وجهي شطر صحراء  
القدس ، أضرب فيها خبط عشواء ، ف وقعت أسيراً في يد الفرنج ،  
وأودعوني خندقاً مع اليهود ، وأخذت أعمل معهم في الطين ، فر  
بي صديق قديم من رؤساء حلب فعرفني وسألني عما حل بي .

فقلت : خرجت أبتغي وجه ربي فرماني الزمان مع هؤلاء  
الناس ، وإنه لخير لي أن أعيش بين أصدقائي في السجن من أن  
أعيش حراً مع هؤلاء القوم في البستان .

فرق قلبه لي وافتداني بعشرة دنانير وأخذني معه إلى حلب .  
وكان لهذا الصديق بنت فعقد لي عليها بصدّاق مائة دينار ،  
وكانت هذه البنت سيئة الخلق ، قاسية الطبع ، وطالما تحملت من  
عنفها وغلظتها ، فذات يوم تطاولت على قائلة :

ألست أنت الذي اشتراك أبي بعشرة دنانير من أسر الفرنج .  
فقلت : بلي يا سيدي اشتراني أبوك من الفرنج بعشرة دنانير  
وسلمني إليك أسيراً بمائة دينار مثلي كمثل الشاة أنجاهها الرجل من  
الذئب في الصباح ، وأجرى على رقبتها السكين في المساء .

( كلستان )

## ٥٤ الملك والغلام العبد

ركب ملك سفينة ، وكان في هذه السفينة غلام لم ير البحر من قبل ، ولم يعرف محنة ركوب السفن ، فلم تكبد السفينة تسير حتى بدأ الغلام يبكي ويصيح وارتعدت فرائضه ، وحاول رجال الحاشية أن يهدثوا من روعه فلم يفلحوا ، بل ازداد عويله . فغضب الملك من صراخه ، وحار الرجال في إسكاته .

وكان في السفينة حكيم فسأل الملك أن يسمح له بتهذئة الغلام فرجاه الملك أن يفعل ، فأمر الحكيم بإلقاء الغلام في الماء ثم أمسكه من شعر رأسه ورفع له للسفينة ، عدة مرات ، فكان الغلام يمسك الدفة كلما ألقي في اليم ، ويحمد الله إذ أمسكوه من شعر رأسه فرفعوه فأنجوه من الغرق .

وآخر مرة رفعوا الفتى وتركوه فجري إلى زاوية في السفينة وجلس صامتا هادئا فسر الملك من تدبير الحكيم وسأله الحكمة في سكوته ؟ وقال :

إنه لم يكن قد ذاق محنة الغرق حتى يعرف قدر سلامة السفينة ، والصحة يا مولاى تاج على رؤوس الأصحاء لا يعرفه إلا المرضى .  
« كلستان »

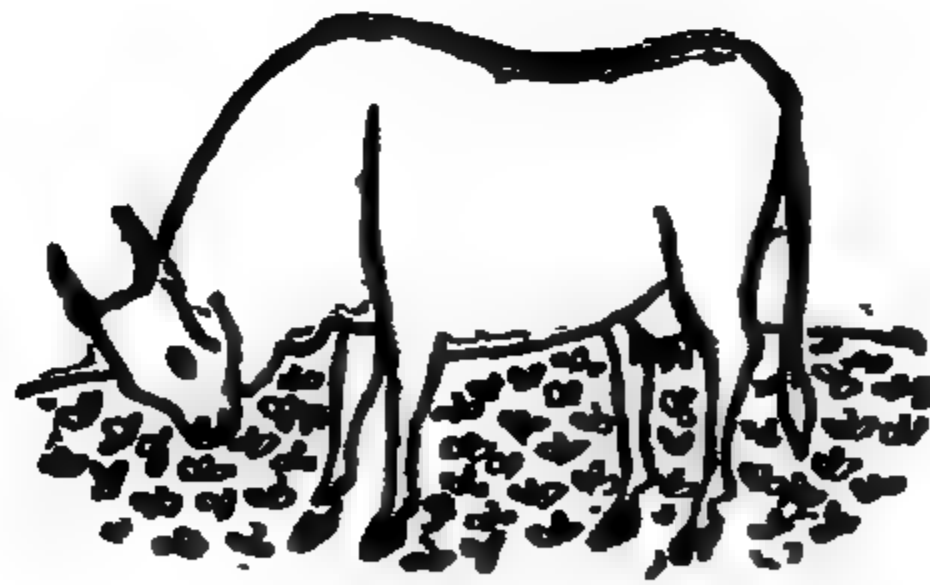


مرض أحد أمراء البويهيين بالملاخوليا ، فخيل إليه أنه بقرة ، وكان يصيح على كل من يرى من أصحابه وحاشيته : « اذبحوني فإن لكم من لحمي هريسة طيبة » ، وبلغ به المرض إلى حد أنه امتنع عن الطعام ، وعجز الأطباء عن معالجته .

وكان ابن سينا في ذلك الوقت وزيراً ، فالتسوا منه أن يذهب لمعالجة الأمير المريض ، وقصوا عليه قصته ، فقال : بشروا الأمير بأن القصاب آت لذبحه . فلما سمع الأمير بهذا سر سروراً عظيماً . ودخل ابن سينا ومعه رجلان ، وسأل : أين البقرة التي جئت لذبحها ؟ فلما سمعه الأمير ، قلد خوار البقر ، فأمر بحمله في وسط ساحة القصر مع قيده وإلقائه على الأرض ، ولم يكد المريض يسمع هذا حتى جرى إلى وسط الساحة ونام على جنبه الأيمن فأوثقوا رجليه بشدة ، وجاء الطبيب فسن السكين سناً ، ثم جلس ووضع يده على جنب المريض ، كما يفعل القصابون ، ثم قال : « يا لها من بقرة هزيلة » ، إنه لا يحل ذبحها ، اعلفوها حتى تسمن فنأتى ونذبحها ، ثم أمر بفض وثاقه وانصرف من أمامه .

ونصح أقاربه بأن يكثروا من تغذيته ، وأن يفهموه أن عليه  
أن يأكل كثيراً ليسمن حتى يحل ذبحه ، فأقبل الأمير البقرة  
على الطعام كالنهم ، ودسوا له معه ما وصف ابن سينا من  
الدواء ، فشفي .

( جہار مقالہ )



## ٥٦ الرزق الحلال

كان تاجر ظالم يشتري من الفقراء بالثمن البخس ويبيع للناس بفاحش الأثمان ، فمر به رجل صالح وزجره قائلاً :

أثعبان أنت تلدغ كل من ترى ، أم بومة أنت تؤذن بالخراب .  
خف من قضاء ربك إن رأيتنا نحمل بغيك ولا تعلون على الناس  
حتى لا يعلو دعاؤهم إلى السماء .

فغضب التاجر الظالم من هذا القول ، وأخذته العزة بالإثم ،  
ولم يجب .

و ذات ليلة طارت شرارة من مطبخه فسقطت في مخزن الحطب  
فاشتعل وأحرق بيته وأمواله فخرج وجلس فوق كومة من  
الرماد حزيناً .

ومر الرجل الصالح فسمعه يبكي ويتسائل من أين جاءت الشرارة  
التي أشعلت النار ولم تبق شيئاً في الديار ، فأجابه الرجل الصالح :  
إنها جاءت من قلوب الفقراء المحترقة يا أخى .

( ككستان )

أودع رجل صديقا له مائة مَنٍّ من الحديد ثم سافر ، فلما عاد من السفر طلب أماته ، وكان صاحبه قد بددها ، فاعتذره بأنه وضع الحديد في ركن بالمنزل فأحاطت به الفيران فأكلته ولم تبق منه شيئا . فتعجب الرجل ونظر لصاحبه ولم ينبس بـنت شفة .

وفي اليوم التالي جاء إلى صديقه وقال : إني عازم على السفر وسأودعك مالى مرة أخرى ، أمانة ، على شرط أن تحافظ عليه . فسر الصديق الخائن بهذه الفرصة ، وأخذ يتردد لصاحبه بعذب الكلام ، مؤكداً أنه سيحرس ماله بروحه ؛ ثم التمس منه أن يشرفه بتناول العشاء غداً في بيته .

\* \* \*

في مساء اليوم التالي ذهب الرجل إلى بيت صاحبه ، فأكرم هذا وفادته وأجلسه في صدر المكان ، ثم أجلس من حوله أبناءه ، إظهاراً للود ، وتوكيداً للصداقة . وبعد تناول العشاء استأذن الرجل وانصرف ، ولكنه أخذ معه ابن صاحبه الصغير خفية . وظل الرجل يبحث الليل كله عن ولده ، مشنت الفؤاد ، شارد

اللب ؛ ولم يكد الصبح يتنفس حتى خرج يبحث في كل مكان ،  
ولكن جهوده ذهبت عبثاً . وأخيراً توجه إلى بيت صاحبه وشكا  
إليه فقد ولده .

قال الرجل : إني سمعت ، وأنا خارج من دارك بالأمس : صوتاً  
من السماء يقول إن البغاث يحمل طفلاً في مخله ويطير به .  
فقال الصديق الخائن : لعلك جننت ، كيف يحمل بغاث الطير  
آدمياً في مخله ؟

قال الرجل : صه يا صاحبي ، فالبلد الذي تأكل فيه الفيران  
مائة من الحديد يستطيع بغاثه أن يحمل طفلاً من بني آدم .  
فقطن الصديق الخائن إلى حقيقة الأمر ، وقال لصاحبه :  
لا تحزن فإن الفيران لم تأكل الحديد .  
فقال الرجل : وأنت أيضاً لا تحزن فإن البغاث لم يحمل ولدك .

\* \* \*

وهكذا استطاع للرجل بالحيلة أن يحمل صاحبه على رد  
وديعة إليه .

إن الحيلة والمكر لازمان لدفع مضرة الماكر المحتال ، فكن  
وردة مع الورد وشوكة وسط الأشواك .

( جامع الحكايات )

اتخذ عابد من عبّاد الشام مقامه في غابة ، وكان يعيش على أوراق الأشجار . وكان ملك هذه الناحية في رحلة فمر بهذا الزاهد ، وسأله أن يحضر إلى المدينة ، ووعدته بأن يهيئ له مكاناً للعبادة ، وذلك حتى يستفيد الناس من فيض بركاته . فرفض الزاهد .

وتوسط أركان الدولة وأقنعه بالانتقال . فإن أعجبه الحال أقام ، وإذا تضايق عاد إلى مكانه في الغابة ، فجاء الزاهد للمدينة . وأعد الملك مكاناً في حديقة قصره الغناء ، وأرسل إليه جارية ذات حسن ودلال ، وأعقبها بسلام بديع الجمال ، لطيف الاعتدال . وأكل الزاهد من الأكل الطيب ، ولبس أثواب الحرير ، وأخذ يتمتع نظره بدلال الجارية وجمال الغلام .

وانصرف الزاهد عن العبادة ، ومال إلى الدنيا وغرورها . ورغب الملك في رؤيته . فرآه قد تبدلت حاله . فقد احمرت وجنتاه ، وابيض وجهه وغلظ ، وقد اتكأ على وسادة وعلى رأسه غلام بيده مروحة من ريش الطاووس . فسر الملك من حسن حاله ، ثم قال :

إني أحب طائفتين من الدنيا : الزهاد والعلماء ؟  
وكان فيلسوف مجرب يسمع كلام الملك فقال :  
شرط حب هاتين الطائفتين أن تقدم لهما الخير يا مولاي .  
فقال الملك : وكيف يكون ذلك ؟

قال الفيلسوف :

أعط العلماء الذهب ليرسعوا مداركهم بالقراءة ، ولا تعط  
الزهاد شيئاً ليبقوا زاهدين .

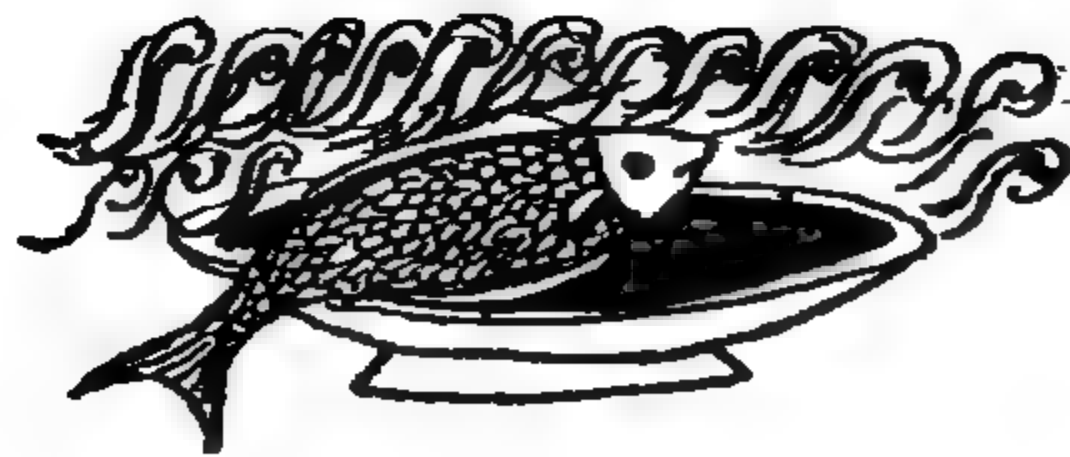
( كلستان )





وقعت سمكة كبيرة في شباك صياد ضعيف ، فلم يستطع إمساكها  
وأفلتت منه مع الشبكة ؛ فلامه الصيادون فقال لهم :  
يا إخواني ، لم يكن لي نصيب فيها ، وكان لها بقية من أجل ؛  
ألم تسمعوا القول المأثور :  
الصياد الضيق الرزق لا يصيد في دجلة ، والسمة التي لم ينته  
أجلها لا تموت في الصحراء .

( كستان )



## ٦٠ أبطال إيران

### زال

جاء دور الملك منوچهر ، فازدان عهده ، وقويت دولته ؛ بفضل سام والد الأبطال ؛ فقد كان سام هذا من القوة والجرأة والرأى بحيث كانت شئون المملكة كلها بين يديه . وقد جلس ذات يوم حزينا كئيبا ، يطيل الفكر في أنه قد أصبح شيخا كبيرا ، ولا ولد له ؛ وجاءته البشرى بأن الله قد سمع دعاءه ، وبأن زوجته حامل ، فأخذ يعد العدة لاستقبال هذا المولود الذى كان يتمناه . وولدت الزوجة غلاما ذا شعر أبيض كأنه رجل مسن قد اشتعلت رأسه شيئا ، وتعجب الوالد من بياض شعر ولده ، وحدثته السنة السوء بأن من يولد بهذا الوصف يكون ابنا للشياطين ، وأنه لا يجوز أن يؤيه في داره .

وتطير سام مما سمع ، وكانت أعصابه خائرة من كثرة ما انتظر ومن ضيعة الآمال بعد أن رأى المولود وسمع عنه ما سمع . وفي سورة من الغضب ، وفورة من التفكير المظلم أخذ الطفل وألقاه فوق الجبل .

وأبصرت العنقاء وهي تحلق فوق الجبل طفلاً رضيعاً . فرأت  
في وجهه دلائل السعادة والحظ العظيم ، ووجدته وحيداً لا يهتم  
بأمره أحد ، فأشفقت عليه أن يموت في شعاف الجبل جوعاً وبرداً ،  
فزلت إليه فأخذته بين مخالبها ، وطارَتْ به إلى عشاها ، وربته مع  
أفراخها .

وشب زال وبدت عليه مظاهر الفتوة ، ورجاحة العقل ، وصدق  
التفكير ، وكان ينزل من عش العنقاء فيسير في الجبال ، على قدميه  
حيناً ، وعلى ظهور الخيول البرية أحياناً ، وكان يصطاد السباع  
وغيرها من الوحوش ، وكانت الحيوانات الضارية إذا رآته تولى  
منه فراراً وتملاً منه رعباً .

وكانت القوافل ، وهي تسير ، يرى رجالها الفتى ذا الشعر  
الأيض ، ينتقل في خفة ليس لهم بها عهد في بني الإنسان ، والعنقاء  
من فوقه تحلق كأنها تصاحبه وتحميه ، فأخذ الناس يتحدثون عنه ،  
ويضعون القصص حوله .

أما سام فإنه أحس أنه أخطأ إذ ألقى ابنه في شعاف الجبل ،  
وشعر أنه أنكر النعمة التي أنعم الله بها عليه ، وأنه بدلاً من أن  
يعنى بولده وينشئه ليلي مكانه بعد موته ، وليكون بطلاً لدى  
الكيانين ، ألقاه في فورة من اليأس وسوء الظن على قمة الجبل ،  
وهو يعلم أن ليس هناك من يُعنى بغدائه وإيوائه . وأفضت الأفكار

مضجع الشيخ ، فبدا هزىلا علاه الهم والوصب . وذات ليلة رأى  
فى منامه رجلا يركب حصاناً عربياً ، فيقف يبابه ويدخل عليه  
فينهره نهراً شديداً لأنه ألقى ولده على قمة الجبل ، فأخذته العنقاء  
وربته مع أفرأخها ، وجعلته ولدها ، ثم يأمره أن يذهب إلى حيث  
تسكن ، فيطالبها بابنه الذى هو أجمل أبناء إيران . وينهض الشيخ  
من نومه ، كأن المنام الذى رأى حقيقة . فتأدى المرابذة من أهل  
الحكمة ، وحدثهم بما كان من أمر زال وسلوكه معه ، فعاب عليه  
المرابذة ما فعل ، ونصحوه بأن يذهب إلى الجبل الذى ألقى ابنه فوجه  
فيصلى ويتضرع إلى ربه ، ويسأله أن يرد ولده إليه . فسار سام إلى  
حيث أمر ، وأخذ يتعب ويدعو ويستغفر ، وأحست العنقاء بما  
يفعل الشيخ ، ورأت أن خير الولد فى أن ترده لآبيه ، ليأخذ  
مكاته فى بلاده وليصبح عظيم أبطالها . فحدث « زال » بما فعل  
أبوه ، ونصحته أن ينزل إليه ، وأن يسير معه ، وأن يبدأ حياته  
مع الإيرانيين ، وأنباته بأنه سيكون بطلهم الذى يزود عنهم الترك ،  
والذى يفاخر به ملوك الكيانيين .

وبكى زال وأخذ يتوسل إلى العنقاء أن تبقى معها ، فإنه سعيد  
بحياته فى عشها ، وأنه ينظر إليها كأنها أمه ، وشكا إليها أباه الذى  
ألقاه صغيراً بلا شفقة ولا رحمة . . ولكن العنقاء خففت من  
حزنه ، وهدأت من روعه ، وقالت : إنك ستعود لبلادك ،

وسأعطيك ثلاث ريشات من صدرى فإن حزبك أمر فاحرق  
واحدة منها ، آتتك قبل أن يرتد إليك طرفك ، فأفرج لك كربتك .  
وانزعجت الريش من صدرها وأعطته إياه .  
ثم هبط الفتى إلى حيث أبوه يركع ويصلى . .

\*\*\*

لم يكند سام يرى ولده حتى عرفه ، فهرع إليه وأخذه بين  
ذراعيه وقبله ، وسارا إلى الملك منوچهر ، فأخذ الملك يتحدث إلى  
« زال » فأعجب بحسن جوابه إعجاباً بما هو عليه من مظاهر الفتوة  
والبطولة ، وأما سام فإنه منذ رأى « زال » قرت عينه ، واطمأن  
قلبه ، وأيقن أن سيكون له فى بطولة إيران خليفة قد يفوقه  
قوة ومحتداً .

وجيء بالموابذة يعلمون « زال » الحكمة ، فكان كل يوم يزداد  
ثقافة وعلماً ، وكلما خرج أبوه إلى القتال ولاه سيستان فكان يحكمها  
وكأنه مرن على فن الحكم منذ صباه . .

وخرج « زال » ذات يوم للصيد ، وتوغل فى رحلته ، فإذا به  
على أبواب كابل التى يملكها « مهرباب » من أبناء بيورسب ، ولم  
يكند هذا الملك يسمع بأن « زال » قد اقترب من عاصمة ملكه حتى  
قام مع حاشيته وخاصته فاستقبله أحسن استقبال ، وسأله أن يعطف  
عليه فيزوره فى بيته . ولكن « زال » خشى أن يجيب الملك إلى

رغبته قبل أن يستشير أباه ، فإن الخصومة بين الإيرانيين والملوك من نسل بيورسب قائمة على أشدها بين القومين ، فأهل « زال » الملك حتى يأتيه جواب أبيه على رسالة وجهها إليه يلتبس فيها الإذن بزيارة مهرباب .

وخرج مهرباب من عند « زال » فأخذ هذا يحدث أفراد حاشيته بما عليه « مهرباب » من جمال ومهابة وجلال ، فحدثه أحد خاصته بأن « لمهرباب » بنتاً تفرقه حسناً وجمالاً ، وأنها أجمل من في بيوت الملوك من مخدرات ، وأخذ « زال » يسأل محدثه في أمر هذه البنت وكلما طال الحديث عنها زاد بها شغفاً وحياً ، ولما يراها .



وعاد « مهرباب » إلى بيته فأخذ يتحدث إلى زوجته وبنته « روضة » عن اعتدال قامته « زال » وحلو حديثه وما يبدو عليه من مخايل البطولة والنجابة والذكاء ، فشغفت « روضة » به حباً ، ولما تراه . وأخذت الفتاة تفكر في « زال » ، وفي حبها له ، فهي بالنهار شاردة البال ، حائرة النظرات ؛ وهي بالليل مسهدة لا تعرف جفونها النوم . وذات يوم باحت بسرها لجواربها ، فهدأن من روعها وداعبها ، وأكدن لها أن الحب إذا تمكن من قلبين صادقين فليس إلى قتله من سبيل . وفي صباح يوم مشرق من أيام الربيع النضرة ، ذهب الجوازي إلى نهر يفصل معسكر « زال » عن المدينة ، ومن حوله



الخدائق الغناء ، وأخذن في جمع الورود في أطباق الذهب ، ورآهم  
« زال » من مخيمه فسأل عنهن فقبل له هن جوارى « روضة » يجمعن  
لها الأزهار ، فامسك قوسه وضرب ظائراً في الهواء فرقع عند  
الجوارى ، فامر غلاماً من خدمه بأن يعبر النهر ويحضر الطير .

والتقى الغلام بالجوارى فسألته عن الراى ، فقال إنه « زال »  
بطل إيران وابن بطلها ، وأخذ يتحدث عن جماله وصفاته ، فقلن له :  
ترفق ولا تحدثنا عن الجمال ، فإن في القصر بنتاً هي ملكة الجمال التي  
لا تبارى ، والتي تفوق صاحبك حسناً ودلالاً . ورجع الغلام إلى  
سيده بالطير ، وقص عليه حديث الجوارى ، فأعاده إليهن بالهدايا  
والجواهر ، وطلب إلى كبيرتهن أن تقابله .

فلما رأى « زال » كبيرة جوارى « روضة » ، أفضى إليها بحبه  
المسكنون ، وحشها بأنه راغب في زواجها ، ولكنه يود لو رآها  
قبل أن يخطو هذه الخطوة ، ومهد مع الجارية السيل لمقابلة « روضة »  
وجاءت « روضة » إلى سطح القصر ، خارج المدينة ، وكان على  
« زال » أن يصعد إليها ، فدلّت ضفائر شعرها ليمسك بها ويصعد ،  
فشكر لها معونتها واستعان بحبل على بلوغ مرقاها . وفي هذه المقابلة  
الأولى اتفق الحبيبان على أن يتزوجا مهما تكن الصعاب ، ثم كتب  
بذلك إلى سام .

وشاعت أخبار ما بين « زال » و « روضة » من العشق ، وتحدث



الناس عنها في بلاط «مهراب» ، وبلاط «منوچهر» . أما «مهراب» ، فقد غضب غضبة جاهلية وأراد أن يقضى على هذه الصلة فهدأته زوجته ونصحته بالتريث والانتظار ، فكم يكون خيراً لبلاده أن تم أوامر النسب بينه وبين بطل إيران ، وأما «منوچهر» ، فقد أندر بأن صلة كهذه ستهدم بيت مهراب ، وتضم بلاده إلى إيران .

\*\*\*

وأما سام فقد بلغته رسالة ولده ، وكانت أخبار عشقه «لرودبه» قد شاعت قبل قدوم رسوله ، فأخذ يفكر في العواقب الوخيمة التي تترتب على الزواج ، ولكنه لم يكن ميالاً لإغضاب ولده ، فجمع المرايذة وسأله الرأي فيما يقدم عليه «زال» ، فاستشاروا نجومهم ورجعوا إلى كتبهم وعادوا إليه يرجونه الموافقة على تزويج ابنه من بنت «مهراب» ، فإن هذا الزواج سينتج ولداً يكون فخر إيران كلها وأعظم أبطالها جميعاً ، فأرسل إلى ولده يوافقها على زيارة «مهراب» ، ويؤيده في خطبة «رودبه» . وبينما «سام» يجلس فرحاً بولده إذا برسول الملك «منوچهر» يحضر حاملاً إليه الأمر بالقيام فوراً لغزو بلاد «مهراب» ، فلم يبدأ من تنفيذ أمر الملك ، وأسرع ليلحق بالرسول الذي بعثه لولده .

وعلم «زال» ، برغبة منوچهر في القضاء على «مهراب» ، وعلم أن هذا الملك قد هلع من الأخبار التي سمعها عن غزو قريب لبلاده

فأراد أن يظهر إخلاصه ووفاءه للملك إيران منوچهر فعزم على أن يقتل زوجته وبنته «روذبه» ، وبذلك تتمتع صلات النسب التي يريد «زال» أن يعقدها معه ، والتي جر التفكير فيها جيشاً جراراً يغزو بلاده .

وطارت نفس «زال» شعاعاً لما سمع ، فإنه هو السبب في أن يغير الملك القوى على الملك الضعيف فينتزع منه ملكه ، ويذل بلاده فأرسل إلى «مهراب» يسأله التريث والصبر ، وأسرع لملاقاة أبيه وهو حاضر على رأس جيش إيران . فلما قابل «زال» أباه أكد له أنه سيدافع عن «مهراب» ، لأنه يحب ابنته وسيتزوجها مهما يكن رأى ملك إيران ، ولأنه هو السبب في هذه الغارة التي لن تنجح إلا إذا قطعت رأسه . فرأى «سام» أن يرفد ولده «زال» إلى الملك «منوچهر» لعله يقنعه بالمواقفة على زواجه فتقف الحرب ويكفي الله المؤمنين القتال ، وينام الشر الذي صرح أو كاد .

ويذهب «زال» عند «منوچهر» ، ويشرح له قصته وكانت فتوى المرابذة قد بلغت مسامعه ، وأصبح راضياً عن زواج «زال» بنت «مهراب» ، ولكنه أراد أن يستوثق من ذكائه فأمر بإحضار الموابذة وأمرهم أن يسألوه أسئلة ليبين مدى فطنته وقدرته على حسن الإجابة ، فكان «زال» يجيب إجابات بارعة حقاً . وفي آخر الجلسة أمر «منوچهر» بالخلع والهدايا «لزال» ،

ثم أمر بعودة الجيش من الغزو ، وبأن يذهب « سام » مع ولده  
لخطبة « رودبه » بنت « مهرب » .

وسار « زال » مع أبيه وأعد « مهرب » لاستقبالها حفلاً  
رائعاً . وتم الزواج في أبهج مظهر عرفته كابل والمدائن . وعاد  
« سام » وأسرتة إلى سيستان ، وحملت « رودبه » فلما جاءها المخاض  
تعذرت عليها الولادة ، وأصبحت حياتها وحياة ولدها في خطر  
دائم . وجيء بالأطباء فلم يفلحوا في إنقاذ الأم ، وكاد « زال »  
يئس من رحمة ربه ، فبكى وقعد حزيناً يكاد يشق ثوبه . وأخيراً  
تذكر أن العنقاء أعطته ريشات ثلاث من صدرها ، ليحرق واحدة  
منها إذا أمر حزبه ، فحرق ريشة منها ، فإذا العنقاء تهبط من السماء  
وعلى فمها ابتسامة ، فتحدث إليها « زال » عما هو فيه من ضيق  
بسبب تعذر ولادة « رودبه » ، فتهت عن البكاء ، لأن الأبطال  
لا تزعم الخطوب ، وأمرته بإعداد فصل ماض ليشق به جنب  
« رودبه » ، ثم يخرج الطفل من جنبها .

وهكذا فعلوا ، فلما نزل الولد وأفاقت « رودبه » وكانت قد  
أوشكت على الهلاك ، قالت « برستم » أي قد نجوت ، فسمى الولد  
« رستم » ، وقد رباه « زال » وتعهده جده « سام » فنشأ أعظم أبطال  
إيران .

## رستم حامى الملوك

وشب رستم قتي مديد القامة ، عريض المنكبين ، مفتول الذراعين ،  
ثابت الجنان ، جميل القسمات ، ولم يكن أبرع منه فى ركوب الخيل ،  
ولا أقدر منه فى القنص ، ولا أقوى منه فى القتال والمصارعة ، وقد  
اختار لنفسه حصانا ، له من طاقة الاحتمال ، وسرعة الجرى ،  
والقوة ما لم يكن لحصان آخر ، وكان رستم يحب حصانه ويؤثره  
على سائر الحيوانات ، واسمه « الرخش » .

وذات يوم ركب رستم الرخش ، وسار فى الصحراء يترىض  
ويصطاد ، فأخذته سنة من النوم ، فربط الرخش بحجر ، وأسلم  
عيونه للكرى ، فلما أصبح لم يجد حصانه . ذلك أن جماعة من الترك  
قد حضروا فرأوا الحصان ، وكانوا كأنهم يبحثون عنه ، فحاولوا  
سرقته ، فبطش الرخش ببعضهم قبل أن يتمكن الباقون من إجماعه  
وسوقه إلى المدينة . صحا رستم من نومه فلم يجد حصانه فعز عليه  
أن يفارقه ، وعزم على السعى لإنقاذه ، وأبصر حوله فرأى آثار  
أقدام اللصوص وحوافر الرخش ، فسار على الأثر ، حتى إذا أرخى  
الليل سدوله انتهى إلى مدينة فدخلها ، فعرفه أهلها وخشوا بأسه ،  
وأسرعوا إلى ملكهم فأخبروه أن « رستم » البطل قد أتى يبحث  
عن رخشه وأنه يظن أن سارقيه فى المدينة يقيمون . فسارع الملك

لملاقاته ، ودعاه إلى قصره ، وأكد له أنه سيبحث عن الفرس وسيرده إليه . ثم أمر بإعداد مائدة للعشاء فأكل رستم وشرب كثيراً ، ثم أدخلوه مخدعاً ملكياً ليقتضى الليل فيه ، فدخل وخلع ملابسه وأسلم نفسه للنوم .

وانتصف الليل ، وأحس رستم وقع أقدام في غرفته ، ففتح عينيه فرأى فتاة لم تقع عيناه على أجمل منها ، وفي يدها شمعة من الكافور تضيء بها المكان ؛ فنهض رستم من فراشه وسألها من هي وكيف دخلت ؟ فأجابته بابتسامة ساحرة راضية : « أنا ثمينه ، بنت الملك ، أنا التي تتبعك أخبارك منذ صباك فاشتقت إلى رؤياك ، ففكرت ثم دبرت ثم أمرت خدماً بسرقة رخشك حين عرفت أنك في صحراء قرية تصطاد ، ولم يكن يارستم من وسيلة لحملك على دخول مدينتنا وبلوغ المنى من مقابلتك بغير هذه الحيلة ، فإنك حريص على حصانك لأنه عزيز عليك . . فإن أنت تقدمت غداً إلى الملك فطلبت يدي وصيرتني زوجة لك فإنى رادة فرسك الذي تحب . » وأعجب رستم بالفتاة ، ورأى فيها من الجمال ، وطهر البداوة ، وحسن المنطق ما قربها إلى قلبه وحبها إليه ، فوعدها بالزواج وأمهلها إلى الغد .

وتعلق قلب رستم بالفتاة ، وبات يفكر فيها بقية الليل ، وفي الصباح قابل الملك وطلب يدها منه ؛ فسر هذا بالنسب سروراً

عظيما ، وأقيمت الأفراح في المدينة ، وشارك الناس ملكهم  
في احتفاله بزواج ابنته ثمينة من بطل إيران رستم .

ولبت رستم أياماً مع زوجته ، وبينما هو معها في حديقة القصر  
إذا به يسمع الرخش يصل صهيله إذا وقعت بالبلاد واقعة ، فأدرك  
أن الرحيل قد آن أوانه ، وأن ليس بد من وداع زوجته . ولم يكن  
يستطيع أن يصحبها معه لأن الناس في سيستان ينتظرون أن يتزوج  
بنتا من بيوت إيران العظيمة ، وكانت ثمينة حاملاً ، فأعطاهما رستم  
خرزة زرقاء وقال إذا ولدت أثى فضى الخرزة في شعرها ، وإذا  
ولدت ذكراً فاجعلها في ذراعه يذكر بها أباه ، ثم قبلها ، وودع  
الملك وركب رخشه ، وسار إلى سيستان .

\* \* \*

لم يكدر رستم يصل إلى أبيه « زال » ، حتى طلب هذا منه أن يسرع  
لإنقاذ الملك كيكائوس من الجن في مازندران ، وعجب رستم كيف  
جرؤ كيكائوس على السير إلى مازندران ، ولقد نهاه أكثر من مرة  
عن هذه المخاطرة ، فإن الجن حريهم لا يستهان بها ، وقد يكون فيها  
فناء الدولة إذا فنى في الحرب أبطالها ، قال « زال » : إنك يا بني تعرف  
ما عليه كيكائوس من ضعف الإرادة وخور الرأي ، وإنك لتعرف  
ضعفه وتراخيه في مجالس الغناء ، وقد قيل له : إن مغنياً بالباب يريد



أن يُسمع الملكَ صوته ، فناداه فغناه أغنية عن مازندران وما فيها من  
حدائق كالجنان ، فلم يطق صبراً ، وقام يغزو بلاد الجان ، من غير  
أن يرجع إلىّ أو إلى أحد من مستشاريه . فلما ذهب إلى مازندران  
استعان ملكها بملك الجن « سيددير » فسارع هذا إلى نصرة الملك ،  
فأظلم الدنيا في رجه كيكافوس ثم أوقع الهزيمة بجيشه وأسره وأفقده  
البصر ، وهو اليوم حبيس قلعة الظلمات ، وإن عليك يا بني أن تنقذ  
ملكك بما ألم به من سوء ، وأن تعيده إلى عرشه ، وأن تعاقب  
أعداءه الذين اعتدوا عليه .

فركب رستم الرخش ، وسار يقطع الفيافي والقفار ، ولقي في  
الطريق من الأهرال ما تقشعر له الأبدان ، ولكنه هو ورخشه  
تغلبا على كل صعوبة حتى بلغا قلعة في وسط الصحراء ، فأنبرى  
ملكها أولاد ، لقتال رستم فخاربه هذا وأسره ، وطلب إليه أن يده  
على مازندران وما فيها على أن يعطيه ملكها بعد أن يخلص كيكافوس .  
فقبل أولاد ، ودله على الطريق .

وسار رستم ومعه أولاد حتى بلغا حدائق عظيمة فقال له : هذا  
هو باب مازندران . فتقدم رستم غير هيب وقتل الحراس ثم دخل  
المدينة فإذا به يرى قلعة فوق الجبل ، فقال له أولاد : إنها القلعة التي  
أسر فيها كيكافوس ، فصل الرخش صهلة عالية سمعها ملك إيران  
فأدرك أن « رستم » قد جاء لإيقاظه . واقتحم رستم القلعة ، وقتل



من قابله من حراسها ، ثم دخل فوجد كيكوس مقيداً وقد قد  
بصره ، فعانقه وشكره على النهوض لإنقاذه ، ثم قال : إن نصر جيشنا  
لا يتم إلا بقتل ملك الجن « سيدديو » ، ولكي تبلغه عليك أن تحتاز  
الجبال السبعة ثم تجده وراءها في مغارة عميقة من الصخر ، وقد  
أخبرني الحكماء أن بصرى يرد إلى إن أنا غسلت عيني بدماء كبده ،  
فإذا بلغت المغارة وقتلته فلا تنس أن تشق بطنه وتحمل كبده معك .

وخرج رستم من القلعة ومعه أولاد ليدله على الطريق ، فاجتاز  
الجبال السبعة ، وبلغ باب المغارة فربط أولاد في حجر ، ودخل  
وفي يده سيفه ، فهوى على من قابله من الحراس ، ثم سار حتى بلغ  
ملك الجن نفسه ، فوجده راقداً كالتين العظيم والنار تدهح من عينيه  
فهوى عليه بسيفه فشقه نصفين ، بعد صراع عنيف ، ثم انتزع كبده  
وخرج .

وعاد إلى القلعة فأعطى كيكوس كبد ملك الجن فمسح به عينيه  
فعاد مبصراً .



وجلس كيكوس يفكر مع رستم في إخضاع ما زاندران بعد أن  
قتل رستم من فيها من الجن الذين لن تقوم لهم قائمة بعد موت ملكهم ،  
فأرسل إلى ملكها رسولاً يدعوه إلى الخضوع وتقديم الطاعة ،

فاستغشى ثيابه واستكبر استكباراً ، ورد الرسول متوعداً ملك إيران ،  
مهدداً بحربه في عقر داره ، إذا لم يعدل عن رأيه في إخضاع  
مازندران .

وعاد الرسول فقصر على كيكاموس ما صرح به الملك ، وسمع  
رستم الحديث فغضب وقال : هذا أمر لا تجدى فيه السفارة وحدها ،  
فإني وعدت أولاد بعرش مازندران ، وإني ذاهب لأقتل ملكها  
وأضع أولاد فوق عرشه ، واستأذن الملك وسار .

ولما اقترب رستم من قصر ملك مازندران استقبله رسله على  
الباب ، وكان بينهم فارس لا يشق له غبار ، عرف في مازندران  
بأنه أقوى رجالها وأمر فرسانها ، فشد على يد رستم ، وهو يحياه  
يريد أن يظهر له قوته ، فعصر هذا يده حتى قذفت الأظافر من  
أصابعه ، ثم أدرك رستم أن الية تتجه إلى توهين عزمه ، وتثييط  
همته . فانتزع شجرة عظيمة من جذورها ، وأمسكها بيده ، كأنها  
عصا ، ودخل القصر . وعلم الملك أن فارسه الذي يعتمد عليه قد  
هُصرت يده هصراً وهو يسلم على سفير كيكاموس ، فأدرك أن  
السفير الجديد هو بطل إيران ونفر نبلائها رستم ، فقام وأحسن  
استقباله ، ولكنه لم يذعن لمطالبه ، فبارزه رستم فضربه ضربة  
قاضية ، فانقلب الملك حجراً كأنه قطعة من جبل ، فحمله رستم  
وسار به إلى كيكاموس .

فلما اقترب رستم من مكان ملكه ، أبصره الناس ، وبين يديه ملك مازندران ، وقد سحر نفسه حجراً ، فأخذوا يكبرون ويهللون وينثرون عليه الزهور والجواهر . فلما دخل على كيكوس ألقى الملك المسحور على الأرض وهدده وأوعده ليحطمه إذا لم يرفع عن نفسه السحر ، فظهر الملك على حقيقته ، فجلله رستم بالسيف فشقه نصفين .

ثم كافأ أولاده ، ملك الصحراء بأن ضم إليه ملك مازندران ، وجعله من أتباعه المخلصين .

\*\*\*

عاد كيكوس إلى المدائن فاستقبل فيها أحسن استقبال ، بفضل ما أتبع له من النصر على الشياطين وقتله ملك الجن واستيلائه على مازندران .

وكان كيكوس ضيق الفكر ، سقيم الرأي ، فلم يكدرستم يستريح من غزوه وعراكه مع الجن ، حتى اضطره إلى خوض معركة أشد هولاً من هذا كله ، مع العرب والترك .

\*\*\*

ذلك أن كيكوس ، بقصر نظره ، حسب الفضل في قتل ملك الجن راجعاً إليه . فلم يكدرستم يبلغ المدائن حتى أمر بإعداد الجيش لغزو

هاماوران ، فسار على رأس جماعة وعبر البحر وأوقع الهزيمة بملكها . وكان لهذا الملك ابنة وحيدة ، رائعة الجمال ، فطمع كيكوس في زواجها ، فطلبها من أبيها ، فاعتذر بادی ذی بدء . ذلك أنه أبصر نفسه ، وقد فقد سلطانه ، وأصبح ملكاً تابعاً — وما أشقى الملوك التابعين — ثم أبصر نفسه سيحرم من أعز الناس عليه ، وهي ابنته ، فاعتذر ؛ لكنه لقي من ابنته ميلاً لكيكوس ، فاضطر إلى قبوله زوجاً لها وهو راغم .

\*\*\*

وعاد كيكوس ظافراً ومعه زوجته الجديدة ، فأخذ أبوها يفكر في حيلة ينتقم بها لنفسه ، وتعيد إليه ابنته . فبعث إلى كيكوس يدعوه لزيارة بلاده صديقاً ونسياً ، فقبل كيكوس الدعوة ، رغم ما نصحت به زوجته ابنة ملك هاماوران ، فاستعد للرحلة وأخذ زوجته وسار ملياً .

\*\*\*

أما رستم فإنه بلغ سيستان رافع الرأس ، مشرق الجبين ، فقابله أبوه زال واحتفلت البلاد بعودته ، وهناك أتاه رسول من عند زوجته ثمينه تنبئه أن الله قد رزقه بنتاً ، فحزن رستم لهذا ، فقد كان يريد ولداً يخلفه في بطولته ، ولكنه أرسل الهدايا من الجواهر

وآنية الذهب لزوجه وابنته ؛ والحق أن ثمينة لم تكن صديقة  
فيما انبأت .

وجلس رستم يحدث والده زال بأن ثمينة قد رزقت منه بنتاً ،  
فسر الجد بهذا النبأ ، وأخذ يتحدث مع ولده في هدوء ودعة .

وبجأة دخل رسول مقبل من المدائن ، وأخبر « زال ، أن  
كيكاوس قد ذهب لزيارة ملك هاماوران الذي تزوج ابنته . فاتهرز  
هذا الملك فرصة مجيئه زائراً بغير جيش يحميه ، وأسره في قلعة  
عنده ؛ وأن أفراسياب ملك الترك لم يكذب يسمع أن ملك إيران  
أسير في بلاد العرب ، حتى أسرع فهاجم إيران واكتسح أراضيها ؛  
وجلس على عرشها ؛ وأن البلاد اليوم في أيدي الترك يسومون  
أهلها العذاب ، وأن الأمل في تخليص الملك من يد العرب ، وتحرير  
إيران من جند الترك ، معقود على زال وولده رستم . فقام البطلان  
من سيستان ، وسارا للملاقاة أفراسياب فلقياه وهزماه وطردهاه من  
إيران ، ثم اتجه رستم إلى هاماوران فركب البحر وخلص الملك من  
الأسر ، وأعادته وزوجه إلى المدائن .

وأدرك كيكاوس أن « رستم ، أنقذ حياته المرة تلو المرة ، وأنه  
في سبيل هذا قد اقتحم من المصاعب ، وركب من المخاطر ما لا قبل  
لبشر به ؛ وأنه آخر مرة أنقذ إيران كلها من يد الترك وأوقع  
في قلب ملكهم أفراسياب من الرعب والذعر ما اضطره إلى أن

يولى منه فراراً ، فأعد كيكوس حفلاً عظيماً ونادى النبلاء  
والموابذة ، وخلع الخلع والهدايا على رستم ثم قلده بهلوانية العالم .

## سهراب ورستم

لم تكن بنتاً تلك التى أنجبها ثمينه زوج رستم ، إنما ولدت  
طفلاً باسم الثغر فسمته « سهراب » . وكبر « سهراب » فوجد  
نفسه أشجع أقرانه وأقواهم ، وبدا بين الترك متميزاً عنهم ، فى  
ذكائه ، وإقدامه ، وقدرته فى الصيد ، وجلده فى الصراع ، فأخذ  
يلح على أمه أن تحدثه عن أبيه ، فإنه يرى نفسه من سلالة غير  
سلالات زملائه ، وكانت أمه مترددة أشد التردد فى إجابته ،  
فهى تريد أن تبوح له بسر أبيه لأن فى هذا غمراً أى غمراً لفتاها ،  
وهى فى الوقت نفسه تخاف أن يسافر إلى حيث أبوه إذا عرف  
الحقيقة ؛ وحينئذ تبقى وحيدة ، وهى لا تريد ذلك . وأخيراً  
أخبرته أنه ابن رستم بطل إيران ، وحدثته عن الخرزة الزرقاء  
التي يضعها فوق ذراعه ، إنها رمز من أبيه إليه . وأصر الشاب  
على أن يذهب إلى أبيه ، فإنه أصبح لا يطيق صبراً على فراقه ،  
وهو يريد أن يكون بجانبه فى غزواته وحروبه ، واشتد حب الفتى  
لأبيه إلى حد أنه أزمع السير إلى إيران ليعزل ملكها ويولى أباه  
مكانه ، فإنه هو الذى يحمى عرش إيران ، وهو أولى بأن يجلس



على عرشها . . . وعشنا حاولت الأم أن تثنيه عن عزمه ، فبكت  
وتوسلت ؛ إنه هو الذى بقى لها ، وإنها وقد حرمت من زوجها  
فقد وجدت فى ولدها العزاء ، ثم هى وجفة أن يقتله أفراسياب  
إذا عرف أن ابناً لرستم يعيش فى بلاده ؛ ولكن الشاب لم تضعفه  
دموع أمه ، ولم يثبطه توسلها ، وكاشفها بأنه ذاهب إلى ملاقاته  
ملك إيران لينفضه عن عرشه ويرفع أباه رستم عليه .

وجاء الرسل لأفراسياب فحدثوه بالامر ، وكان يعلم ما عليه  
سهراب من قوة وذكاء ، ويرى أنه بطل الترك الذى لا يبارى ،  
فلما علم أنه ابن رستم وأنه ذاهب لقتال ملك إيران ، قال إذا  
فلنحط فى هواه ، ولنمده بمجنود من عندنا ، فإن رستم ذاهب لقتاله  
ما فى ذلك شك ، والوالد لم ير ابنه من قبل ، وكذلك الولد  
لا يعرف أباه ؛ وجاء « هومان » مستشار ملك الترك ، فصاحب  
« سهراب » فى رحلته ، لأنه يعلم المسالك والمفاوز إلى إيران ،  
ولأنه يمثل « أفراسياب » فى حاشية « سهراب » . وكان « هومان »  
حكيماً من حكمائهم المشهورين ، وكان « سهراب » يسمع عنه ،  
ويعجب بسيرته ، وغزارة علمه ، وغالى نصحه ، فأولاه ثقته ،  
واتخذته مشيراً له يسأله كلما احتاج إلى رأى .



وهكذا سار الجيش يتقدمه « سهراب » و « هومان » ، لملاقاة جيش ملك إيران .

\*\*\*

وفي الطريق وجد « سهراب » قلعة فاجتاحها وقتل ملكها ، وطلعت ابنة الملك في زى الرجال ، فبارزته وكاد يقتلها فكشفت القناع عن رأسها فتدلى شعرها ، فأزل « سهراب » يده ، فإن الأبطال لا يقتلون النساء . وبلغ الخبر كيكائوس فأضج مضجعه ، وخشى مغبة هذا المهجوم ، فإن الناس يتحدثون عن بطل جديد في بلاد الترك ، لو صاحب « أفراسياب » اكتب له النصر ، فبعث إلى رستم يطلب منه الحماية ويستعجله القيام فإن الخطب جلل . وجاء الرسول إلى رستم فدعاه هذا إلى الشراب ، وتناقل في النهرض إلى الحرب ، فإنه لم يكن يعبا بالترك ، وهو يعلم أنه يغلبهم حيثما يدركهم ، وأن « كيكائوس » جبان رعديد ، يخيل إليه ضعفه وخوره أن الترك على أبواب داره وليس إلى دفعهم من سبيل .

وبعد أيام قام « رستم » ومعَه الجنود ، وحث المسير لملاقاة « سهراب » ، وفي وسط الصحراء تلاقي البطلان : أما « سهراب » فقد تقدم وفي نفسه أن يعرف حقيقة خصمه ، فإنه شعر بقلبه يخفق حين رآه ، وما خفق قلبه من قبل وهو يلاقي الأهرال ويواجه

الجبارة ، وأحس السيف يرتعد في يده ؛ إنه يريد أن يلقي السلاح وأن يجلس جانباً مع هذا الخصم ليتحدث معه ؛ هو يحب هذا الخصم ولا يريد أن يلقاه كما يلقي العدو عدوه ، إنما يريد أن يلقاه كما يلقي المحب حبيبه ، أياكون هذا الخصم «رستم» ، أهو أبوه الذي يحمل خرزته فوق ذراعه ؟ .

أما «رستم» فيتقدم حاتقاً ، حاتقاً على هؤلاء الترك ، يغرم أن يجدوا قتي شجاعاً في بلادهم فيخيل إليهم أنهم قادرون على غزو إيران ، حاتقاً لأنه لم يكذب استريح من حملتهم الفاشلة التي طردهم فيها وألحق الهزيمة بملكهم أفراسياب ؛ وإذا فليقدم على هذا البطل الجديد ، وليعلمهم أن في إيران ملكاً له بطل يحميه .

وأقبل البطلان ، وفي أيديهما سيفان :

ورفع «رستم» سيفه يريد أن يقضى به على عدوه ، فقال «سهراب» القوي الجبار في رفق واحترام : تمهل يا صاحبي أتكون أنت رستم ؟

«كلا يا قتي ، لست أنا رستم ولكني عبده .

ولم يرد رستم أن ييوح باسمه لسهراب لأنه يظن أن هؤلاء الفتيان الترك لهم من الصلف والغرور والخبث والاستكانة وقت الحرج ما يحملهم على تملق الأبطال لينصرفوا عنهم بغير قتال ، ليكسبوا شرف الوقوف معهم للمبارزة وليغنموا السلامة بالعدول

عن القتال ، ومن يدري فغداً يذهب هذا الغلام لأفراسياب فيحدثه بأنه لقي رستم بطل إيران ، بعد أن قتل من بارز من القواد ، فلم يقدر أحدهما على خصمه ، فتصالحا وشربا معاً وانصرفا صديقين ! وإذا فلينكر أنه رستم ، وليخيل لسهراب أنه عبد له ، وليبدأ القتال ليقتضى على هذا الشاب الذي يراه وقد غلب حياؤه على جرأته ، ورفقه على إقدامه .

وتنبه سهراب فإذا خصمه عنيد جبار ، إنه ليس برستم ، فليقدم إذا على صراع لاهوادة فيه ولا رفق ، فإنه لا يقاتل أباه ، وهو قد عرف بنفسه بما يكفي لإزالة كل لبس ، ولو كان خصمه رستم لأدرك الحقيقة ، ولجاش في نفسه من العوامل ما يضطرب له صدر سهراب .

وبدأ السيفان عملهما بلا جدوى ، حتى تكسرا اتصالان .

وعاد الوسواس إلى نفس سهراب ، إنه خصم جبار ، إنه لا يتصور هذه القوة ، والجرأة ، والمهارة في إمساك السيف ، عند غير بطل إيران رستم ، فهو إذا يعيد السؤال ؟ ألسنت أنت رستم ؟ فإذا بنخصمه العنيد يحجبه :

إلى عمودك يا فتى الترك ، وما ضرك أن تجهل من أنا ؟ إلى عمودك فإن الوقت أضيق من أن تتحدث ، وأسرع رستم فأمسك عموده ، كما أسرع سهراب إلى عموده ، والتحم الرجلان ، كل يهوى

على صاحبه ، كأمدن امتلا قسوة وعناداً وشرأ ، وتحطم العمودان وتمزقت الدروع ، وقل الحديد ، ولمّا تدرك الرحمة قلوباً قدت من الصخور .

وجلس الخصمان ، ينظر كل منهما إلى صاحبه ، وسهراب يريد أن يتكلم ، ولكن ما جدوى الكلام بعد الذى قال ! ورسم يعجب لهذا الفتى من أين له هذه القوة ؟ ثم ما هذه العظمة التى تبدو عليه فى القتال ؟ ولقد حارب أقوى الإنس وأخبت الجن ، ولكنه لم يصارع مثل سهراب ، كأنه من نسل سام ؛ كأنه واحد من أسرتنا .

ولا يكاد هذا الخاطر يمر بذهنه حتى يتبدد ، من أين يكون وليس لى ولد ؟ ! حدثنى ثمينه أنها وضعت أنثى ، فبعثت إليها بالجواهر وآنية الذهب ، ولو ولدت ذكراً لكان بطلا يجرى على أثر أبيه جريان رسم على أثر زال ؛ وزال على أثر سام ؟

ومضت ساعة استراح فيها البطلان ؛ فقاما وتلاحما ، وأمسك كل منهما بتلابيب صاحبه ، ها هو رسم يمسك معقد منطقة سهراب ويجذبه منها ، وسهراب كالطرد لا يتحرك . وها هو سهراب يحاول أن يوقع رسم أرضاً ، ونفسه لا تطاوعه . وتعب الخصمان وتراجع سهراب إلى الوراء قليلاً يكاد يتميز من الغيظ : ألا ترحم شيخوختك أيها الشيخ ؟ ألا تخاف فتوق وشبابى ؟

ويقدم «رستم» كالأسد المنهك : تقدم أيها الشاب ، تقدم فإني صارحك صرعة يتحدث بها الناس في إيران وتوران ، ويتقدم «سهراب» غاضباً كالليث المصور فيرفع «رستم» بذراعيه ثم يلقيه على الأرض .. ولا يقتله ؛ إنه يغلبه ولكنه لا يقضى عليه .. إن يده لا تطاوعه على إخراج مديته يحز بها رقبة خصمه ؛ كلا ، كفى إنه غلبه .. ويقيق «رستم» فيطلب الهدنة من القتي الثائر الغالب ، فينظر «سهراب» إلى خصمه الجاثم على الأرض ويقول :

ابق مكانك ، فإن حسابي ليس معك ، إنما حسابي عند كيكائوس إنى ذاهب إليه ، أقتلع خيامه وأقتل جنده .. وانصرف «سهراب» إلى معسكر «كيكائوس» وأفاق «رستم» فأراد أن يذهب إلى معسكر «أفراسياب» ولكنه خشى على «كيكائوس» أن يقتله «سهراب» أو يأسره ، إنه بطل إيران وحامي ملكها فليسرع إذاً لإيقاظ الملك . وجرى فلحق «سهراب» ، وكان الليل قد أقبل بظلامه ، وهدوئه فطلب المهلة من «سهراب» ..

أى مهلة يطلب الشيخ البطل ، ألم ير إلى وقد اقتلعت من على الأرض اقتلاعاً وألقيته مجنحاً على الأرض . ألم ير أنه كاد يلقي حتفه من شدة ما ارتطم بالصخرة جسده ، ولكن أليس من الخير أن أهادته وأمهله إلى الغد ، إنى أريد أن ألقى «هومان» فأسأله إذا كان هذا الخصم هو «رستم» والذي ؟ إن يدي لا تطاوعاني على قتله مهما بدا من قسوته وجفائه .

ونظر «سهراب» إلى «رستم» وقال : إذن إلى صباح الغد  
كما تريد ، وانصرفا .



الأتري يا «هومان» أن هذا البطل أقرب ما يكون إلى «رستم» ،  
ولقد والله ألححت في سؤاله فألح في النفي ، إنه يقول إنه عبد من  
عبيد «رستم» . ولكني لا أرى هذه القوة لغير «رستم» ؟ رأيت  
«رستم» يا «هومان» ؟ نعم يا «سهراب» ، رأيت «رستم» وأعرفه  
جيداً ، والحق إن هذا الرجل يشبه «رستم» كثيراً ولكنه ليس  
هو . ولملت عينا «هومان» الخبيث الأثيم بالشر ، إنه يهيء القتل  
«لرستم» ، فإنه مقتول لا محالة ، إن قتله «سهراب» فقد قضى  
الامر ، وإن قتل هو «سهراب» فقد قتل ولده وقضى الامر أيضاً .  
فهو إذن يؤكد أن «رستم» رجل آخر ، وهكذا اطمأن «سهراب»  
وإذن فليذهب «سهراب» إلى فراشه ، ولينم هادئاً ، فإنه  
لا يقاتل «رستم» ، إنما هو يقاتل عبداً له . ومع ذلك فقد ذهب  
«سهراب» إلى فراشه ولكنه لم يستطع أن ينام ، إنه شارد اللب ،  
إن شيئاً خفياً يقلقه ويذهب عنه النوم ، وعبثاً يحاول أن يقنع  
نفسه بأن ينام ليصبح مستعداً لما هو مقبل عليه ، إنه يفكر في محادثة  
خصمه ، وهو غير مرتاح لقول هومان .



أمارستم فقد ذهب ونام مستريحاً استعداداً للغد ، إنه شيخ مجرب ،  
وهو يدرك أن الراحة لازمة لنصّب العراك ، وجلد الصراع ،  
يحدث نفسه : « ولكن ما بال هذا الفتى التركي يتقرب منى كلما تمكن  
من ذلك ؟ إنه لم يقتلني وكان يقدر على ذلك ، إنه يتلطف معى فى قتاله ،  
إن شيئاً يمنع هذا الفتى من الفتك بى ، ولكن ماذا عسى أن يكون  
هذا الشيء ؟ إنه نقص فى تجربة الفتى ، إنه شاب فى مستقبل العمر  
أوتى من القوة ما لم أر لشاب مثله ، ولكنه لم يجرب الحياة بعد أو  
لعله يرهبنى . » وذهب فنام وقام مستريحاً مستعداً .

\* \* \*

وجاء الصباح والتقى رستم وسهراب . إن سهراب لا يرفع يده  
بالضرب ، ولا يقبل على صاحبه للصراع ، إنما هو مقبل عليه باسم  
الثغر راضى النفس ، محياً تحية الصباح ، سائلاً عما كان عليه نوم  
المساء ! ورستم يعجب لهذا الذى جاء للقتال فنى نفسه ، فهو ينهر  
صاحبه ويقابل رفته بخشونة ، وإقباله بصدود ، وتحيته بجفاء !  
إلى القتال !

واشتبك الرجلان ، وعاد سهراب إلى غيظه ، وخيل إليه أنه  
يتملق الشيخ ، « ومن يدري ، لعل الشيخ يحسبني أخاف منه أو أنى  
عن غلبه عاجز ، ألا فلارينه بأسى وإقدامى ، ولاضربنه ضربة  
يدرك منها أنى ابن رستم . » وهجم سهراب فألقى خصمه على الأرض



واستل سيفه يريد أن يقطع رأسه . ولكن رستم حدثه بأنه ليس من عادة الأبطال أن يقتلوا المغلوب أول مرة ، إنما يحق له ذلك إذا أوقعه مرة ثانية ، وطلب إليه أن يمهل للغد ، وسهراب موافق على هذا الرأي ، مسارع إلى إجابته ، إنه واثق بقوته ، موثق أنه قادر على غلبه ، ولكنه لا يريد أن يقتله أبداً .. فليمهل يوماً آخر .

\*\*\*

« يا هومان إن قلبي لا يطاوعني على قتل هذا الشيخ ، إني أقوى منه لأنني شاب وهو شيخ كبير ، إني أخاف أن يمسه من الضر ، فأنا أرفق به ، وأحسن معاملته ، يا هومان إن قلبي يحدثني أنني أقاتل أبي ، ولو والله تأكدت أنه ليس أبي لصرخته بضربة واحدة . إنه يا هومان وقع أمامي اليوم ولكنه حدثني أن ليس من شيم الأبطال أن يقتلوا من وقع منهم لأول مرة ، وطلب أن أمهله إلى غد فأمهلته ، وأبرقت عينا هومان ، الشيخ الشرير القاسي ، « أتركته اليوم يا سهراب ؟ إنك كمن أوقع الأسد في كين فلم يقض عليه ، يعود الأسد فيفتريسه . إنه سخر منك يا سهراب ، وإني أخاف أن يغدر بك غداً ، فاحترس منه ، ولا تتوان في القضاء عليه ، ودع عن نفسك الوسوس ، فإنه ليس برستم ، ألم أحدثك أنني أعرف رستم خير المعرفة ، إنه ليس برستم . »

\*\*\*

وفي اليوم الثالث التقى البطلان ، وأقبل سهراب يلاطف رستم فلم يأبه هذا له ، بل هجم عليه كالأسد الجائع فألقاه على الأرض ، ثم استل سيفه فهوى به عليه ، وصاح صيحته ساعات النصر . رستم ! « رستم ! من رستم ؟ أبي ، إنه قاتلك ، إنه سيقطعك إربا انتقاما لقتل ولده سهراب ! » ورفع رستم السلاح ونظر إلى سهراب ، يكاد ينفطر قلبه ، « لم يكن لرستم ولد ياقى » ، « كلا بل إن له ولداً هو سهراب الذى قتله » ،

وعاد رستم بذاكرته إلى تلك الأيام الحلوة التى قضها مع ثمينة وتخيّل ابنه منها وقد شب وبلغ عمر سهراب ، ولكن ثمينة أخبرته أنها رزقت أثى .

وكادت نفسه تطير شعاعا ، وقال أفصح ياسهراب إني أنا رستم ! فكشف سهراب عن ذراعه ، فرأى رستم الخرزة التى أعطها لثمينة . . فأدرك الحقيقة التى حاول أن يفهمها له سهراب ، فلم يلق إليه بالا . ولم يستطع رستم أن يضبط نفسه ، فهوى بجانب ولده واحتضنه وعلت بالأنين زفراته ، كالأسد الجريح . . وصهل الرخش صهيله فى الملمات ، وأسرع فجئا بجوار سيده والدمع يتساقط من عينيه الحزيبتين .

وجاء العظماء من معسكر كيكافوس ، فرأوا بطلهم وقد شق

قبضه وارتمى بجانب ولده يكيه ، وشاهدوا سهراب والدمع  
يتفرق في عينيه ، والدماء من جرحه تسيل ، وذهبوا ليحضروا  
دواء عسى أن ينفع الدواء ! وأفاق رستم فرأى ابنه مضرجا في  
دمائه ، ورأى السيف الذى قتل به ولده ، فأمسكه وأراد أن يقتل  
نفسه ، فمد سهراب يده في عطف ورفق ومنعه .

« فيم الجزع يا أبتاه ، لقد أجريت البطولة في دمي ، فشيت  
أشجع شبان بلدى وأقواهم ، وطالما بذلت حياتى رخيصة في سبيل  
بلادى ، ومنذ ثلاثة أيام وأنت تنعم بى ، وتمتع ناظرك برؤياى ،  
ولقد لمست ما وهبتنى من قوة وجلد ، فلتعش يا أبت قرير العين ،  
راضى النفس ، ولتسم بأذك كان لك ولد ، لقيت فيه نفحة من  
بطولتك ، وصورة من قوتك ، حتى إذا مات ، مات على يدك  
ميتة الأبطال ؛ يا أبت ارفع أسمى ولا تدعها وحيدة يقتلها الحزن ،  
وادع إلى الصلح بين قومك وقومها ، فلا هؤلاء بملاقين مثل سهراب  
من بعدى ، ولا أولئك مثل رستم من بعدك ؛ فليرض كل منهما  
بأرضه ، وليعش فيها سعيداً .

أما هومان فليجزه الله بسوء صنعه . »

ثم نظر سهراب إلى رستم نظرة الوداع ، وفاضت روحه  
إلى بارئها .



## ٦١ الملك والشجرة

أودع شاب شيخاً كبيراً مائة تومان ( عملة فارسية ) ولما طلب أمانته من الشيخ أنكرها وقال إنك لم تودعني شيئاً ، فذهب الشاب ورفع قضيته للملك ، فطلب الملك الشيخ وسأله لماذا لم يرد لهذا الشاب أمانته . فقال الشيخ إني لم آخذ منه شيئاً .

قال الملك للشاب : ألم يرك أحد وأنت تسلمه النقود ليشهد بذلك؟ فقال الشاب : كلا يا مولاي ليس لدى شاهد على ما أقول . فسأل الملك الشيخ أن يحلف بأنه لم يأخذ مال الشاب ، ولكن الشاب لفت نظر الملك إلى أن مثل هذا الشيخ الخائن يحلف حائثاً ولا يبالى .

فسأل الملك الشاب : عندما أسلمته مالك أين كنت تجلس ؟ قال الشاب : كنت أجلس تحت شجرة في الصحراء ، فقال الملك : إذن كيف تقول أن ليس لديك شاهد ، إذهب إلى الشجرة ومرها أن تحضر فوراً عندي . فقال الشاب متعجباً : إني أخاف ألا تطيع الشجرة أمر مولاي ، فقال له الملك : إذاً خذ هذا الخاتم وأرها إياه ، لتأتي معك .

فتبسم الشيخ الماكر وظل صامتاً ، وأما الشاب فقد ذهب ينادى  
الشجرة ؟

وبعد مدة سأل الملك الشيخ قائلاً : ترى هل بلغ هذا الأحمق  
الشجرة ؟

فقال الشيخ : كلا يا مولاي إنه لم يصل إليها بعد .

وبعد ذلك حضر الشاب فأخبر الملك أنه أرى الشجرة خاتمه  
فلم تحرك ساكناً ، فضحك الملك وقال له . ولسكنها شهدت يا بني .  
ثم أمر الشيخ برد المبلغ وعاقبه .

( جامع الحكايات )



جلس أحد الملوك في مجلس سمره ، يشرب مع حاشيته ويلهو ،  
فصاح قائلاً : ما أطيب وقتنا هذا ، فإننا لا نفكر في خير أو شر  
أو إنسان .

وكان تحت النافذة درويش ينام في البرد عارياً فسمع قول الملك  
فقال : يا ملىكننا إذا صفا لك الجوفانه يصفو لنا .

فسر الملك بهذا الكلام وأطل على الدرويش وقال له : أعد  
ذيل قميصك فإنى ملق إليك صرة بها ألف دينار .

فقال الدرويش : ليس على قميص يا مولاي .

فبعث إليه الملك بخلعة ومعها الألف دينار .

فأتلف الدرويش المال فى بضعة أيام . فإن المال لا يبقى فى يد  
الأحرار ، هو كالصبر فى قلب العاشق ، أو كالماء فى الغربال .

\* \* \*

وأبلغ بعض رجال الحاشية الملك بما كان من أمر الدرويش المتلاف ،  
ولم يكن الملك منشرح الصدر فى هذا الوقت ، فغضب غضباً شديداً

وأمر بطرد الدرويش ، قائلاً : إن هذا الدرويش لا يعرف أن  
خزانة بيت المال لقمة المساكين وليست طعمة إخوان الشياطين .  
إن الأبله الذى يشعل الشمع الكافورى والنهار مضى ، لا يجد  
زيتاً يضئ مصباحه فى الليل البهيم .

فقال الوزير الطيب :

إن الخير أن نقسط لهؤلاء الفقراء فى المنح ، فنجعلها قليلة  
ودائمة ، حتى لا يسرفوا فى إنفاقها ، أما أن نفتح لهم صدورنا فنوسع  
عليهم الرزق ، ثم نضيق بهم ذرعاً فتملاً قلوبهم باليأس ، فليس من  
الخير فى شيء .

إن عطشى الحجاز لا يلتفون حول عين ماء مالح ، وحيثما وجد  
الماء العذب يجتمع حوله الناس والطير والنمل .

( كلستان )





رأيت فى سومنات ( فى بلاد الهند ) صنما من العاج ، مرصعاً بالجواهر ، كمنات فى الجاهلية . وقد أحسن المثال صورته ، مخرجاً أحسن ما يستطيع إخراجه . ورأيت القوافل أقبلت من كل حذب وصوب ليرى رجالها هذا التمثال الذى لا روح فيه . لقد طمع فى رضا هذه الصورة ملوك الصين وچكل ، كما طمع سعدى فى رضا حبيبه الذى قد من الصخر قلبه . واتجه القوم من كل مكان يتضرعون إلى التمثال الأصم الأبكم ؛ ووقفت حائراً فى كشف ما أرى . كيف يعبد الإنسان الجماد ؟ .

وكان لى صديق مجوسى ، نساكن سورياً فى غرفة واحدة ، وتربطنا صداقة وثيقة ، فقلت له :

يا برهمى إنى من أمر هذا البيت لى عجب عجاب . إنى أرى الناس قد فتنهم هذا الصنم ، فتيدهم فى بثر الضلالة . إنه لا قوة فى يديه ، إنه لا تقوى على الحركة رجلاه ، وإنك لو ألقيته أرضاً لما استطاع من العثرة نهوضاً .

ولم أكد أفرغ من حديثى مع المجوسى حتى ضاق صدره ،

واستشاط مني غيظاً ، ثم ذهب إلى المجوس وشيوخ بيت النار  
فحدثهم بما كان مني ؛ فأدركت أن موقفي منهم أصبح عسيراً ، وتيقنت  
أنى لن ألقى منهم خيراً .

وتهافت على المجوس قراء الپازند ( تفسير الاقوستا كتابهم  
المقدس ) كما يتهافت الكلاب على العظم . إن الطريق المضل عندهم  
هو الطريق السوى ، والطريق السوى هو المضل . والرجل مهما  
يكن عليه وفضله جاهل عند أهل الجهل .

ونظرت فإذا القوم يحدجونى بأنظارهم وقد ضاقوا بي ذرعاً ،  
فكنت كالغريق لا يجد له فى لجة البحر النائر خلاصاً . وإذا رأيت  
جاهلاً قد غضب ، فإن السلامة فى اللين والتسليم . فرفعت صوتى  
مثناً على كبير البراهمة قائلاً : يا شيخ التفسير وأستاذ الزند ، إني  
أضاً يطيب لى حسن هذا الصنم إنه جميل الشكل ، تجذب قامته  
القلوب . لقد أعجبنى منظره ولكنى لا أعرف معناه . لقد جئت  
هذا المعبد زائراً منذ أيام ، وإنه لمن العسير على الغريب أن يفرق  
بين الحسن والقبيح . ولذا فإنى أتمس منك أن تدلنى على الحق فيما  
أرى ، فإنك كبير هذا المعبد ، وأنت تعلم أن العبادة لا تتأنى بالتقليد ،  
وإنه سعيد من يطلع على الحقيقة ويعمل بها . ألا حدثنى عن حقيقته  
حتى أعبده عن معرفة وإيمان . فأضأ وجه البرهمى من السرور  
وقال لسعدى :

يا صديقي إن سؤالك صواب وصنعك جميل ، وإن من جد  
وجد ، ومن سار على الدرب وصل . وقد رأيتُ مثلك أصناماً  
في أسفاري ولكني لم أحط بسرّها خبراً . إنك ستجد هذا الصنم  
يرفع يديه إلى الله في الصباح ، فإذا شئت فابق هنا الليلة ، حتى تراه  
يتجه يديه إلى الله .

\*\*\*

وبات سعدى في بيت النار تلك الليلة ، مؤتمراً بأمر الشيخ ،  
مثله كمثل يزن حفيد رستم بطل إيران ، الذي أحبته بنت أفراسياب  
فحملته قهراً إلى بيتها فلما رآه أبوها سجنه في بئر بعيدة الغور :  
كذلك كان سعدى في بيت النار .

وطال ليل سعدى كأنه يوم من أيام القيامة ، ورأى المجوس  
من حوله يصلون بلا وضوء . إنهم لا يستخدمون الماء ، وتقوح  
رائحتهم النتنة ، كما تقوح رائحة الجيف في الشمس . لعله ارتكب  
أمراً إمرأ ، لقد لقي جزاءه عذاباً أنهما تلك الليلة . وقضى ليله في  
هذا الشقاء ، واضعاً يداً على قلبه ، رافعاً الأخرى يدعو ربه ؛ حتى  
انقشع الليل بظلماته ، وتنفس الصبح بضياؤه ، كأن خطيب الليل  
ذا الرداء الأسود قد امتشق حسام النهار بلا حرب ؛ وصاح الديك  
منادياً البراهمة في الفضاء .

وأضاء النهار ، وأقبل البراهمة الفاسدون الذين لم يغسلوا

وجوهم ، أقبلوا من كل باب وواد وشارع ، حتى لتظن أن التتار  
قد أقبلوا من زنجبار . لم يبق رجل في المدينة لم يحضر إلى بيت النار ،  
وازدحم بهم الفناء حتى لم يكن مكان لإبرة بينهم .

وكان سعدى منهوكا ، مثقل الجفون ، فإذا به يرى التمثال ، فجأة  
وقد رفع للسماء يديه . وهنا ارتفعت أصوات البراهمة ، دفعة  
واحدة ، حتى لتظن أنك تسمع بحراً صاخباً متلاطم الأمواج .  
ثم أخذ الواقفون في الانصراف رويداً رويداً ، حتى إذا خلا  
المعبد منهم نظر إلى شيخه مبتسماً وقال : ما أشك أن الحقيقة  
تكشفت إليك ، وأن الباطل قد زهق . فلما رأى سعدى أن الرجل  
قد استولى عليه الجمل ، لم يستطع أن يعارض أو يقول الحق ، بل  
لجأ إلى التقية ، فأخفى الحق عن أهل الباطل .

وإذا رأيت نفسك ضعيفاً غاية الضعف أمام القوى الجبار فليس  
من الخير أن تظهر الرجولة فتكسر أصابعك .

رأى سعدى أن الخير في أن يوافق ، فبكى معتذراً عما قال ،  
نادماً تائباً . فرق له قلب الشيخ ومال إليه ، ولا عجب فإن السيل  
يحرك الصخر . ولما رأى الناس أن شيخهم قد رضى على سعدى ،  
أقبلوا عليه وسعروا إلى خدمته ، وأمسكوا بذراعيه إجلالا  
وتبجيلا . وتقدم سعدى من التمثال العاج الذي ركب فوق كرسي  
من الذهب على تحت من الساج ، تقدم إلى هذا التمثال وطلب

الشفاعة وقدم الاعتذار ، ثم قبل يد الصنم ، لعنة الله عليه وعلى عبدة الأصنام . وصار سعدى كافراً عدة أيام ، تقليداً للبراهمة ، كما أصبح من البراهمة يتلو الزند ومقالاته مثلهم ، حتى أصبح نادماً على ما صار إليه من حظوة في بيت النار .

\*\*\*

وأبصر سعدى فإذا تحت مقعد شيخ البراهمة ستار مكلل بالذهب ، وخلفه جبل متصل بيد الصنم ، فأدرك على الفور سر تحريك يدي التمثال ، فإن الشيخ يحركه ، في يسر ، كأنه داود يصير الحديد شمعاً في يديه . وهكذا كان الصنم يرفع يديه للمساء حين يجذب البرهمي الحبل .

وعرف الشيخ أن سعدى قد كشفت السر ، فحجل ، ومن الخطيئة أن يذاع هذا السر ، فخرى من أمام سعدى فلقق هذا به ، وأمسك بتلايبه وألقاه في بئر في الطريق :

فإني أعرف أنه إذا عاش يهدر دمي حتى لا أبوح بالسر الذي رأيت ، ومن الخير ألا تتوانى عن القضاء على خصمك إذا سنحت لك الفرصة ، فإنه لن يرجو غير هلاكك ما عاش .

قال سعدى :

وأخذت أرحم الكافر بالحجارة حتى هشمته تهشياً ، ثم هربت

من هذا البلد . فإن عليك تهرب من أن رائحة قصب السكر إذا  
أشعلت في مزرعته النار . وإذا قتلت ابن الأفعى التى تعض الناس  
فلا تبقى فى البيت الذى قتلته فيه ، وإذا حطمت عش النحل فلا تنتظر  
أمامه فإن الخطر لا يلبث أن يحدق بك . ليس فى أوراق سعدى غير  
هذه النصيحة : لا تقف بجوار جدار هدمت أساسه .

وانتقلت بعد ذلك من الهند إلى اليمن ثم إلى الحجاز ، ومن شدة  
ما لقيت من الهول فى بيت النار لم يحل مذاقى حتى اليوم .

( بتان )



## ٦٤ وزير

ذهب جماعة إلى وزير السلطان محمود ، حسن الميمندى ،  
وسألوه ماذا قال السلطان فى قضية تغنيهم .

فقال الميمندى : إن السلطان لا يخفى عنكم شيئاً .

قالوا : ولكنك وزير المملكة ، والسلطان يسر إليك برأيه  
حين لا يريد أن ييوح به لنا .

قال الوزير : وما دام الأمر كذلك ، فعم تسألون وأتم تدركون  
أنى لا أفضى له سرأ .

( كلستان )





## ٦٥ الملك صالح

خرج الملك صالح ، من ملوك الشام ، مبكراً من قصره ليتفقد شئون رعاياه ، وقد سار في الشوارع والأسواق ملثم الوجه ، كعادة ملوك العرب ، حتى لا يعرفه الناس ولا يخفى عليه من أحوالهم شيء . وقد كان هذا الملك صادق النظر ، محباً للدراويش ؛ ومن توفرت له هاتان الصفتان فهو الملك الصالح حقا .

وساق حب الاستطلاع الملك إلى الدخول في المسجد ، حيث بيت الدراويش ، فوجد به درويشين راقدين ، كلاهما حزين القلب كسيف البال ، كانا راقدين ولكن النوم لم يزر جفونهما ، وأنى لها الكرى وهما عريانان والجو برد زمهري ، كانا راقدين يرقبان طلوع الشمس ، كأنهما الحرباء تنتظر الدفء والنور .

فدنا الملك منهما فسمع أحدهما يقول لصاحبه :

سيكون علينا ملك يوم القيامة ، ولو أتيج لملوك الدنيا هؤلاء الذين يعيشون منغمسين في اللهو ، دائبين على اللذات ، أن يدخلوا الجنة مع أمثالنا من العاجزين ، فإني لن أرفع رأسي على حجر قبري . إن الجنة مأوانا ، نحن الذين نعيش وأغلال الهموم في أرجلنا . ماذا

أفدنا من هؤلاء الملوك حتى يضايقونا بوجودهم معنا في الآخرة ،  
ولو وجدت ملكنا « صالح » ، يدنو من جدار الجنة فإني سأحطم رأسه .

\*\*\*

فلما سمع الملك صالح كلام الدرويش أدرك أن الخير في الأبقى  
بجوارهما وتركهما وخرج من المسجد . ومضت برهة وتجلى الصبح ،  
وبدأ الناس يومهم . فأرسل الملك رجلين من قصره ليحضرا  
الدرويشين من بيت الله . ودخل الدرويشان القصر ، فأمر الملك  
ياكرام وفادتهما ، وتهيئة الوسائل لهما ، حتى يمثلا في مجلسه . وأدخلا  
على الملك وقد استوى على العرش ، فحياهما وأجلسهما قريين منه .  
وتغير حال الفقيرين الحائقين ، وأصبحا يرفلان في قشيب الحلل ،  
وزالت عنهما آثار الفقر ، وبدت عليهما مظاهر النعمة ، وقد اتخذا  
مجلسهما مع رجال الملك ، في القصر المنيف ، بعد أن كانا في خشية  
من البرد والمطر والسيل ، وبعد أن كانا عاريين ، يرتعدان من البرد ،  
لبسا أثوابا معطرة برائحة العود .

فقال أحدهما هامساً في أذن الملك : أيها الملك الذي وضع خلق  
حكمته في أذن الزمان ، إنك ترفع من تعجب بهم من رعاياك إلى  
أسمى المراتب ، فأى شيء رأيت فينا فأعجبت به فرفعتنا إلى هذا  
المقام ؟

\*\*\*

فتفتحت أسارير الملك ، كما تفتق عن أكامها الأزهار ، وضحك  
في وجه الدراويش وقال :

لست أنا الملك الذى يشيح بوجهه عن المساكين عتواً وغروراً  
فانزع عن نفسك ما تملكها من غل علىّ فلا تؤذنى يوم القيامة عندما  
تقف أمام ربك ذى الجلال ، إني قد فتحت باب الصلح لك اليوم ،  
فلا تغلقن بابك فى وجهى غداً .

\* \* \*

هذا هو الطريق السوى لمن يبغي السعادة من الملوك ، أن يأخذ  
يد الدراويش . إن الملك لا يمكن أن يجنى ثمرة من شجرة « طوبى » (١)  
ما لم يكن قد زرع بيديه ما يريد أن يحصل عليه من ثمار .  
إذا لم تكن لك على الخير إرادة فلا تبحثن عن السعادة ، فإنك  
« بصولجان العبادة تستطيع أن تحمل كرة السعادة »  
متى تضىء كالمصباح ؟ فإنك من الأنانية أصبحت كالقنديل مع الماء  
إن الرجل الذى يشع بنوره على الجماعة يظل نوره مضيئاً فى  
صدره كالشمعة .

( بستان )

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة : الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن  
مآب . ( ١٣ - ٢٠ )

## ٦٦ رقيق في السّوق

كاد قلبي يتفطر يوم مررت بالسوق فسمعت عبداً يقول لسيده  
وهو يبيعه :

واحسرتاه ، إنك واجد عبداً خيراً مني ، ولكنني لن أجد  
مثلك سيّداً .

( بستان )



كان ملاكم قوى البنية ، شديد ضربات ، ولكنه مع قوته كان عاثر الحظ ، ضيق الرزق ، لا يكاد يجد قوت يومه ، فهو في الصباح يبحث عن كسرة تسد رمقه ، وفي المساء يبيت على الطوى .

وكان نهماً ، ولم يكن يستطيع أن يقهر معدته على القناعة بالقليل ، فأخذ يحمل الأثقال فوق ظهره ، ليحصل على قوته ، بعد أن يثس من الحصول عليه بقوة ذراعيه . وعلاه الهم ، وضائق في وجهه الدنيا ، قلبه حزين وجسمه مضنى ، كان يقضى وقته يفكر في سوء حاله ، فحيناً يستسلم إلى الهم والغم من الدنيا وقد أناخت بكلكها عليه ، وأحياناً يضيق صدره حين يرى الناس في خفض من العيش وهو محروم ، فيحس الماء مرأً في حلقه ، وأحياناً أخرى يبكى مما يلقى من المشقة والجهد في حياته متسائلاً : أفي الدنيا من يشقى شقائى ! إني أرى أناساً يشربون شراباً سلسيلاً ، ويطعمون من الطعام أشباه ؛ بينما لا يرى رغيف أرخص أنواع الخضروات .

وإذا كنت منصفاً ، فليس من الإنصاف أن أكون عارياً ، وعلى القطة كساء من الجلد . واأسفاً ، ليت السماء تلقى إلى بكنز

من عندها ، إذن لنفصت الغبار من على جسدی وروحي ولا نغمست  
في النعيم .

\*\*\*

سمعت أن هذا الملاكم الشاكي كان يحفر في الأرض ذات يوم  
فرأى فم رجل ميت ، وقد تكسرت منه عظام الفك ، وتناثرت  
منه الأسنان اللؤلؤية . فلما رآه سمع صوتاً من هذا الفم الآخر  
س يقول :

لاتضق بالفقر صدراً يا سيدي . فهكذا ترى حال الفم تحت  
التراب ، شهدا أكل أو كان غذاؤه حشرة في الفؤاد . فلا يحزنك  
دور الفلك فإن دهوراً تنقضي على غير مرادنا .

فلما سمع الرجل هذا القول تاب إلى رشده واطرح الغم :  
أيتها النفس التي لا رأي لها ولا حكمة فيها ولا تدبير ، تخلصي  
من همومك ولا تقتلي نفسك ، يستوي من حمل أثقال الهموم فوق  
رأسه ، ومن رفع رأسه مزهواً نحو السماء . هما سواء عندما تحين  
الساعة التي لا مفر منها ، فتستغير الأحوال ، ولا تترين تفاوتاً بين  
من أثقلته الهموم ومن كان غارقاً في اللهو واللذات .

إن الغم والسرور لا يدومان ، إنما الدوام لجزاء العمل الصالح  
وللذكر الطيب .

إن الكرم يبق ، فأنفق مما رزقت حلالات ، ولا تتسكل على  
الملك والجاه والعظمة ، فهذه كلها أحوال كانت من قبلك ،  
وستكون من بعدك ، فأنثر الذهب فإن الدنيا فانية لا تدوم ،  
إن سعدى ينثر درر القول لأنه لا يملك ذهباً .

( بستان )





تشاحن رجلان ، وامتلا قلباهما حقداً وبغضاً ، وأضر كل منهما لصاحبه سوء ، وكانا ، إذا تقابلا ، رفع كل منهما رأسه على أخيه ، كأنهما نمران . وكانا يتحاشيان المواجهة ، حتى أقفل في وجهيهما باب السماء . وراح كل منهما لا يالو جهداً في قذف صاحبه والتشنيع عليه بالحق وبالباطل ، وأخذ الناس يتناقلون حديث خصومتها في ملال منهما وسخط عليهما جميعاً .

وأدرك الموت أحدهما ففطن نجه ، وانقضت أيامه . وعرف خصمه ذلك فسر ما عرف ، وأخذ يفكر في صاحبه الذي جندله الموت ، وفكر في أن يراه ميتاً شامة . وراح إلى القبر فوجده مغلقاً على الرجل الذي عاش في قصر طلاؤه من الذهب . راح إلى القبر ولم يبك ، سره أن عاش بعد عدوه .

فتح الرجل باب القبر ، فرأى تاج رأس الميت في حفرة من طين ، ورأى عينيه وقد ملتسا بالتراب ، ورأى الحشرات والنمل تسرح على جسمه الذي قر في القبر سجيناً . ورأى وجهه الذي كان كالبدر صيرته دوران الفلك كالهلال ، وأما قده السروى فقد

أصبح كالخلال . وتككت راحة يده وتناثرت أصابعه .

\*\*\*

لم يكد الرجل يرى خصمه ، وقد أجرى الموت حكمه فيه ،  
فأصاره هشياً وتركه فريسة لهوام الأرض ، حتى رق قلبه ، وامتلاً  
أسفاً على ما كان بينهما ، ففاض دمه حتى ابتل تراب القبر وأصبح  
طيناً . ندم الرجل على الضغينة التي كان يحملها لخصمه بين جنبيه ،  
وأمر بأن يكتب فوق صخرة القبر :

لا يسرنك موت أحد ، فإن الدهر لن يمهلك بعده طويلاً .

\*\*\*

وسمع رجل من عباد الله الصالحين هذه القصة فبكى وقال :  
اللهم يا قادر ، عجيب إذا كنت لم ترحمه ، فقد أتى عدوه اللود  
حزيناً باكياً عليه .

إن جسد سيوسد يوماً الثرى وسيبكي عليه أعدائي ، ولا شك  
أن قلب صديق سيق لي ، حين يرى عدوى يبكي وقد عفا عني .  
إن عاجلاً أو آجلاً يأتي يوم تكون رموسنا ولا عيون فيها .

\*\*\*

ضربت مرة بالفأس في تل من التراب فعلا صوت مؤثر إلى  
سمعي يقول :

ترفق إذا كنت رجلاً ، فهنا عيون وآذان ووجوه ورموس .  
ترى هل يسمعون ؟  
( بستان )

رأى رجل ثعلباً مقعداً ، لا رجل له ولا يد ، فتعجب من  
 لطف صنع الله ، إذ كيف يعيش هذا الحيوان ومن أين له الأكل  
 وهو عاجز لا يقوى على السعى لرزقه . وبينما كان الدرويش حائراً  
 فى هذا ، إذا بأسد يدخل حيث الثعلب قاعد ، وفى مخبئه ابن آوى ،  
 فأكل الأسد من فريسته التعسة وبقي منه ما يكتفى الثعلب حتى يشبع .  
 وراقب الرجل الثعلب فوجد الأسد يرعاه فى اليوم التالى ،  
 وهكذا الرزاق بعث بقوة إليه . فتيقن الرجل ان الله يرزق عباده .  
 فانصرف وتواكل على ربه . قال : سأذهب إلى ركن آوى إليه ،  
 فإن الفيلة لا يأتونها رزقها بالقوة . وجلس مخياً رأسه مخفياً إياها فى  
 جيبه ، منتظراً الرزاق يبعث إليه قوته من الغيب : وظل الدرويش  
 حتى برح به الجوع ، لم يسع إلى إطعامه غريب أو صديق ، فخارت  
 قواه ونحل جسمه ، وأصبح كالربابة عصب وعظم وجلد .  
 فلما نفذ صبره وعقله من شدة الضعف سمع صوتاً يقول له من  
 خلف الجدار :

أخرج أيها الوغد وكن أسداً مفترساً ، ولا تحسبن نفسك

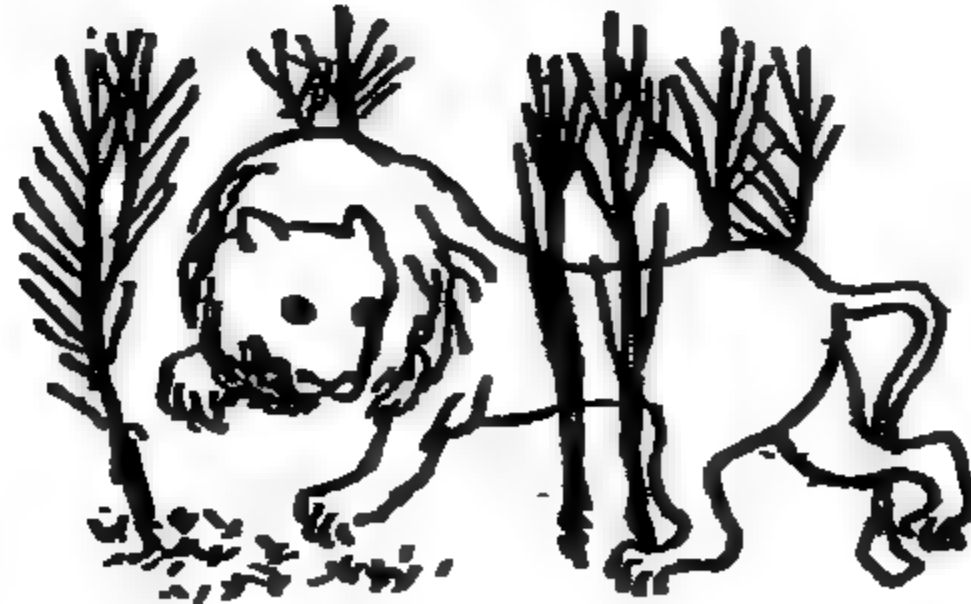
كالثعلب الأشل ، واسع حتى تأكل وتشبع ويفيض منك كما يفيض  
من الأسد ، لماذا تكون كالثعلب المقعد تشبعك الفضلات ؟

إن من له رقة غليظة كالأسد ، الكلب خير منه إذا توالى  
وارتمى كالثعلب المقعد . إسع إلى رزقك بيدك ، وعش سعيداً مع  
الآخرين ، ولا تجلس منتظراً ما يجود عليك به الناس ، وكل  
ما استطعت من جهد ذراعيك ، فإن جهدك لك . كن كالرجال ،  
يتعبون أنفسهم ويريحون غيرهم ، فإن المخنث هو الذى يأكل من  
كدّ الآخرين .

خذ أيها الشاب بيد الشيوخ من الفقراء ، ولا تلق بنفسك  
هكذا مستعينا بالناس : إن الله يرضى عن عبده الذى يسعد الناس  
من وجوده بينهم ، وإن الخير العاقل هو الذى يجود بماله ،  
أما أدنياء الهمة فلا عقول لهم .

إن الخير الذى يحسن إلى الناس هو الذى يسعد فى الدنيا وبهنا  
بالآخرة .

( بستان )



شكى أحد المريدين إلى شيخه مضايقة الناس له وكثرة ترددهم عليه ، مما يضيق عليه وقته الغالى ، فقال له الشيخ :  
أقرض فقيرهم واستعن غنيهم ، ينفضوا جميعاً من حولك ،  
ولا ترى فى ييتك منهم أحداً ، ويطيب لك الزمان .

( كلستان )



## ٧١ الواقعة

اختار الملك أفريدون وزيراً من أعوانه ، واختصه بحبه ،  
وآثره بعطفه ، وأولاه ثقته ، فكان يركن إليه في كثير من شئون  
الدولة ، كما ترك إليه تصريف كثير منها . وكان هذا الوزير رقيق  
الحاشية ، بصير القلب ، بعيد النظر ، وقد جهد حياته كلها في إرضاء  
ربه وخدمة ملكه ، فكان يقوم بواجباته الدينية خير قيام ، ثم  
يقضى بقية وقته مكباً على عمله بالنهار ، ساهراً على أدائه بالليل ،  
عاملاً دائماً على أن يكون أهلاً لثقة ملكه فيه .

...

ولكن الوزير الطيب لم يسلم من لسان سوء الخيث يسعى  
ضده عند الملك ، فقد ذهب رجل إلى الملك ذات صباح وقال له :  
مولاي : لا تحسبن نصحي لك عن غرض في نفسي ، فإنني  
ما أردت غير النصح خالصاً لوجه الله ، إن وزيرك الذي تثق به  
وتنزه من نفسك مكاناً علياً ، هو عدو لك مبين ، فإنه دائن لجميع  
أهل المدينة ، جنداً ومدنيين ، وقد اشترط على مدينيه أن يوفوا  
ديونهم حينما يموت الملك العظيم ، فهو لا يريد لك طول الحياة ،

مخافة ألا تحل ديونه ، أبقاك الله وحفظك يا مولاي من أهل السوء

\* \* \*

فلما سمع الملك حديث الرجل آلمه أن يَخْدَع في الوزير بعد طول ثقته به ، واعتماده عليه ، وحبه له ، فناده يوماً ونظر إليه نظرة المغيظ المتوعد ، فأدرك الوزير أن قلب الملك قد تغير ، وأن ساعياً بالشر قد سعى بينهما فألقى إليه الملك أذنًا صاغية ، ثم لم يلبث الملك أن قال له :

إنك تظهر لي المودة ، وتضمر السوء .

وهنا أيقن الوزير أن أمر إقراضه الناس ماله هو الذي بلغ الملك فرأى أن التصريح بالحق أجدى من الكتمان ، فقبل الأرض والتخت . ثم قال :

« إنك تسألني يا مولاي وسأقول الحق ، شأني معك في عملي ، حتى تنجلي الغمة ويذهب عن نفسك ما ظننت بي من سوء . إني أردت أن يصفر لك حب رعاياك جميعاً ، وأن يتمتعوا لك السعادة وامتداد الأجل ، فإني حين جعلت من موتك موعداً لوفاء ديونهم ، كنت أدرك أنهم سوف يدعون لك بطول البقاء ودوام الهناء . أفلا تريد يا مولاي أن يدعو لك الناس صادقين مخلصين بأن تحيا حياة طويلة هنيئة ، إن الناس يعتقدون إن دعاء أهل الخير درع



يتقون به سهام البلاء ، فلتكن أصواتهم الصاعدة إلى السماء بطول  
أجلك ، ودوام سعدك ، مستجابة عند ربك . .

فلما سمع الملك كلام وزيره ، سره حسن قصده ورضى بعد  
الغضب وعادت إليه ابتسامته ، وتفتحت أسارير وجهه كالوردة  
النضرة إشراقاً ونوراً .

\* \* \*

إني لم أر شراً من غماز نكد الطالع ، عاثر الحظ ؛ إنه يلقى  
العداوة والبغضاء بين صديقين ، بجعله وضلاله ، ولا يدرك بعقله  
الضيق أنه إذ يلقى النار بين رجلين سيحترق في وسطهما .

\* \* \*

إذا كنت ، كسعدى ، قد تذوقت لذة الخلوة ، وكففت لسانك  
عن التحدث في أمور الدنيا ، فقل ما تعلم من النصح الخالص  
ولو لم يعجب أحداً .

إن الذى لم يستمع إلى نصحك سيصبح غداً وهو نادم :  
ليتني استمعت إلى لسان الصدق .

( بستان )



مطابع دارالقلم  
بالقاهرة







دار الفلم

الطباعة والنشر والتوزيع

١٨ شارع سوق التوفيقية

تليفون : ٥٥٠٣٢

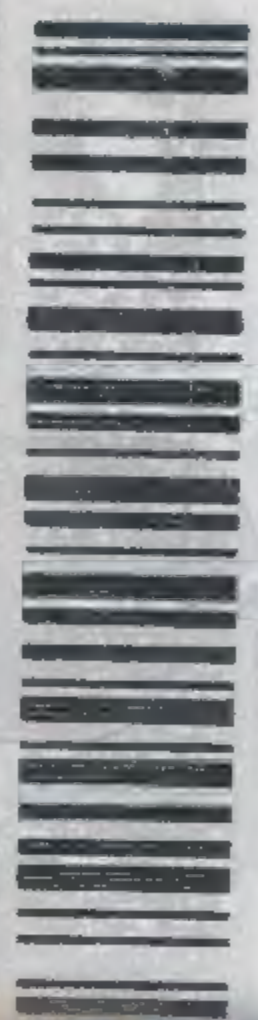
صدر عنها لمشروع

الاولف كتاب

مليم

- لمن تدق الأجراس ..... ٢٢٥
- الحرية المحرمة ..... ١١٥
- ميكانيكا السيارات ..... ٢٣٠
- قصص عالمية ..... ٢٤٥
- إيزيس وإيزوريس ..... ١٢٥
- حكايات فارسية ..... ٢٥٥
- الجيولوجيا في خدمة الإنسان ..

Bibliotheca Alexandrina



0685559